

الدولة البويهية في العراق
من النشأة إلى السقوط

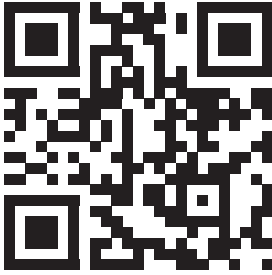
من العصور المظلمة في تاريخ العراق

334 - 447 هجري
945 - 1055 ميلادي

تأليف
إياد العطية

الطبعة الأولى

لمتابعة الكاتب
على مواقع التواصل



للتواصل عبر الإيميل
ayad.alatiah@gmail.com

الإهداء:

إلى إخواني الشباب ...

لكم ومن خلالكم رسالتي إلى أصدقائكم وزملائكم
ومحبيكم، أنتم قادة الغد، وفرسان المرحلة
القادمة، إن معرفة التاريخ، والوقوف على أحداثه،
وفهم ملامحاته، واستخلاص الدروس والعبر منه،
يعطيكم مجالاً واسعاً وكبيراً لمعرفة أحداث واقعكم
الحالي، بخاصة تلك الأحداث التي تخص صراع الأمة
مع أعدائها في كل ميادينها.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ (1)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (2)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٣﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ (3)

يا رب لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا، يا رب لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، اللهم اجعلني من الصالحين المصلحين الحامدين الشاكرين الراضين بما قسمته لهم، اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم وتقبله مني إنك أنت السميع المجيب، أما بعد:

جاءت فكرة هذا الكتاب بعد أن لامست وشاهدت كثيراً من المسلمين وبخاصة الشباب منهم عزوفهم عن دراسة تاريخ أمتنا الإسلامية، وعدم معرفتهم بأهم المراحل الخطيرة التي مرت بها الأمة، وانعكاساتها على حاضرها ومستقبلها، في ظل سيطرة مواقع التواصل

(1) آل عمران: ١٠٢

(2) النساء: ١

(3) الأحزاب: ٧٠-٧١

الاجتماعي على غالب اهتماماتهم، واكتساحها لجل أوقاتهم، وغياب غالبيتهم عن المطالعة والقراءة لكتب التاريخ، وربما تسربت لهم من خلال هذه المواقع التي تجمع بين الغث والسمين كثير من المغالطات التاريخية، والقصص الخرافية، والأساطير الموضوعة، حتى اختلط الأمر عليهم، وضاعت الحقيقة عنهم، واستقرت في أذهانهم صورة ممسوخة مشوهة، ليس لها أي علاقة، ولا أدنى ارتباط بتاريخ أمتنا العظيم.

فأردت أن أقدم لهم كتاباً أسلط فيه الضوء على أهم المراحل خطورة على الأمة، بأسلوب سهل مبسط يناسب توجهاتهم وأذواقهم، ولعله يكون لهم بداية ومدخلاً طيباً، وحافزاً قوياً لدراسة التاريخ ومعرفة أحداثه.

كما أذكر إخوتي الشباب أن دراسة التاريخ تأتي في غاية الأهمية والضرورة لأنه بالوقوف عليه يُعرف ما مضى فيتحقق أن المساوي لا تولد إلا أضراراً لصاحبها، وأن الحسنات لا تنتج إلا منافع لصاحبها، وما من أمة ارتقت إلا بعد أن عرفت تاريخ سلفها، وما انحطت إلا لما جهلت تاريخه، لأن المرء لا يندفع إلى العمل إلا بما يرى، ويؤثر على حواسه الباطنة والظاهرة، ولا يقعد عن الجد والدأب، إلا إذا لم يكن له دافع يدفعه إليه⁽¹⁾.

إن الحقيقة التاريخية التي حاول أعداء الأمة طمسها ودثرها هي: أن الصراع الحالي الذي تخوضه الأمة، وتكالب أعدائها عليها بخاصة من المجوس وأذنائهم في العراق، وباقي بلدان المسلمين له جذوره التاريخية، التي زرعها ونثر بذورها بنو بويه أثناء فترة حكمهم وتسلطهم على مقدرات الأمة، بل إن الصراع اليوم مع المجوس وأدواتهم في كثير من بلاد الإسلام هو امتداد لتلك الحقبة الزمنية المظلمة التي تسلطت فيها الدولة البويهية على مفاصل الحكم في الدولة العباسية، والتي كادت أن تذهب بالخلافة الإسلامية وتصادرها بالكامل، عندما عزم معز الدولة البويهي بعد أن سيطر على بغداد سنة 334 هجرية وسمل الخليفة المستكفي بالله، وأذهب ببصره، وسجنه، وهم بقتله، وإسقاط الخلافة الإسلامية،

(1) تاريخ العراق منذ النشوء، أنستاس ماري / ص 10.

وانتزاعها منه، ومن عموم بني العباس، وتحويلها إلى الفاطميين العلويين في مصر، شركائهم في العقديّة والمذهب، لولا أن أشار عليه بعض خواصه بغير ذلك، فاكتمى بسمّل الخليفة وخلعه من منصبه وسجنه.

فالحقيقة الساطعة أن الدولة البويهية كانت تشكل تهديداً حقيقياً لوجود الخلافة الإسلاميّة، وبقاء الدين على الأرض، لولا لطف الله بهذه الأمة، ووعدّه لها بالنصر والتأييد، كما أن عصر الدولة البويهية يعتبر فاصلاً مهماً وخطيراً يفصل بين أهم مراحل التاريخ الإسلامي، فالأمة قبل سيطرة البويهيين على مفاصل الحكم فيها، ليست كما هي بعد سيطرتهم عليها ونشر نفوذهم في كل مدنها وولاياتها، حتى أن تأثير دولة بني بويه على الأمة استمر إلى ما بعد سقوط دولتهم، وانتهاء حكمهم، بل أن تأثيرهم ما زلنا نعاني منه إلى يومنا هذا!

كما أن عصر البويهيين يُعد أيضاً من أكثر العصور ابتلاءات، وامتحانات، وشدة مرت بها الأمة، لأن بني بويه قد تعرضوا للأمة في قلبها، واستهدفوها في عقيدتها، عندما حاولوا إفساد عقائد المجتمع الإسلامي، وتغيرها إلى عقائد مبتدعة فاسدة، تؤيد قضيتهم، وتصب في مصلحتهم، وتخدم أهدافهم، فنفر منها الشارع الإسلامي، ورفضها في قلبه، وحاول ردها بيده ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولكن سيطرة البويهيين على كل مفاصل القوة في تلك الفترة منعتهم من ذلك.

وقد تأثر بهذه العقائد بشكل مباشر دون الأمة كثير من عوام الشيعة، واستطاع بنو بويه بمكرهم المجوسي إفساد عقائد هؤلاء، حتى جعلوهم غلاة متطرفين، وقتلة متمردين، طعنوا في أصول الدين، وشككوا برسالة النبي الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأهل بيته أجمعين، فانحرفوا عن المنهج القويم، وصراط الله المستقيم، وأعلنوا حربهم على الله رب العالمين، وأوليائه الصالحين.

إن العصر البويهي لعب دوراً أساسياً في تعميق وتأصيل الانحراف الفكري لدى عوام الشيعة ومحاولة السيطرة عن طريقه على كل فئات المجتمع الإسلامي⁽¹⁾، ففشلوا في ذلك، ورد الله كيدهم وأبطل دعوتهم.

إن معرفة مجريات الأحداث في تلك الحقبة الزمنية المظلمة التي مرت بها الأمة بشكل عام، وفي بغداد على وجه الخصوص، ومعرفة أصول هؤلاء المحتلين، والوقوف على عقائدهم الفكرية، والبحث في ممارساتهم اليومية، ودراسة النتائج التي وصلت إليها دولتهم البويهية، يجعلنا نفهم طبيعة الصراع الطائفي الدائر اليوم في العراق، والذي انتقل منه إلى باقي بلدان العالم الإسلامي، مثل سوريا، واليمن، ولبنان، وعلى الأبواب، السعودية، والكويت، والبحرين، وباقي بلدان الخليج العربي، وحتى تركيا لن تسلم من هذا أبداً، إذا ما تدارك ذلك المخلصون.

إن الفترة التي ظهرت فيها الدولة البويهية، تُعتبر نقطة تحول خطيرة في تاريخ الأمة، بعد أن نجحت في تفكيك المجتمع الإسلامي، وزرع الكره، والحقد بين أفرادها، وإحداث فجوة كبيرة بين الأهالي الذين كانوا يتعايشون بسلام، وأمان لفترات طويلة على الرغم من اختلافاتهم الفكرية والعقدية التي لم تكن تضر بأصول الدين، حتى إذا ما ظهرت تلك الانحرافات الفكرية، والممارسات البدعية، والطقوس الشركية التي زرعتها، ونمتها، ورعتها الدولة البويهية ليقتلوا فيها روح الإخوة، والتسامح، بين أفراد المجتمع الإسلامي، واستبدلوها بروح الانتقام، والقتل، والإقصاء، وهي البيئة المناسبة التي ينشطون فيها، ويستطيعون من خلالها الوصول إلى أهدافهم، وتحقيق مأربهم، ولعل هذا الناتج الذي وصلت إليه المنطقة الإسلامية اليوم، وتسלט المجوس على كثير من بلدانها، وإظهار علناً العقائد التي تنافي أصول الدين الإسلامي الحنيف، كان من أهم الأهداف بعيدة المدى التي رسمها الفرس المجوس للأمة أيام البويهيين، وبدأوا اليوم يقطفون ثمارها، بخاصة بعد أن

(1) الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي. رشاد عباس معتوق. رسالة ماجستير. ص / 2.

سيطروا على كثير من بلدان العالم الإسلامي، إما من خلال حكومات وأحزاب متنفذة موالية لإيران كما هو الحال في العراق، أو من خلال مليشيات مسلحة تأتمر بأوامر قادة الحرس الثوري الإيراني مثل العراق، ولبنان، واليمن، أو من خلال حركات فكرية مؤثرة في المجتمع، ولها خلايا مسلحة نائمة ينتظرون ساعة الصفر لأطلاقها كما هو الحال في السعودية، والكويت، وباقي دول الخليج العربي إضافة إلى تركيا.

ولقد سميت هذا الكتاب "الدولة البوذية في العراق من النشأة إلى السقوط" والسبب في ذلك زيادة على ما تقدم، فإني أعمل على مشروع كتاب عن تاريخ العراق "العراق من الدولة الساسانية إلى الاحتلال الأمريكي" والذي بدأت العمل فيه منذ مطلع سنة 2015 ميلادية أستعرض فيه أهم المحطات التاريخية التي مرت على العراق منذ أن تسلطت عليه الدولة الساسانية المجوسية قبل الإسلام، مروراً بالدولة الإسلامية التي حررتة من المجوس، حتى سقوط الخلافة العثمانية آخر معاقل الإسلام، ثم دخول مشروع سايكس بيكو وتقسيم الأمة الإسلامية إلى دويلات ضعيفة موالية للغرب، وصولاً إلى الاحتلال الأمريكي الإيراني للعراق الذي عاصرناه وعشنا كل تفاصيله الدقيقة، والذي أركز فيه على مواقف الدول، والقبائل، والجماعات، والأحزاب، والشخصيات، من هذا الاحتلال مع بيان دورهم في تلك الأحداث، وفي أثناء عملي على هذا الكتاب وبحثي، وتقليبي في كتب التاريخ بخاصة في مرحلة تسلط الدولة البوذية على الخلافة العباسية التي كان مقرها في بغداد دار السلام، لمست أن الصراع الحالي الذي نعيشه اليوم مع المجوس ما هو إلا امتداد لتلك الحقبة الزمنية المظلمة، التي تسلط فيها المجوس على الخلافة الإسلامية من خلال الدولة البوذية التي غلفت حربها على الأمة بانتمائها إلى أتباع محبي أهل البيت، ونصرة مذهبهم، كذباً وزوراً، فعاثوا في الأرض فساداً، وأحرقوا الحرث والنسل، وأهانوا الخلفاء، وصادروا حقهم في الحكم والسلطة، وسلبوهم القوة، والمال، حتى أصبح الخليفة في عهدهم منزوع الصلاحيات، ليس له سلطة إلا على خدمه، وجواريه، وكل ما هو داخل قصره، بعد أن كان

ال خليفة يمثل أعلى سلطة في الدولة الإسلامية، وله هيئته، وقوته، وسلطانه، وهو المسؤول الأول عن صيانة الدين، وحماية المسلمين! .

لقد تسلط البويهيون على الخلفاء العباسيين وأصبح قرار تعيين الخليفة، أو عزله عن منصبه، أو نفيه، أو حتى قتله، بيد سلاطين الدولة البويهية يقررون مصيره، ويحددون صلاحياته، فكان مصير بعض الخلفاء بين القتل، والاعتقال، والنفي.

وقد تكلمت في هذا الكتاب بشيء مختصر عن أصل هذه الدولة، وركزت على تواجدهم داخل العراق دون التطرق إلى نشاطهم خارجه، إلا في الخطوط العريضة التي استوجب ذكرها، كون العراق وتحديداً بغداد كانت عاصمة الدولة الإسلامية، ومقر حكم العباسيين، ومركز قرارهم، كما كانت بغداد بوابة للعلم والعلماء، ومركزاً تجارياً عالمياً يقصده الناس من كل مكان، لذا كانت محل أطماع الجميع عبر التاريخ، فمن يسيطر على بغداد فقد سيطر على باقي مدن الإسلام، بل على العالم كله، من هنا جاءت أهمية السيطرة على بغداد عند البويهيين، حتى أصبحت مقر حكمهم، ومركز دولتهم، على الرغم من توسع انتشارهم خارجها إلا أن بغداد كان فيها ثقلهم السياسي، ومركز قرارهم، ومقر حكمهم لأهميتها في العالم الإسلامي.

واستعرضت بإيجاز أهم المراحل التي مرت بها هذه الدولة في العراق، من القوة، إلى الضعف، ثم السقوط، وبينت وبأسلوب مختصر غير مضر، الغرض الرئيسي من إنشاء هذه الدولة، مستوعباً كل الأنشطة المهمة التي قامت بها خلال فترة حكمهم في العراق، ومستعرضاً كل قياداتها الذين تعاقبوا على حكم العراق، ولقد استخدمت في كتابي هذا أسلوب سهل مبسط غير متكلف، وتجنبت ما استطعت المصطلحات غير الدارجة التي من شأنها أن تُشكل على القارئ، بما يناسب عقول عامة القراء بخاصة أولئك الشباب الذين ليس لهم اطلاع كبير على التاريخ الإسلامي، ليتنسى لهم التعرف على أهم المراحل التاريخية خطيرة على الأمة، والتي ما زالت آثارها باقية إلى هذا اليوم، وما زالت تشكل خطأ زمنياً متصلاً في الصراع إلى يومنا هذا، متجنباً الإسهاب وكثرة التفاصيل غير المهمة، مراعيّاً ذوق

القارئ البسيط الذي يميل إلى الاختصار والتبسيط، مع التركيز على حيك الفكرة، وضبط التسلسل الزمني لقيام هذه الدولة حتى سقوطها.

لا شك أن ظهور الدولة البويهية وتسلسلها على بلاد المسلمين كان أهم أسبابه ضعف الدولة العباسية، فما أن تظهر قوة جديدة على الأرض إلا كان هنالك ضعفاً وانحداراً في القوة التي كانت قائمة، وتلك سنة الله في الأرض ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُلَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ

اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ (1)

ففي نهايات القرن الثاني وبداية القرن الثالث للهجرة بدأت الدولة العباسية بالضعف والانحدار، وبدأت الولايات والأقاليم تخرج عن سيطرتها، وبدأت ظاهرة استقلال الدول وانفصالها عن مركز الخلافة في بغداد تظهر بقوة في كل المدن الإسلامية، وكذلك الحركات الفكرية المعادية للإسلام بدأت تعلن عن عقائدها المنحرفة داخل أراضي الإسلام بشكل علني، من غير خوف ولا تقيّة، وبدأت بفرض نفوذها على المدن بقوة السيف، مثل حركة القرامطة وغيرها، ولم يكن باستطاعة الخلفاء العباسيين أن يتصدوا لكل هذه الانشقاقات، واستقلال الدول والولايات عنهم، فأبقوا الارتباط بها ارتباطاً شكلياً، اعتبارياً، وفي أثناء هذه الفترة التي كانت تمر بها الدولة العباسية من الضعف والهوان، بدأت تظهر على السطح قوة أخرى في فارس، وقامت وفي فترة وجيزة بالسيطرة على المدن والأقاليم بقوة السيف، وعم نفوذها مناطق فارس كلها، ثم توسعت بشكل كبير وملحوظ في المدن والأقاليم المجاورة لها، حتى سيطرت على الكرج، وفارس، وهمدان، وطبرستان، وجرجان، وغيرها من المناطق الأخرى، وكانت أعينهم على بغداد مقر الحكم الإسلامي، وما أن تمكنوا وقويت دولتهم، وأصبح لهم شوكة وقوة كبيرة، بدأوا بالزحف إلى بغداد، فلم يكن هناك من يمنعهم أو يتصدى لهم، بسبب ضعف الدولة، وغياب القوة فدخولها من غير قتال، واستولوا على مفاصل الحكم في الدولة العباسية بشكل كامل، ولم يبق للخليفة بوجودهم

من الخلافة إلا اسمها، وهذه القوة أو الحركة الجديدة قد أسسها ثلاثة إخوة وهم أبناء أبي شجاع بويه، وإليه تُنسبت الدولة البويهية.

لقد تمكن هؤلاء الإخوة الثلاثة من السيطرة على بلاد فارس وغالب المناطق التي تُحيط بها، ثم دخول معز الدولة إلى بغداد في فترة قياسية قصيرة، فلم يمر على بداية ظهورهم حتى تمكنهم من بغداد إلا 13 عشر سنة، فقد كان ظهورهم في بداية سنة 321 هجرية وقد دخلوا بغداد سنة 334 هجرية، وهذه الفترة في أعمار الدول لا تساوي شيئاً، استطاع بنو بويه خلالها أن يتمكنوا من كل أسباب القوة، والتي مكنتهم من إخضاع العالم الإسلامي تحت سيطرتهم بدء من الخليفة وانتهاء بأصغر جندي في عسكره، وبعد أن فرضوا سيطرتهم على الخلافة أصبح لهم منصب السلطان وهو بمثابة منصب رئيس الوزراء في الدولة البرلمانية اليوم، وأصبح معز الدولة الرجل الثاني في الدولة الإسلامية بعد الخليفة، والحقيقة هو الرجل الأول في السلطة وليس الخليفة، فإليه يُفوض الحكم كله، وإليه تُجبي الأموال، ويبيده أمر الجيوش والعسكر، أما منصب الخليفة فأصبح منصباً اعتبارياً، رمزياً، حتى أن الخليفة عندما يفوض سلاطين الدولة البويهية للحكم في المراسيم الخاصة بذلك، على ما جرت به العادة فإنه يخوله في الحكم والسلطة في كل ما هو خارج أبواب قصره، كما فعل الخليفة الطائع لله عندما قلد عضد الدولة البويهية السلطنة فقال له: "قد رأيت أن أفوض إليك ما وكل الله تعالى إلي من أمور الرعية في شرق الأرض وغربها، وتديرها في جميع جهاتها سوى خاصتي وأسبابي، وما وراء بابي، فتول ذلك مستخيراً بالله تعالى"، فكان حكم الخليفة وسلطانه محصور داخل أزقة قصره، وعلى غلمانته، وجواريه، وتُفرض له من السلطان البويهي الأموال التي تسد احتياجاته كمعونات راتبة مقررة، وحتى هذا القليل المذل أحياناً يُمنع عنه، ويصادر مما عنده، ويُجبر الخليفة على بيع أثاث قصره، وأمتعته استجابة لأمر السلطان البويهي إذا ما طالبه بالمال!

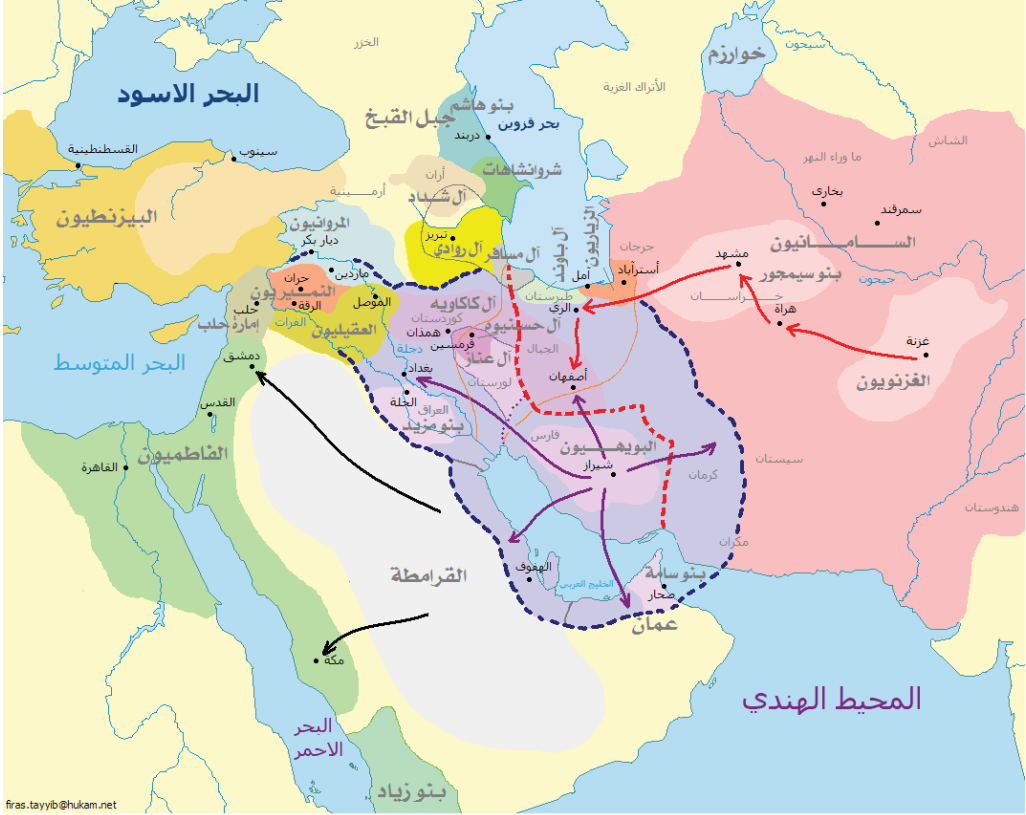
لقد ساهم دخول البويهيين إلى العراق على الاقتتال الطائفي بين الأهالي في بغداد، بعد أن أدخلوا الطقوس والمظاهر البدعية التي أقاموها في يوم عاشوراء، وكانت كلها مظاهر شركية واستفزازية للمسلمين هناك، لم يعتد أهالي بغداد عليها، حتى الشيعة منهم، فلم يكن يمارس عوام الشيعة هذه المظاهر الاستفزازية والبدعية قبل دخول البويهيين إلى بغداد، وليس هي من ثقافتهم المجتمعية، ولم يتجرأ أحد من عوامهم على اللعن، والسب، والتشكيك، ناهيك عن الطعن في القرآن الكريم، قبل دخول البويهيين، وربما كان هذا متداولاً في خاصتهم من الفقهاء والعلماء الغلاة وفي مجالسهم الخاصة، ولا يصرحون بها لعوام الناس كونهم يرفضونها ولا يقبلون بها، فهي مظاهر دخيلة قد جلبها البويهيون معهم، وفيها كثير من عقائد المجوس، والوثنيين، وبسببها وقع الاقتتال، وسالت الدماء، حتى رسخ بنو بويه عقيدة جديدة منحرفة لا أصل لها في الدين، فقد ابتدعوها وزينوها في العراق مدعين زوراً حيمهم لأهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، وهم منهم براء، بل كان غرضها سياسياً لاستعطاف الناس واستمالتهم إليهم، وحث الناس على الخروج على خليفة المسلمين، وضرب الخلافة الإسلامية من خلال صفها الداخلي.

وقد قسمت كتابي هذا إلى مقدمة وستة عشر فصلاً وخاتمة، فتحدثت في الفصل الأول عن نسب بني بويه، وعن عقائدهم، وكيف كانت نشأتهم الأولى، وفي الفصل الثاني تحدثت عن بداية ظهورهم كمقاتلين، ثم ذكرت مقتل قائددهم مردويج وأثره على مسيرتهم العسكرية، وبعد أن ذاع صيتهم وقويت شوكتهم، ذكرت شيئاً من سيرة مؤسسها، وقبل أن استعرض سير أحداث دولتهم في العراق، في الفصل الخامس، تحدثت في الفصل الثالث عن خطر تحركهم الفكري في إفساد عقائد المجتمع البغدادي، فذكرت دعمهم، وتشجيعهم للفقهاء، والعلماء الغلاة الذين طعنوا بأصول الدين، واستعرضت نماذج من هؤلاء العلماء، كما ذكرت تشجيعهم للغوغاء الغلاة في إظهار مذهبهم من سب، ولعن، وتكفير للصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين، وشغبيهم المستمر في بغداد، وذكرت بعض تلك التجاوزات والأحداث، ولم يفوتني أن أظهر في الفصل الرابع بعض مواقف الأبطال من

الخلفاء، والأمراء، والسلاطين الذين تصدوا لأصحاب هذه الأفكار المنحرفة، خلال فترة حكم الدولة البويهية في بغداد، وقدمت عينة ونماذج للعلماء والفقهاء من أهل السنة والجماعة، ثم بدأت من الفصل الخامس إلى الفصل الخامس عشر باستعراض سيرة الملوك البويهيين الأحد عشر ملكاً، الذين تعاقبوا على حكم العراق، وأهم الأحداث التي وقعت في عهد كل واحد منهم، وجعلت لكل سلطان بويهي فصلاً منفصلاً، ذكرت فيه بعض من سيرته، ونشاطاته خلال فترة حكمه، والذي كان آخرهم الملك الرحيم، فقد ذكرنا جانب من سيرته إلى أن تم اعتقاله، وتحدثت عن كيفية سقوط الدولة البويهية في عهده، وفي الفصل السادس عشر تحدثت عن بداية ظهور دولة السلاجقة، وانتشار سلطانهم، وكيفية دخول السلطان طغرل بك إلى بغداد، واستلام السلطة بعد سقوط دولة بني بويه، ثم خروجه لاستعادة الموصل، ثم ذكرت الفتنة التي وقعت في بغداد بغياب السلطان السلجوقي واعتقال القائد التركي البساسيري قبحه الله للخليفة القائم بأمر الله ثم نفيه إلى الأنبار، بعدها ذكرت عودة السلطان طغرل بك إلى بغداد وإخماده لهذه الفتنة، وإعادة الخليفة إلى مقر حكمه، ثم ملاحقته للبساسيري حتى قتله في واسط والتخلص من شره.

إياد العطية

إسطنبول 1443 هـ - 2021 م.



fras.tayyib@hukam.net

والإمارات والممالك الإسلامية
في أواخر القرن العاشر للميلاد

دولة آل بويه

خريطة تبين أين وصلت حدود الدولة البويهية، إضافة إلى الدول الأخرى التي استقلت عن الدولة العباسية، عندما مرت الدولة في أضعف مراحلها.

الفصل الأول:

- تمهيد.
- نسبههم.
- نشأتهم.
- معتقداتهم.
- حقيقة معتقداتهم.

تمهيد.

قبل الغوص في تفاصيل الأحداث التي جرت في بغداد في عهد البويهيين بعد تسلطهم عليها وجعلها مقر حكمهم، ومركز انطلاقهم لتوسيع دولتهم، كان لابد لنا أن نتعرف على الأصول التي انحدرت منها هذا العائلة المالكة، والتعرف على نسبهم، وذكر الخلاف في أقوال المؤرخين بأصول نسبهم، كما علينا معرفة البيئة التي نشأوا فيها، والحاضنة التي ترعرعوا فيها، وكيف كانت طبيعة معيشتهم، ومصادر أرزقاهم وكسبهم قبل أن يصلوا إلى الملك، ومن الأهمية أيضاً أن نتعرف على عقائد هذه العائلة فهي الدافع الرئيسي لتحركهم في تحقيق أهدافهم.

سوف نتعرف في هذا الفصل على عقائد بني بويه وأدبياتهم الظاهرة، وشعاراتهم المعلنة، ثم نقارنها مع أفعالهم على الأرض، وذلك لكشف التناقض الواقع بين ما هو معلن وبين ما جرى تطبيقه عملياً على الأرض، ليتأكد لنا بما لا يقبل الشك أن البويهيين كانوا يُظهرون عقيدة ويبطون أخرى، وهذا له أبعاده السياسية التي تتكشف لنا في الفصول الأخرى من الكتاب.

وعلى ما تقدم فإن هذا الفصل يأتي أول فصول الكتاب لنتعرف فيه على نسب بني بويه وأصولهم، ونتعرف أيضاً بشيء من التفصيل عن نشأتهم والبيئة الحاضنة لهم، ثم نختم هذا الفصل في دراسة عقائدهم المعلنة، ونظهر على السطح ما كان يخفوه ويبطنوه من عقائد تتنافى مع العقيدة الإسلامية السمحة، فيكون هذا الفصل خير مدخل لفهم هذه خلفيات هذه الدولة، والتعرف على مقدمة المرحلة التي حكم فيها بنو بويه ملكهم.

نسبهم.

لقد اختلف المؤرخون في نسب بني بويه، فمنهم من أعدهم من الديلم، عندما كانت نشأتهم وترعرعهم بين طهرانهم، والديلم هم الذين يرجعون بنسبهم إلى ديلم بن باسل، وهو أبو الديلم كلهم، وهذا قول المقريزي، قال: ويقال في أصل الديلم إن باسل بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان خرج مغاضباً لأبيه، فوقع في أرض الديلم، فتزوج امرأة من العجم، فولدت له ديلم بن باسل فهو أبو الديلم كلهم، وهم أفخاذ وعشائر، ومنهم ملوك بني بويه⁽¹⁾.

أما ابن ماكولا وهو العارف بأنسب الفرس وطبقاتهم فينسبهم إلى ملوك الفرس، وهو الذي عاصر الدولة البويهية حيث كانت وفاته في سنة 475 هجرية فيقول: أبو شجاع بويه بن فناخسره بن تمام بن كوهي بن شيرزيل الأصغر بن شيركده بن شيرزيل الأكبر بن شيوان شاه بن شيرفنه بن سستان شاه بن سسن فرو بن شر وزيل بن سسناذر بن بهرام جور الملك بن يزدجرد الملك بن هرمز الملك كرمانشاه بن سابور الملك بن سابور ذي الأكتاف بن هرمز الملك بن نرسي الملك بن بهرام الملك بن بهرام الملك بن سابور الملك بن أردشير الملك الجامع بن بابك بن ساسان الأصغر بن بابك بن ساسان الأكبر، وبقية النسب مشهور، هو أبو الملوك عماد الدولة أبي الحسن علي وركن الدولة ومعز الدولة وأولادهم ملوك الديلم⁽²⁾.

وعلى كلام ابن ماكولا فإن أصل هذه الدولة يرجع إلى الإخوة الثلاثة أولاد أبي شجاع بويه، ونسبهم موصول إلى ملوك فارس، وهذا نسبهم كما ذكره كثير من المؤرخين في كتب التاريخ والتراجم، مثل ابن الجوزي في كتابه المنتظم، ولحقه ابن كثير في البداية والنهاية،

(1) السلوك لمعرفة دول الملوك. للمقريزي / ص 129.

(2) الإكمال لابن ماكولا. 1 / ص 372.

وكذلك ابن نقطة الحنبلي البغدادي في تكملته لكتاب بن ماکولا، والذهبي في تاريخ الإسلام، وقد رجح ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ، نسبهم إلى ملوك فارس على ما ذكره ابن ماکولا أعلاه بعد اختلاف المؤرخين في نسبهم راداً ومعلقاً على كلام ابن مسكويه الذي خالف ابن ماکولا فقال: وأما ابن مسكويه فإنه قال: إنهم يزعمون أنهم من ولد يزيد جرد بن شهریار، آخر ملوك الفرس، إلا أن النفس أكثر ثقة بنقل ابن ماکولا لأنه الإمام العالم بهذا النسب العريق في الفرس، ولا شك أنهم نسبوا إلى الديلم حيث طال مقامهم ببلادهم⁽¹⁾.

أما ابن خلدون فكان له رأي مختلف رد به قول ابن مسكويه وابن ماکولا مرجحاً نسب بني بويه إلى الديلم، فقال: أبو شجاع بويه بن قناخس وللناس في نسبهم خلاف، فقد قال ابن مسكويه: "يزعمون أنهم من ولد يزيد جرد بن شهریار آخر ملوك الفرس"، والحق أن هذا النسب مصنوع تقرب إليهم به من لا يعرف طبائع الأنساب في الوجود، ولو كان نسبهم ذا خلل في الديلم لم تكن لهم تلك الرئاسة عليهم، وإن كانت الأنساب قد تتغير وتخفى وتنتقل من شعب إلى شعب ومن قوم إلى قوم فإنما هو بطول الأعصار وتناقل الأجيال واندراس الأزمان والأحقاب. وأما هؤلاء فلم يكن بينهم وبين يزيد جرد وانقطاع الملك من الفرس إلا 300 سنة، فيها سبعة أجيال أو ثمانية أجيال ميّزت فيها أنسابهم وأحصيت أعقابهم، فكيف يدرك مثل هذه الأنساب الخفاء في مثل هذه الأعصار. وإن قلنا كان نسبهم إلى الفرس ظاهراً منع ذلك من رياستهم على الديلم فلا شك في هذه التقادير في ضعة هذا النسب والله أعلم. وأما بدايتهم فإنهم كانوا من أوسط الديلم نسباً وحالاً⁽²⁾، والرأي مع ما قاله ابن ماکولا لأنه العارف في أنساب الفرس، وصاحب الاختصاص في هذا الفن، ومن جانب آخر فإن ابن ماکولا قد عاصر الدولة البويهية وعاش بقرتهم، ونظر في أحوالهم وليس الخبر كالمعاينة.

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 7 / ص 6.

(2) تاريخ ابن خلدون. 4 / ص 563.

إضافة إلى ذلك فإنه لم يظهر على بني بويه خلال فترة حكمهم أنهم كانوا يميلون إلى العرب، أو يشجعوا على بقائهم في الحكم والخلافة، بل على العكس تماماً، فقد حاربوا كل التواجد العربي، وهموا بإخراج الخلافة ورئاسة الأمة من العرب إلى غيرهم كما سيأتي ذكره في بيان عقائدهم، ولو كانت لهم أصول أو عرق من العرب، لبان ذلك وظهر فإن العرق دساس.

نشأتهم.

أبو شجاع بويه وإليه تُنسب الدولة البويهية، وهو أبو الإخوة الثلاثة الذين أسسوا هذه الدولة، كان أبو شجاع رجلاً من عوام الناس، فقيراً مدقعاً، يصطاد السمك حيث يعيش مع أولاده وزوجته في بلاد الديلم المحاذية لبحر قزوين، والذي يسمى قديماً ببحر الخزر، وقد عاش بويه وأولاده وترعرعوا في هذه البلاد في كنف شعب الديلم وجوارهم قبل أن يصل إليهم الإسلام.

ويعيش أبي شجاع مع أولاده من كسب يده، وكان أبناؤه الثلاثة المذكورين وأمهم يعيشون معه، وكانوا يحتطبون الحطب على رؤوسهم، فلم تكن لهم سابقة في الملك، ولم يسبق لهم أن تأمروا على أحد من الناس، بل ولم يسبق لهم أن خاضوا حروباً، ولا تقلدوا مناصباً في بلدانهم عندما كانوا يساكنون الديلم ويعيشون معهم، ولم تكن لهم خطط للاستيلاء على الحكم، أو حتى معارضته قبل أن يسوق الله لهم الأقدار، ويسبب لهم الأسباب لحكمة أرادها سبحانه وتعالى.

لقد نشأ بنو بويه مع أبيهم في بيئة فقيرة وكان جل اهتماماتهم هو كيفية تحصيل أرزاقهم، كحال عوام الناس الذي يسعون على كسب أقواتهم، وممارسة أعمالهم اليومية، ثم بعد ذلك ماتت زوجة أبي شجاع التي خلفت له أولاده الثلاثة المذكورين، فحزن عليها حزناً شديداً، وأشفق عليه أصحابه من ذلك، وكانوا يستضيفونه في بيوتهم بعد جزعه على موت زوجته.

وكان بوبه قد رأى مناماً غريباً قد شغله وحر فيه عقله، وبحث عن منجم يفسر له هذا المنام، وذات يوم كان عند بعض أصحابه، وهو شهريار بن رستم الديلمي، إذ مر منجم فاستدعاه، فقال له: إني رأيت مناماً غريباً؛ رأيت كأني أبول فخرجت من ذكري نار عظيمة حتى كادت تبلغ عنان السماء، ثم انفردت ثلاث شعب، ثم انتشرت كل شعبة إلى شعب

كثيرة، فأضاعت الدنيا بتلك النار، ورأيت البلاد والعباد قد خضعت لهذه النار، فقال له المنجم: هذا منام عظيم لا أفسره لك إلا بمال جزيل، فقال: والله لا شيء عندي أعطيك، ولا أملك غير فرسي هذه فقال: هذا يدل على أنه يملك من صلبك ثلاثة ملوك، ثم يكون من سلالة كل واحد منهم ملوك عدة فقال له: ويحك! أتسخر بي؟ وأمر بنيه فصفعوه، ثم أعطاه عشرة دراهم، فقال لهم المنجم: اذكروا هذا إذا قدمت عليكم وأنتم ملوك، وخرج وتركهم⁽¹⁾، فهذا كان حال بني بويه وأبيهم قبل أن يتملكوا، فقراء يعيشون على كسب أيديهم، وقد ساق ابن الجوزي في تاريخه المنتظم قصة المنام المذكورة والتي تدل على فقر وحاجة أبي شجاع وبنيه، وذكر أن أبي شجاع بويه قد سخر من المنجم بعد أن طلب منه مالاً عظيماً مقابل تفسيره للمنمان، وقال له: ويحك نحن فقراء نخرج نصيد سمكاً لنأكله، والله ما رأينا هذا قط ولا عشره، وكانوا قد صادوا في تلك الليلة سمكاً كثيراً، وقاله له بل أعطيك سمكة كبيرة من هذا الصيد مقابل تفسيرك للمنمان، وبعد أن فسر له المنجم منامه، صفعه أبو شجاع وأمر أولاده بصفعه استنكاراً له واستغراباً مما قاله، كونه جاء بالعجب من القول، وقال ما لا يصدق العقل، وقال له: ويلك أنا صياد فقير كما ترى وأولادي هم هؤلاء وأوماً إلى علي بن بويه، وكان أول ما اختط عارضه، والحسن وهو دونه، وأحمد وهو فوق الطفل قليلاً⁽²⁾، وعلى ما تقدم في معرفتنا لطبيعة الحياة التي كانت تعيشها هذه العائلة الفارسية، فلم تدل نشأتهم وبداية حياتهم وطبيعتها على تملكهم وحكمهم فيما بعد، ولم تدل طبيعة شخصيتهم من خلال البيئة التي نشأوا فيها ما يدل على نواياهم بقيام ثورات عسكرية، أو قيادتهم لحركات انفصالية تمردية، أو حتى معارضة الولاة الذين كانوا يحكمونهم في تلك البلاد، لم تكن هنالك أي إشارات أو حتى ومضات تدل على أن هذه

(1) البداية والنهاية لابن كثير. 15 / ص 70.

(2) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. 13 / ص 340.

العائلة الفقيرة سيكون لها شأن كبير ومهم، وسيكون لها أثر يمتد لمئات السنين، فسبحان مقلوب الأمور ومدبرها لحكمة أرادها.



خريطة تبين تواجد شعب الديلم المحاذي لبحر قزوین المسمى بحر الخزر قديماً

معتقداتهم.

بعد أن ضعفت الدولة العباسية في أواخر القرن الثاني كما ذكرناه، بدأت تظهر على الساحة الإسلامية حركات و فرق فكرية منحرفة، وكان غالبها حركات باطنية ظاهرها الإسلام وباطنها الكفر والإلحاد، جاء تأسيسها لأغراض سياسية بُغية السيطرة على الحكم والسلطة، والتي تمثلها الدولة العباسية آنذاك، مستغلين حالة الضعف والانحدار التي تمر بها الدولة، وكانت غالب هذه الحركات قد نشأت وظهرت في بلاد فارس، وهي بؤرة خصبة خرجت منها غالب الحركات الفكرية المسلحة التي حاربت الإسلام والمسلمين، مثل القرامطة، والباطنية، والإسماعيلية، والملاحدة، والفاطمية، وكذلك البويهية وغيرهم، وكل هذه الحركات أصلها واحد وعقيدتهم واحدة، يشتركون في الأهداف ويختلفون في وسائل الوصول إليها، وكانت مقدمتهم القرامطة.

لقد أدخل البويهيون خلال فترة حكمهم في بغداد كافة المظاهر الشركية، والاستفزازية التي تعرض عوام الشيعة على قتال المسلمين، وفتحت المجال واسعاً لأهل الأهواء، والانتهازيين، والنفعيين، واللصوص في تبني عقيدة ومنهج غلاة الشيعة، بُغية زعزعة أمن واستقرار الدولة الإسلامية.

لقد حاول البويهيون أن يفرضوا هذه العقيدة الفاسدة على المجتمع الإسلامي ويجعلوها حالة مجتمعية مفروضة لا يستطيع أحد منعها مستخدمين نفوذهم وسيطرتهم على البلدان الإسلامية بقوة السيف، حتى إذا تعاقبت عليها الأجيال، ومرت عليها العصور والدهور أصبحت حالة اجتماعية مقبولة في العالم الإسلامي، وقد نجحوا نوعاً ما في تحقيق هذا الهدف، والدليل تواجدهم اليوم في كثير من بلدان المسلمين، بنفس العقيدة ونفس الممارسات القديمة أيام البويهيين!

لقد أحدث البويهيون في بغداد أحداث عظام، وأمور جسام، مزقوا فيها النسيج الاجتماعي للمسلمين، فلم تعتاد بغداد ولا أهلها حتى عوام الشيعة منهم، أن تجوب بغداد مظاهر الشرك، والجهر بسب الصحابة ولعنهم، هذا المنهج المنحرف الذي تبناه غلاة

الشيعة، يسره وهياً أسبابه لهم معز الدولة بن بويه عندما أمر بإحياء يوم عاشوراء في بغداد، الذي سبب شرخاً وخلافاً اجتماعياً بين أهالي بغداد، ما زلنا نعاني منه إلى يومنا هذا. ولم يكتف البويهيون بهذا، بل تجرؤا على إحياء يوم الغدير خم الذين يزعمون فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أوصى بالخلافة من بعده إلى الخليفة الراشد علي بن أبي طالب، وأن أبا بكر ومن تبعه من الخلفاء قد اغتصبوا حق علي في الحكم، وهذا من أهم الأصول التي بُني عليه منهج الغلاة الخوارج من الشيعة.

وكانت هذه الحقبة التي حكم فيها البويهيون في بغداد هي التاريخ الأول لاحتفال غلاة الشيعة بهذه المظاهر البدعية التي تحدوا فيها العالم الإسلامي بأجمعه، وأظهروا كل ما ينافي العقيدة الإسلامية الصحيحة، من خلال استحصال الدعم والتشجيع والحماية والرعاية من الدولة البويهية التي تسلطت على كل مفاصل الحكم في الأمة الإسلامية، فرعت، وتبنت هذه الفرقة الغالية صاحبة المنهج المنحرف.

لقد أصبحت بغداد بعد دخولهم إليها مسرحاً كبيراً أنتشرت فيه كل مظاهر الشرك التي تقام في مواسم عاشوراء من سب ولعن للصحابة، إلى إحداث الفتن والقتال، إلى الحرب والاقتتال مع عوام المسلمين، حتى سالت الدماء، وسقط القتلى، ونُهبت الدور والمحلات، وخُربت المدينة، واستمرت هذه المظاهر في بغداد حتى بعد أن سقطت دولتهم القبيحة، يقول ابن كثير: وقد أسرف غلاة الشيعة في دولة بني بويه في حدود سنة 400 للهجرة وما حولها، فكانت الدبابد⁽¹⁾ تُضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء، ويذر الرماد والتبن في الطرقات والأسواق، وتُعلق المسوح⁽²⁾ على الدكاكين، ويظهر الناس الحزن والبكاء، وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتئذ موافقة للحسين، لأنه قتل عطشان، -كما يزعمون- ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن،

(1) الدبابد: هي الطبول التي تضرب في المناسبات.

(2) المسوح: وهو الثوب الأسود الخشن المصنوع من الشعر، كانوا يعلقونه على القباب وعلى أبواب الدور في عاشوراء لإظهار الحزن كما يفعلون اليوم من تعليق القماش الأسود في مواسم عاشوراء.

حافيات في الأسواق، إلى غير ذلك من البدع الشنيعة، والأهواء الفظيعة، والهتائك المخترعة⁽¹⁾، وقال السيد صالح الشهرستاني: «وإنه وإن لم يكن الأمراء البويهيون أول من أقام المناحة والعزاء والمآتم على الإمام الحسين عليه السلام، ولكنهم كانوا أول من وسّعوها وأخرجوها من دائرة النواح الضيقة. في البيوت والمجالس الخاصة والنوادي الهادئة، وعلى قبر الإمام الشهيد عليه السلام بكربلاء. إلى دائرة الأسواق العلنية والشوارع المتحركة، وتعويد الناس على اللطم على الصدور. ولقد استمرت عادة النياحة على الإمام الحسين عليه السلام، واتسعت شعاراتها خلال مدة حكم آل بويه في العراق وإيران⁽²⁾.



رسم افتراضي لمؤسسة المآتم الحسينية التي دعمتها الدولة البويهية في العراق، والتي تعنى بكل ما يختص بتنظيم ودعم المآتم الحسينية في موسم عاشوراء.

إضافة إلى دعمهم للفلاسفة والمنطقيين وأهل الكلام في أطروحاتهم التي غالبها كفر وإلحاد، فقد دعموا فرقة "خوان الصفا" وعملوا على نشر رسائلهم، وهي عبارة عن 51

(1) البداية والنهاية لابن كثير. بتصرف. 11/ ص 578.

(2) تشييد المآتم الحسينية في العصر البويهي، الشيخ عامر الجابري، نقلا عن الشهرستاني، السيد صالح، تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي عليهما السلام: ج 1، ص 147.

رسالة كل رسالة منفصلة عن الأخرى، كتبها بعض الفلاسفة وحاولوا بها الجمع بين كلام فلاسفة العالم وبين الدين الإسلامي، وربما وضعوا بعض فلاسفة اليونان بمنزلة الأنبياء، ولم يضعوا عليها أسماءهم ونسبوها إلى جعفر الصادق كذباً وزوراً، يقول بن تيمية عنهم: رسائل إخوان الصفا " الذي صنفه جماعة في دولة بني بويه ببغداد وكانوا من الصابئة المتفلسفة المتحنفة جمعوا بزعمهم بين دين الصابئة المبدلين وبين الحنيفية وأتوا بكلام المتفلسفة وبأشياء من الشريعة وفيه من الكفر والجهل شيء كثير⁽¹⁾، وقال أيضاً في موقع آخر ردَّ به كذبهم الذي قالوا فيه أن رسائل إخوان الصفا كتبها جعفر الصادق وهذا من وضعهم وكذبهم قبحهم الله، فقال: إن من العجب ظن بعض الطوائف أن كتاب رسائل إخوان الصفا هو عن جعفر الصادق وهذا الكتاب هو أصل مذهب القرامطة الفلاسفة فينسبون ذلك إليه ليجعلوا ذلك ميراثاً عن أهل البيت وهذا من أقبح الكذب وأوضحه فإنه لا نزاع بين العقلاء أن رسائل إخوان الصفا إنما صنفت بعد المائة الثالثة في دولة بني بويه⁽²⁾، وكانت وفاة الإمام جعفر الصادق قبلهم بكثير فقد توفي رحمه الله ورضي عنه سنة 148 هجرية.

لقد حظيت آراء وأفكار الفلاسفة خلال العصر البويهي بالكثير من التشجيع والمعاضدة لاتفاقها ونزعة التشيع الغالي التي يتصف بها بنو بويه، فلقد كانت عناية أمراء بني بويه كبيرة بكل ما له اتصال بالفلسفة، والمنطق، والكلام، والتنجيم وأولت المختصين بها عناية فائقة، منها المخصصات المالية الكبيرة التي رسمت لهم إضافة إلى المكانة العالية التي اقتصوا بها، فلقد أفرد في دار عضد الدولة لأهل الخصوص والحكام من الفلاسفة موضع يقرب من مجلسه وهو الحجرة التي يختص بها الحجاب فكانوا يجتمعون فيها

(1) مجموع الفتاوى لابن تيمية. 4 / ص 79.

(2) بغية المرئاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية لابن تيمية. / ص 329.

للمفاوضة آمنين من السفهاء ورعاع العامة، وأقيمت لهم رسوم تصل إليهم، وكرامات تتصل بهم.

لقد حفلت مجالس البويهيين على الدوام بحضور العديد من المعتزلة والفلاسفة والمنطقيين وغيرهم من علماء غلاة الشيعة الذين سخروا علمهم لخدمة أمراء بني بويه، وكعادة البويهيين في العمل على معاضدة كل حركة أو فكرة ضد أهل السنة والجماعة فقد ناصروا عدد كبير من فقهاء الخوارج خلاف المتوقع إذ أن موقف الخوارج من الشيعة معروف⁽¹⁾، كونهم يكفرونهم ويخرجونهم من الملة، مع هذا تجدهم يقربونهم إليهم تعاكساً مع أهل منهج السنة والجماعة.

وخالصة عقيدتهم: أنهم مع كل ما هو ضد منهج أهل السنة والجماعة، ومع كل من يمكنهم من الطعن بالدين والإساءة إليه، فتجدهم دعموا كل المتضادين خدمة لهدفهم في قيام دولتهم المنشودة على أنقاض دولة الإسلام، حتى نشطت كل الفرق والمذاهب المذمومة في أيامهم وضعفت كل المذاهب التي تنصر السنة، يقول بن تيمية: وفي دولة بني بُويه، فإنهم كان فيهم أصنافُ المذاهب المذمومة، قومٌ منهم زنادقة، وفيهم قرامطةٌ كثيرةٌ، ومتفلسفةٌ، ومعتزلةٌ، ورافضةٌ، وهذه الأشياء كثيرةٌ فيهم، غالبيةٌ عليهم، فحصل في الإسلام والسُّنة في أيامهم من الوهن ما لم يُعرف⁽²⁾، وهم أول من أظهر بدعة بناء المشاهد على القبور حتى عمت بها البلوى في بلاد المسلمين وأصبحت أماكن للاستغاثة بالموتى الصالحين وهو ما حذر منه النبي صلى عليه وسلم وكانت من أواخر وصاياه قبل وفاته بأبي هو وأمي كما جاء في صحيح مسلم عن عائشة أم المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: في مرضه الذي لم يقم منه: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"، وفي رواية:

(1) الحياة العلمية في العراق خلال العهد البويهي. / ص 137

(2) الانتصار لأهل الأثر لابن تيمية. ص / 35.

"وصالحهم"، قال ابن تيمية: ولقد كانت الأمة على هذه الوصية الشريفة في القرون الثلاثة، حتى أصابها ما أصاب الأمم قبلها فظهرت بدعة القبورية، وأواخر القرن الثالث الهجري حين ضعفت دولة بني العباس، لما تفرقت الأمة وكثر فيها الزنادقة، وقد شاعت بين الرافضة أولاً، لما صارت لهم دويلات، كدولة بني بويه، حيث نشروا بدع المشاهد والقبور، والعبادة عندها، ودعاء المقبور وغير ذلك، ثم انتشرت في القرن الرابع والخامس وما بعدهما، وسارت الطرق الصوفية على سبيل الرافضة تنشر هذه البدع، وتروّجها، حتى عمّت البلوى في كثير من بلاد الإسلام⁽¹⁾.

(1) الاستغاثة في الرد على البكري لابن تيمية. / ص 8.

نقل من تمة صوان الحكمة لظهير الدين في القسم البيهقي ان خمسة من الحكماء اجتمعوا
وصنفوا رسائل اخوان الصفا وهم اوسليم بن محمد بن مسعر البستي ويعرف بالمقدسي واولمسن
علي زهر بن الزنجاني وواحد النهجوري والبعوني وزيد بن رفاعه والفاط الكايع المقدسي



مخطوطة تبين جلوس الأشخاص الذين كتبوا رسائل إخوان صفا

حقيقة معتقداتهم.

وعلى ما تقدم فقد عرفنا أن البويهيين كانوا يظهرون عقيدة ويبطنون أخرى ثم تبين من خلال البحث وتتبع مواقفهم ودراستها، أن لديهم عقيدة باطنية أعمق من التي عرفناها، كانوا يخفونها ولا يظهرونها إلا لخواص خواصهم.

وهي سعيهم إلى إسقاط الخلافة الإسلامية ورياسة الدولة عند العرب، وتحويلها إلى الفرس المجوس، بخاصة إذا عرفنا أن الفاطميين في مصر أصولهم فارسية مجوسية، وهم كذابون مدعون النسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن أصلهم يعود إلى الديصانية من المجوس، وهم أحفاد ديصان بن سعيد الخُرَمي، وقد قدح بنسبهم الفاطمي الخليفة القادر بالله وكفرهم، وكتب بذلك وثيقة وأخذ أسماء غالب العلماء والفقهاء عليها، وأرسلها إلى كل الأمصار، ثم جاء من بعده الخليفة القائم بأمر الله عندما تولى الخلافة كتب أيضاً محضراً طعن فيه بنسب هؤلاء المدعين المجوس، وسيأتي بيان هذه المواقف بشيء من التفصيل في الفصل الرابع.

وكانت عقائد الحركات الباطنية ظاهرها حب أهل البيت والانتماء إلى شيعتهم ومناصرتهم، وباطنها الحقد والكراهة على الدولة الإسلامية، وقد زاد بنو بويه على عقائد تلك الحركات الباطنية وأهدافهم زيادة على ما تقدم هدفهم الكبير وهو: السيطرة على الخلافة الإسلامية وإنهاء وجودها على الأرض، واستبدالها بدولتهم المنشودة، وكان هذا هو المحرك الرئيسي لهم، وقد جعلوا مظلومية أهل البيت - كما يزعمون - مطية لهم للوصول إلى أهدافهم الخبيثة في زعزعة الأمة وضربها من الداخل، لذا تعد حركة البويهيين من أخطر الحركات الفكرية المسلحة التي مرت على الأمة لبقاء تأثيرها إلى يومنا هذا.

وكان البويهيون يعتقدون يقيناً أن الدولة العباسية قد اغتصبت الخلافة من مستحقيها، والواجب عليهم إزالتها عنها بقوة السيف، وهذه عقيدة يُظهرونها لأتباعهم من الغلاة، ولكن ما يخفونه كان أعمق بكثير، هو تحويل الخلافة الإسلامية العباسية من العرب إلى الفاطميين في مصر الذين يرجعون بنسبهم إلى الديصانية من المجوس، كما بيناه، وجعل دعوة الخلافة في الأرض لهم، وبهذا تعود سيادة المنطقة إلى المجوس الفرس، كما كانت قبل دخول المسلمين إليها، حتى وإن كانوا يتظاهرون بالإسلام، الضابط في الموضوع أن لا تكون السيادة للمسلمين العرب، وهذه النزعة الفارسية المجوسية متأصلة فيهم، وكل من تعامل مع الإيرانيين اليوم يدرك تلك الحقيقة.

وفعلاً في سنة 334 هجرية همَّ معز الدولة بن بويه على قتل الخليفة المستكفي بالله، وإسقاط الدولة العباسية، وتحويلها إلى الفاطميين في مصر، وقد استشار بذلك بعض خواصه، فأيده الجميع إلا بعضهم، يقول ابن الأثير: "أن الديلم كانوا يتشيعون، ويغالون في التشيع، ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها، فلم يكن عندهم باعث ديني يحثهم على الطاعة، -للخليفة- حتى لقد بلغني أن معز الدولة استشار جماعة من خواص أصحابه في إخراج الخلافة من العباسيين والبيعة للمعز لدين الله العلوي، أو لغيره من العلويين، فكلهم أشار عليه بذلك ما عدا بعض خواصه⁽¹⁾، فيبدو أن الأرضية لم تكن مهينة بشكل كامل فعدل معز الدولة عن رأيه إلى أن تتهيأ فرصة أفضل من هذه.

كما أن البويهيين يشتركون مع القرامطة في أصول العقائد والأفكار، بل إن بني بويه أنفسهم يعتبرون منبعهم العقدي مع القرامطة منبعاً واحداً، وما هو معلوم أن القرامطة

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 7 / ص 160.

استحدثوا لهم ديناً خاصاً يتماشى مع رغبات المنحرفين وأهل الباطل، في استحلال الحرام، وإنكار الشريعة، وما جاءت به من أحكام للحفاظ على المجتمعات المسلمة، فجمعوا من المجوسية، والفلاسفة، ومعتقدات الوثنية وأسسوا لهم هذا الدين المنحرف، يقول شيخ الإسلام بن تيمية: والقرامطة بنوا أمرهم على شيء من دين المجوس، وشيء من دين الصابئة، فأخذوا عن هؤلاء الأصليين النور والظلمة، وعن هؤلاء العقل والنفس، ورتبوا لهم ديناً آخر ليس هو هذا ولا هذا، وجعلوا على ظاهره من سيما الرافضة ما يظن الجاهل به أنهم رافضة، وإنما هم زنادقة منافقون، اختاروا ذلك لأنَّ الجهل والهوى في الرافضة أكثر منه في سائر أهل الأهواء⁽¹⁾.

ولكنهم يختلفون مع القرامطة في الطرق والأساليب في الوصول إلى الحكم وإدارة شؤون الدولة، كان ذلك واضحاً من الناحية العملية التطبيقية على الأرض، فقد اهتم البويهيون بتنظيم دولتهم، وتجهيز عسكرهم، واهتموا كذلك بالاقتصاد، والعلم، والثقافة حتى أنهم وجدوا حلاً لمشكلة نقل البريد بين مناطق نفوذهم، فاستحدثوا مهنة السعاة، وهم الذين ينقلون البريد الذي يحتوي على الرسائل والأوامر التي تخص الدولة، من معز الدولة في بغداد إلى أخيه ركن الدولة في الري، فيقطعون تلك المسافة البعيدة في المدة القريبة وأعطى مالاً جزيلاً على جودة السعي، فحرص أحداث بغداد وضعفاؤهم على ذلك حتى انهمكوا فيه وأسلموا أولادهم إليه، فنشأ ركابيان بباب معز الدولة البويهي يعرف أحدهما بمرعوش، والآخر بفضل، يسعى كل واحد منهما أكثر من 30 فرسخاً -وهو ما يعادل تقريبا 150 كم في

(1) التسعينية لابن تيمية. 1 ص 261.

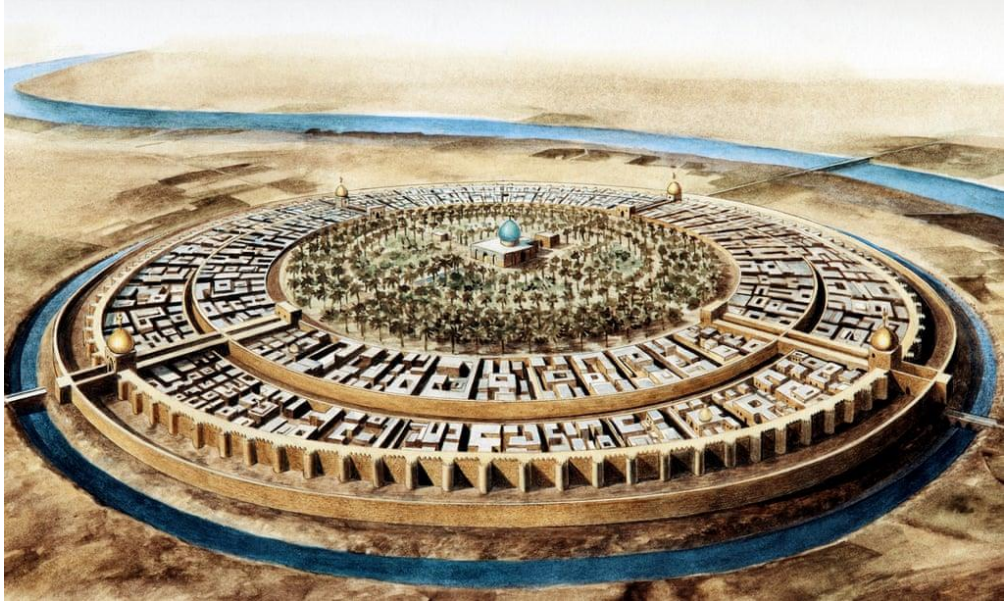
اليوم الواحد من طلوع الشمس إلى غروبها يترددون ما بين مدينة عكبرا⁽¹⁾ وبغداد⁽²⁾، ذهاباً وإياباً، واهتموا بكل الأمور التي تقوي وتعزز مفاصل القوة.

كان البويهيون يؤسسون لمشروع بناء دولة قوية الأركان، متباعدة الأطراف، عقدية طائفية، ويسعون لهدم الخلافة الإسلامية المتمثلة بالدولة العباسية، وإحلال دولتهم مكانها، مستغلين ضعف الدولة العباسية في تلك الفترة، ومتبنين منهج غلاة الشيعة لجمع أكبر كتلة بشرية حاقدة على المسلمين حولهم، وكسب تعاطفهم من خلال إيهامهم أن دولتهم ما قامت إلا لنصرة المذهب، على عكس القرامطة الذين انتهجوا نهج اللصوص، وقطاع الطرق، من خلال إغارتهم على المدن، والولايات، أو قوافل الحجاج، ونهبها، وقتل أهلها ثم تدميرها، وكانوا أيضاً يرفعون راية حبهم لأهل البيت والسعي لنصرة شيعتهم!

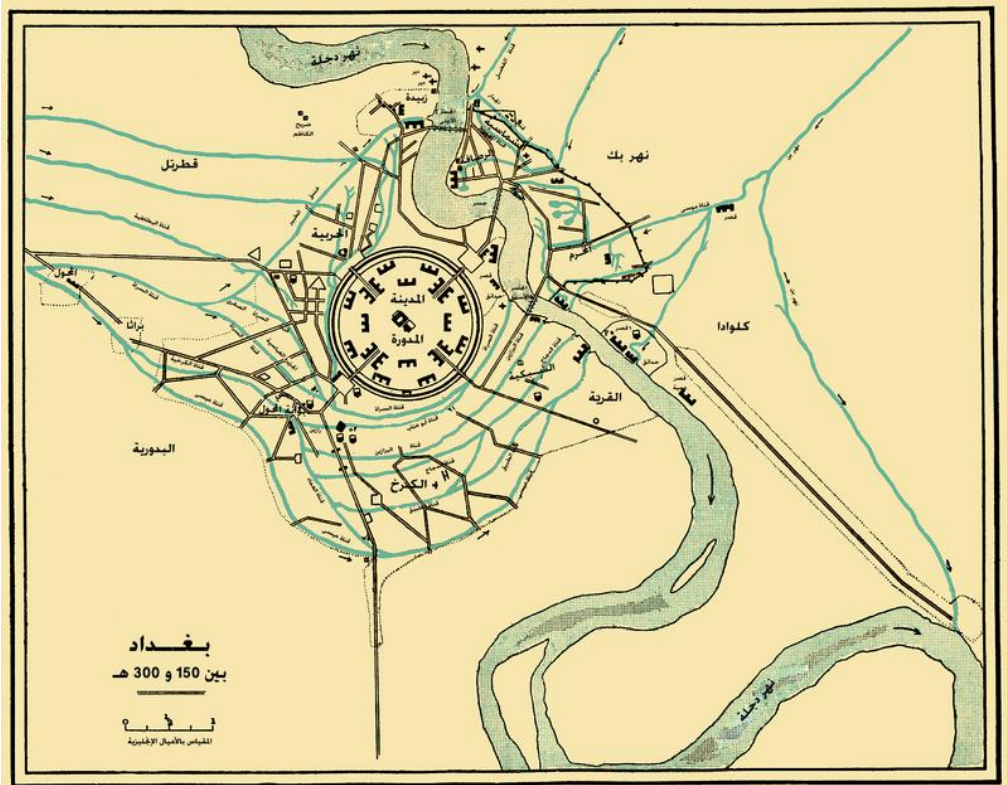
فأوجه التشابه في الظاهر واضحة بينة، ولكن البويهيون يخفون ما هو أعمق وأخبث، لذا كان خطرهم أكبر وأعمق على الأمة، لقد مر خطر القرامطة وباقي الحركات الباطنية الأخرى دون أن تترك الأثر الذي تركه بنو بويه في الأمة، حتى خطر التتر لم يترك ذلك الأثر الكبير بقدر ما تركته الدولة البويهية في عمق الأمة.

(1) عكبرا: مدينة على ضفاف دجلة بين بغداد وسامراء. تسمى اليوم مدينة الدجيل.

(2) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. 14 / ص 43.



رسم افتراضي لمدينة بغداد المدورة كما بناها المنصور



مخطط لمدينة بغداد المدورة التي بناها أبو جعفر المنصور مبين فيها الاسماء القديمة للمدن والأنهار

الفصل الثاني:

- تمهيد.
- بداية ظهورهم.
- مقتل مردويج وتقاسم النفوذ.
- أعمدة الدولة البويهية ومؤسسها.

تمهيد.

بعد أن تعرفنا في الفصل السابق على نشأة أبي شجاع بويه وأولاده الثلاثة، والبيئة التي عاشوا وترعرعوا فيها، والتي لم يظهر عليهم فيها أي علامات الملك أو الحكم، فقد كانوا يعيشون في فقر وحاجة حتى عمل أبوهم في صيادة السمك، وكان أولاده الذين أصبحوا فيما بعد ملوك الأرض، يحتطبون الحطب على رؤوسهم، ويعيشون من كسب أيديهم، ولم يكن لهم أي مخططات للقيام في حركة انفصالية، أو خطط لاستيلائهم على الحكم والملك، كان ذلك واضحاً جلياً عندما عبر لهم المنجم منام أبيهم، فقد ضحك من مقالته الجميع، حتى صفعه أبي شجاع بويه، وأمر أولاده بصفعه، لأنهم ظنوا أنه قد سخر منهم في مقالته وتأويله للمنام، وأن أولاد أبي شجاع سوف يملكون الدنيا وينتشر ملكهم في الأرض.

وحتى تكتمل الصورة بشكل تسلسلي رأينا أن نفرد فصلاً نتحدث في عن بداية ظهورهم كقوة عسكرية مؤثرة في الساحة، وكيف تسلسلوا في الصعود والتمكين، حتى أصبحوا قوة قاهرة في فترة قصيرة لا تحسب في قوانين الدول والجيوش، فقد استطاعوا خلال سنوات قليلة كما سنبينه في هذا الفصل من الاستيلاء على مناطق شاسعة، فخافتهم الملوك وخضعت لهم المدن والولايات.

وقد كان لكل واحد من هؤلاء الإخوة دور كبير في التوسع العسكري في بلاد فارس قبل دخولهم إلى بغداد، فكان لازماً علينا أن نتكلم في هذا الفصل عن هؤلاء الإخوة الثلاث، والتعريف بهم، وإن كان اثنين منهم قد حكموا في بلاد فارس وما حولها، وربما لم يدخلوا بغداد أبداً، ومناطقهم خارج نطاق بحثنا ودراستنا الحالية، ولكن جاء ذكرهم حتى نحيط الموضوع من كل جوانبه، وتكون الصورة واضحة للقارئ في فهم بداية تأسيس وإقامة هذه الدولة.

بداية ظهورهم.

قد جرى الحديث عن طبيعة حياة بني بويه وكيف كانت نشأتهم، عندما عاشوا وجاوروا الديلم، والديلم شعب استوطن الجبال والهضاب المجاورة لبحر قزوين، في بلاد فارس، واليوم هي إحدى المحافظات التي تقع في شمال إيران، ومركزها مدينة رشت.

ويرجع بنسبهم إلى العرب العدنانية وتحديداً لباسل بن ضبة الذي قال عنه ابن حزم: أن الديلم من ولده⁽¹⁾، وكذلك قول المقرئ الذي أوردناه في نسب بني بويه، وقد قال بهذا الرأي كثير من النسابين، وقد تواترت الأخبار عن شجاعة وبسالة جنود الديلم، وأنهم ذو بأس شديد في الحروب والنزالات.



رسم توضيحي لجندي مشاة من الديلم

وكان الديلم في تلك البلاد على غير دين الإسلام حتى جاءهم الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين "زين العابدين" بن علي بن أبي طالب المعروف بالحسن بن علي الأطروش، وكان على مذهب الشيعة الزيدية، فمكث عندهم قرابة

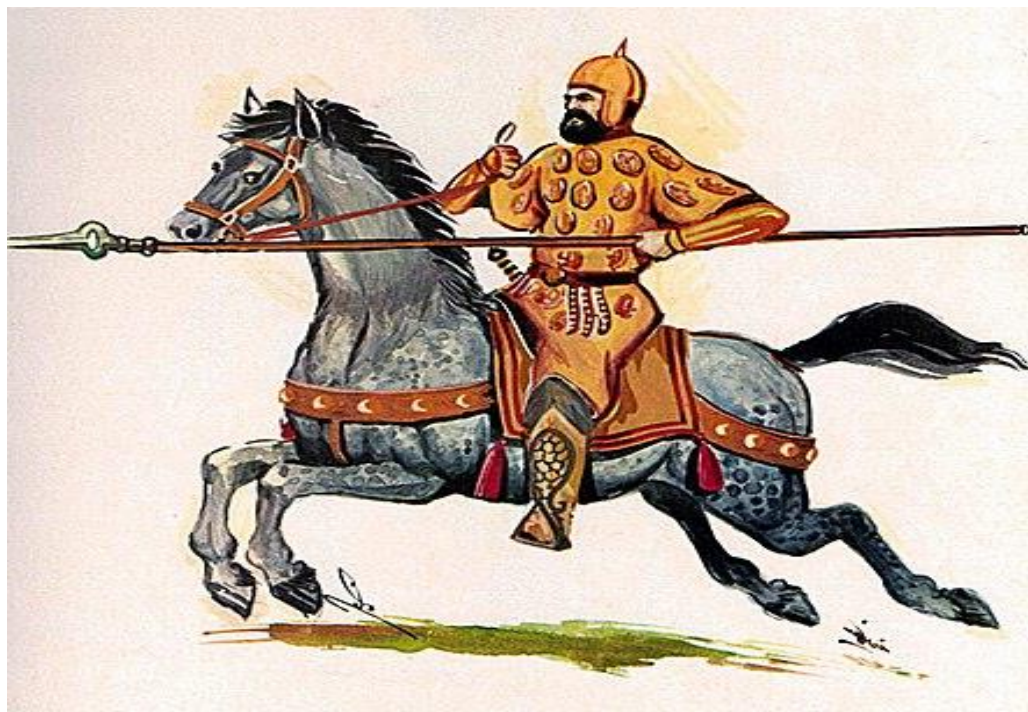
ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام ويأخذ منهم العُشر، فأسلم منهم خلق كثير، واجتمعوا عليه وبني لهم المساجد وأصبحوا على مذهب الشيعة الزيدية، وفي سنة 301 هجرية دعاهم الأطروش بالخروج معه للاستلاء على طبرستان⁽²⁾ فأجبهوه، وخرجوا معه حتى

(1) جمرة أنساب العرب لابن حزم. 1 / ص 203.

(2) وهو إقليم يقع في شمال دولة إيران.

استولوا عليها، واستولوا أيضاً على مدينة جرجان، وكان ممن خرج مع الأطروش كبار قادة الديلم وملوكهم وهم: "ماكان بن كالي" و"ليلي بن النعمان" وأسفار بن شيرويه" ومرداويج بن وزير" وعندما خرجوا هؤلاء القادة الديلم كان قد خرج معهم الاخوة الثلاثة أبناء أبي شجاع بويه، وصاروا ضمن جيش القائد الديلمي ماكان بن كالي، وكان هذا أول ظهورهم العسكري، وقد رأى قائدهم منهم شجاعة، وبسالة، فقرهم، وجعلهم من قاداته العسكريين.

ثم حصلت لبني بويه نقلة أخرى أكبر من الأولى التي تقربوا بها إلى قائدهم بن كالي، وذلك عندما دب نزاع وخلاف بين قادة الديلم هؤلاء، ووقع القتال بين ماكان بن كالي الذي كان يسيطر على طبرستان، وبين مرداويج بن وزير، فكانت الغلبة لمرداويج، وتمكن من غالب البلدان وأخذ طبرستان التي كانت بيد ماكان بن كالي، وكان فيها الإخوة من بني بويه، فصاروا من رجال مرداويج، فأكرمهم واستعملهم على الأعمال في البلدان، فأعطى لأخيهما الكبير علي



رسم توضيحي لفارس ديلمي على حصانه في كامل عدته الحربية

بن بويه نيابة الكرج⁽¹⁾، فأحسن فيها السيرة، والتفّ عليه الناس وأحبوه، وكانت هذه نقلتهم العسكرية الثانية نحو امتلاك أسباب القوة.

وبعد أن ذاع صيت أخيمم الكبير علي بن بويه حسده قائده مرداويج وخاف منه على ملكه، فبعث إليه من يعزله عن إمارة مدينة الكرج، ويستدعيه إليه، فامتنع علي بن بويه من الحضور خشية الغدر به، وسار بجنده وإخوته إلى أصهبان فحاربه نائهما، فهزمه بن بويه واستولى على المدينة، وكان مع علي 900 فارس فقط، استطاع أن يهزم بهم جيش قوامه 10 آلاف مقاتل، وهذا يعكس حُسن تديره العسكري، وقدرته الفذة على الإدارة والسياسة، فعظم في عين الناس، وعلى شأنه فيهم، فلما بلغ ذلك مرداويج قلق وخشى على ملكه منه، فأرسل إليه جيش استطاع أن يخرج من أصهبان، فسار بن بويه بمن معه إلى مدينة أرجان⁽²⁾، فأخذها من نائهما، وحصل له من الأموال شيء كثير جداً، ثم أخذ بلدانا كثيرة، واشتهر أمره، وذاع صيته، وحسنت سيرته، واجتمع إليه من الجند خلق كثير وجم غفير .

وهذه هي نقلتهم الثالثة والكبيرة في بداية ظهورهم العسكري، وسوف تنتقل بهم المراحل نحو الصعود، والتمكن من كل أسباب القوة بخاصة بعد مقتل القائد الديلمي ومرداويج بن زيار، كما سيأتي بيانه.

(1) الكرج: أول من أطلق عليها هذا الاسم هم العرب، وهي اليوم تقع في دولة جورجيا اليوم.

(2) أرجان: مدينة تقع بين الأهواز ومدينة شيراز. الحموي. 1/ص 143.

مقتل مرداويج وتقاسم النفوذ.

وكان مرداويج سيء الصيت ظالم متجبر، حكم الناس بالنار والحديد، ووضع التاج على رأسه مكللاً بالذهب والياقوت، وجلس على سرير فضة حواليه ذهب، وكان مرصعاً بجواهر وقال أنا أرد دولة العجم وأبطل دولة العرب، وقد فرق بين أتباعه من الديلم والترك، فتحامل عليه أتباعه من الترك فاجتمعوا عليه فقتلوه وهو في داخل الحمام، وكان الذي باشر قتله غلامه اسمه "بجكم التركي".

وبعد مقتله تفرق أصحابه فمنهم من لحق بعلي صاحب الدولة البويهية، ومنهم من انضم إلى بجكم التركي، وعادوا معه إلى بغداد بأمر الخليفة، فرفضتهم العامة من بغداد وخافوا أن تكون مكيدة بهم فطلبوا رد الأتراك إلى بلد الجبل، فأمرهم ابن مقله وزير الخليفة المقتدر بالله بذلك، وأطلق لهم مالا، فلم يرضوا به، وغضبوا، فكاتبهم أبو بكر محمد بن رائق، وهو بواسط، وله ولاية البصرة أيضاً، وكان بن رائق مقرباً من الخليفة المقتدر بالله وله شرطة بغداد، فاستدعاهم فمضوا إليه⁽¹⁾.

وبقي أصحاب مرداويج من الديلم، فهؤلاء ذهبوا باتجاه الري فاجتمعوا على طاعة أخيه وشمكير بن زيار، ثم اجتمع إليه أصحاب مرداويج من الأهواز وغيرها، وفي هذا الانقسام الذي حصل بين أصحاب النفوذ، فإن مناطق خراسان وما حولها أصبحت نفوذها بين وشمكير أخو مرداويج، وبين بجكم التركي غلام مرداويج الذي تولى قتل سيده، والطرف الثالث بيد بني بويه متمثلة بعلي بن بويه الذين خرجوا من عباءة مرداويج، وخرجت جميع هذه المدن من سيطرة الدولة العباسية.

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 7 / ص 37.

ثم جهز علي بن بويه أخاه الحسن بن بويه إلى بلاد الجبل، وسير معه العساكر بعد عودته عندما قتل مرداويج، فسار إلى مدينة أصبهان، فاستولى عليها، وأخرج منها ومن بلاد الجبل نواب وشمكير، واستمرت الحروب بينهم يتنازعان في تلك البلاد، وهي أصبهان، وهمدان، وقم، وقاجان، وكرج، والري، وكنكور، وقزوين وغيرها⁽¹⁾.

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 7 / ص 44.

أعمدة الدولة البويهية ومؤسسيها.

أول من أسس الدولة البويهية هم الإخوة الثلاثة أبناء أبي شجاع بويه وهم:

1. أبو الحسن علي بن أبي شجاع بن

بويه، والذي لقبه الخليفة

العباسي المستكفي بالله "عماد

الدولة"، وهو كبير إخوته وكلمته

ماضية عليهم، وهو أول من ملك

منهم، وهو سبب سعادتهم وانتشار



عملة ذهبية منقوش عليها اسم عماد الدولة البويهي

صيتهم، يقول ابن خلكان: أن عماد الدولة المذكور اتفقت له أسباب عجيبة كانت سبباً لثبات ملكه: منها أنه لما ملك شيراز⁽¹⁾، في أول ملكه اجتمع أصحابه وطالبوه بالأموال، ولم يكن في خزائنه مالاً، وأوشك ملكه أن يذهب، وينفض الجند عنه، فأهمه هذا الأمر وأحزنه، فبينما هو مستلقياً على ظهره في مجلس أعده للخلوة، والتفكير، والتدبير، إذ رأى حية قد خرجت من مكان في سقف ذلك المجلس ودخلت موضعاً آخر، فخاف أن تسقط عليه، فدعا من ببابه وأمرهم أن يخرجوا تلك الحية، فلما صعّدوا وبحثوا عن الحية وجدوا ذلك السقف يفضي إلى غرفة بين سقفين، فأمرهم بفتحها، فُفُتحت فوجدوا فيها عدة صناديق من المال والمصوغات ما مقداره 500 ألف دينار، فحمل المال إلى بين يديه، فسر به وأنفقه في رجاله، وثبت أمره بعد أن كاد يذهب منه الملك⁽²⁾.

وفي آخر أيامه اشتد به المرض، وكان يشكو من علته التي مات بها، وهي قرحة أصابت كليته، وتوالت عليه الأسقام والأمراض، فلما أحس بقرب الموت منه، أرسل إلى أخيه

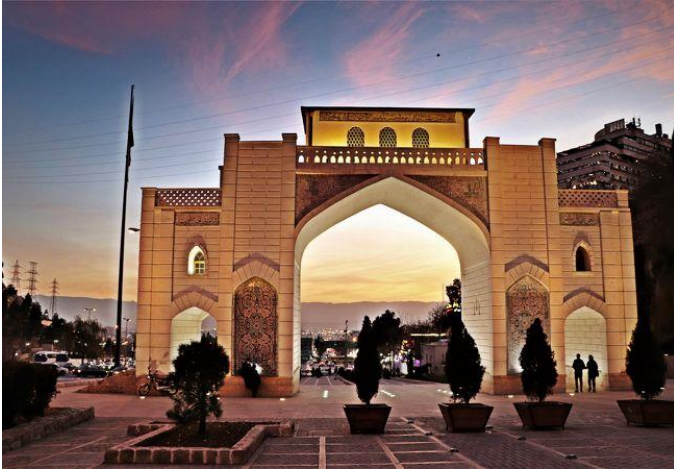
(1) شيراز: بلد عظيم ومشهور في بلاد فارس. معجم البلدان للحموي. 3/ ص 380.

(2) وفيات الأعيان لابن خلكان. 3/ ص 400.

ركن الدولة يطلب منه أن يرسل إليه ولده عضد الدولة فناخسرو ليجعله ولياً عهده، ووارث مملكته بفارس؛ لأن عماد الدولة لم يكن له ولد يرث ملكه، فأرسل ركن الدولة ولده عضد الدولة، فوصل في حياة عمه قبل موته بسنة، وسار ومعه الثقات من أصحاب ركن الدولة، فخرج عماد الدولة لاستقباله ولقائه في جميع عسكره، وأجلسه في داره على كرسي الحكم، ووقف هو بين يديه، وأمر الناس بالسلام على عضد الدولة والانقياد له، وكان يوماً عظيماً مشهوداً⁽¹⁾.

وقد ملك عماد الدولة بلاد فارس كلها، وبقي في الحكم 16 سنة، حتى توفي سنة 338 هجرية وعمره 57 سنة، وكان فيه عقل وشجاعة، وقد خاطبه الخليفة العباسي المطيع لله بأمر الأمراء.

2. أبو علي الحسن بن أبي شجاع بن بويه والذي لقبه الخليفة العباسي المستكفي بالله



بوابة مدينة شيراز في إيران بنيت في العهد البويهي

"ركن الدولة"، وهو الأخ الثاني تسلسلاً بعد أخيه الكبير عماد الدولة، فكان هو الأوسط بين إخوته مؤسسي دولة بني بويه، وقد ملك أصفهان، والري، وهمدان، وبقي في الحكم قرابة 45 سنة، حتى توفي سنة 366

هجرية في الري وعمره قرابة 80 سنة على ما ذكره ابن خلكان، وتولى الملك من بعده ولده

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 7 / ص 187.

مؤيد الدولة، وكان قد قسم ملكه قبل وفاته على أولاده الذين تملكوا من بعده وهم: عضد الدولة فناخسرو، وهو الذي ورث عمه عماد الدولة في بلاد فارس، ومؤيد الدولة أبي منصور بويه، وفخر الدولة أبي الحسن علي .

وقبل وفاته كان قد جمع أولاده الثلاثة ليقسم بينهم ملكه، وسعى في ذلك وزيره أبو الفتح بن العميد، فعمل لهم وليمة عظيمة حضرها ركن الدولة وأولاده، والقواد والأجناد، فلما فرغوا من الطعام عهد ركن الدولة إلى ولده عضد الدولة بالملك، وجعل لولده فخر الدولة أبي الحسن علي همذان وأعمال الجبل، ولولده مؤيد الدولة أصبهان وأعماله، وجعلهما في هذه البلاد بحكم أخيهما عضد الدولة⁽¹⁾.

3. أبو الحسن أحمد بن أبي شجاع بويه والذي لقبه الخليفة العباسي المستكفي بالله "معز الدولة"، وهو الذي كان نصيبه من دولة بني بويه نصيب الأسد فقد ملك العراق، واستولى على بغداد وكان نائباً لإخوته عند الخليفة العباسي المستكفي بالله وباقي الخلفاء الذين تبعوه، وسوف نأتي على سيرته ونشاطاته بشيء من التفصيل كونه كان حاكماً على العراق وهو محل بحثنا هذا.

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 7 / ص 343.

الفصل الثالث:

- تمهيد.
- دعم وتشجيع الدولة البوذية للفقهاء والعلماء الغلاة.
- نماذج من الفقهاء والمحدثين الغلاة في عصر الدولة البوذية.
- تشجيع الغلاة على إظهار مذهبهم في لعن الصحابة.

تمهيد.

في هذا الفصل المهم سوف نتعرف على التحرك الخبيث لبني بويه في هذه المرحلة والتي تعكس خطورة خططهم في السيطرة على العالم الإسلامي فكرياً، ومحاولة تغيير عقائده إلى عقائد تخدم أهدافهم، وتحقق مصالحهم، بعد أن تمكنوا من السيطرة عليه بقوة السيف، فذهبت الدولة البويهية إلى تشجيع ودعم الحركة العلمية والثقافية للعلماء والفقهاء الغلاة خدمة لمصالحهم.

لقد كان لبني بويه مقاصد خبيثة في دعمهم للحركة العلمية في فترة تسلطهم على بغداد، بانتهت تلك المقاصد بعد أن دعمت بشكل خاص الفقهاء والعلماء الغلاة، وقدمت لهم كل أشكال الرعاية والحماية في إظهار عقائدهم الفاسدة، وأقوالهم البدعية، وحاربت كل من حاول أن يمنعهم أو يقف في طريقهم.

سوف نتعرف في هذا الفصل على أهم الأسباب غير المعلنة التي جعلت بنو بويه تدعم الحركة العلمية والثقافية للغلاة في بغداد، ونقدم عينة من أولئك المبتدعة الذين طعنوا بأصول الدين، وكفروا رموز المسلمين.

لقد جاء هذا الفصل بغاية الأهمية بعد أن تعرفنا في الفصول السابقة على نشأة وعقائد هذه الدولة وكيف كانت بداية ظهورهم كقوة عسكرية استطاعت أن تسيطر على مناطق شاسعة وكبيرة في فترة قياسية قصيرة، فيأتي هذا الفصل ليتمم أركان دولتهم بعد أن تمكنوا من أسباب القوة، وجب عليهم أن يكون لهم مسوق فكري، يسوق فكرتهم، ويجمع لهم الأتباع لتحقيق مبتغاهم في إسقاط الخلافة الإسلامية واستبدالها بدولتهم المشؤومة.

دعمهم وتشجيعهم للفقهاء والعلماء الغلاة.

اهتم البويهيون بالثقافة والعلم، ودعموا كثير من الكتاب والفقهاء وشجعوهم على الكتابة والتأليف خدمة لأهدافهم في بناء دولتهم، وبنوا في ذلك المراكز والدور العلمية، وأنفقوا عليها أموالاً كثيرة، وبرأيي قد جانبه الصواب من وصف عصر الدولة البويهية بالعصر الذي ازدهرت فيها الثقافة والعلوم، ونشط فيها الكتاب، والمؤلفين، والتي نتج عنها كمية كبيرة من الكتب والمؤلفات، بخاصة إذا طالبنا القائلين بهذا القول أن يتفحصوا المنتج الذي دعمته الدولة البويهية في تلك الحقبة، ويدرسوا جيداً حال الكتاب والمؤلفين الذين رعتهم الدولة البويهية وبرزوا في تلك الفترة، والأهم من هذا أن نتبع غايات بني بويه في تشجيعهم للمؤلفين والكتاب، سوف نجد أن غالب من شجعهم بنو بويه هم كتاب ومؤلفون ينتهجون منهج غلاة الشيعة، والمعتزلة، وأما ظهور وبروز الأئمة الأعلام في تلك الحقبة، فظهورهم لم يكن بدعم من بني بويه، بل على العكس تماماً فقد مُنِعَ أكثرهم من الوعظ والتدريس وذكر فضائل الصحابة في حلقات تدريسهم، بل كان كثير من مؤلفات هؤلاء الأعلام رداً على الحرب الفكرية التي قادها علماء وفقهاء بني بويه.

ونستطيع أن نلخص أهم الغايات والأهداف المرجوة من دعم الدولة البويهية لمراكز العلم، واهتمامهم بالكتاب، والمؤلفين من غلاة الشيعة في ثلاث نقاط رئيسية:

1. إن من أهم أهداف الدول البويهية هو إسقاط الخلافة الإسلامية المتمثلة بالدولة العباسية آنذاك، وإقامة دولتهم المرجوة، وكان من لوازمها، أن يكون لهم علماء، ودعاة، ومفكرين، وكتاب، ومؤلفين يُسوقون لهم دولتهم فكراً، ويطعنون بالدولة القائمة، فكان هدفهم الأول هو استحصال الحجة الشرعية من قيام دولتهم، ومبررات شرعية

للخروج على الدولة القائمة وإسقاطها، وهذا لن يكون إلا بالعلم، والفكر من خلال دعمهم وتشجيعهم لأصحاب الأفكار المنحرفة والهدامة.

2. وبعد أن دعموا الدعاة، والمفكرين، والمؤلفين، وساهموا في نشر مذهب الغلاة بين الناس، أرادوا أن يظهروا أمام أتباعهم ومناصريهم أنهم رعاة للمذهب، فرسان حمايته، وأن قوتهم وعسكرهم مسخرة لحماية أتباعهم وعلمائهم، لذلك قربوا إليهم كثير من المحدثين، والمؤلفين المعروفين بعدائهم للإسلام، والذين اشتهروا بطعنهم بالقرآن، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وسوف نأتي على ذكر بعض هذه الشخصيات، وبعضاً من نشاطهم الفكري، وبهذا الإجراء وجهوا رسائل تطمينية تتضمن في طياتها الحماية والرعاية لهؤلاء المحدثين والدعاة إضافة إلى الأتباع والعوام.

3. كانت بغداد هي مقر الخلافة الإسلامية، وكانت منارة للعلم والعلماء يقصدها كل العلماء، والدعاة، والمفكرين، وطلبة العلم في شتى أصناف العلوم، كما اشتهرت بغداد باحتضانها لأئمة المذاهب مثل الإمام أحمد بن حنبل الذي أثر في أهالي بغداد فأصبح غالبيهم على رأيه، ومذهبه في عموم العراق، وكذلك الإمام أبي حنيفة النعمان الذي كثر أتباعه ومقلديه من أهل العراق، وكذلك أتباع الإمام الشافعي في بغداد رحمهم الله جميعاً، فأراد البويهيون أن يتصدوا لهذه المذاهب الإسلامية في العراق، من خلال إبراز مذهب الغلاة والرفض، فذهبوا إلى تشجيع الفقهاء والمؤلفين في الطعن بكل أصول الدين التي قامت عليها المذاهب الإسلامية، واستبدالها بخرافات، وانحرافات فكرية ما أنزل الله بها من سلطان، ناهيك عن الطعن بالقرآن، والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والطعن فيه وبسنته، فبرز في عهدهم كثير من الغلاة الذين اشتهروا بالرفض والاعتزال.

هذه أهم وأبرز النقاط التي يمكن حصرها في غايات، وأهداف الدولة البويهية في دعمها وتشجيعها للفقهاء، والمؤلفين، والمحدثين الذين برزوا في عهدهم واشتهروا بمنهجهم الغال، والذين عملوا على إسباغ صبغة التشيع والاعتزال على مروياتهم وكان ذلك بمنصرة ومعاوضة أمراء الدولة البويهية لخدمة أهدافهم في تغيير منهج ومعتقد العالم الإسلامي⁽¹⁾.

(1) الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي. رشاد عباس معتوق / ص 88. بتصرف.

عينات من الغلاة الذين دعمتهم الدولة البويهية.

لقد حرص البويهيون على تحويل المجتمع الإسلامي عن عقائده التي نشأ عليها، إلى الإيمان بمعتقداتهم، من خلال نشر عقائدهم وأصول مذهبهم بين أفراد المجتمع، لذا تجدهم يقربون إليهم العلماء، والفقهاء، والمحدثين، والكتاب، والمؤلفين الغلاة، ويشرفون على رعايتهم، ويشجعونهم على الكتابة في كثير من التخصصات الفلسفية، والمنطقية، بالإضافة إلى الرياضيات وعلم الهيئة، ودعمهم بشكل خاص على التأليف في العلوم التي تخدم مذهب الغلاة من الشيعة، وهو المذهب الذي تغذت عليه الدولة البويهية، واستطاعت أن تجمع عليه أتباعها، ونتيجة ذلك ظهرت العديد من الجامعات الخاصة بهم، التي كرست نفسها لوضع الأحاديث المكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم، بتشجيع ورعاية القادة البوهيين، كما ظهر في تلك الحقبة بعد هذه الحملة الكبيرة التي رعتها وأدارتها وأشرفت عليها الدولة البويهية كثير من الكتاب والفقهاء، الذين سعوا في الطعن بالدين، والتشكيك في الأصول التي قام عليها، حتى طعنوا في القرآن الكريم، وشككوا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

لقد سعى القادة البويهيون جاهدين إلى تغيير معتقدات المجتمع الإسلامي خاصة في بغداد التي كانت منارة العلم والعلماء، وحرصوا على نشر هذا الفكر المنحرف لما تحمله بغداد من أهمية كبيرة في قلوب المسلمين، كونها دار للخلافة ودار للعلم في نفس الوقت، لذا حاولوا بكل ما أوتوا من قوة تغيير منهج ومعتقد أهالي بغداد، من منهج أهل السنة والجماعة، إلى منهج الغلاة والرفض خدمة لقيام مشروعهم في إسقاط الخلافة الإسلامية، وقيام دولتهم الباطنية انطلافاً من بغداد مقر خلافة المسلمين، ثم إلى باقي بلدان العالم الإسلامي.

وأدناه نستعرض بعض هؤلاء المحدثين، والفقهاء، والكتاب، والمؤلفين الذين برزوا في عصر الدولة البويهية، وما زال كثير منهم يُعتبرون مصدر إلهام للغلاة الجدد، ومرجعاً لهم، واتخذوا من قبورهم مزارات تُشد إليها الرحال من كل مكان.

ولا يتسع المقام لذكر جميع الأسماء وترجمت حياتهم فهذا يحتاج إلى بحث منفصل يستوعب فيه كل هذه الشخصيات، ولكن نذكر بعضهم لإتمام الفكرة وتوضيحها ومن هؤلاء:

1. ابن الجعابي، وهو نموذج من الذين يمكن أن ينخدع به الناس حتى العلماء منهم، فقد كان إماماً في المعرفة بعلل الحديث، وثقات الرجال من معلميهم، وضعفائهم، وأسمائهم، وأنسابهم، وكناهم، ومواليدهم، وأوقات وفاتهم، ومذاهبهم، وما يُطعن به على كل واحد منهم، وما يوصف به من السداد، وكان في آخر عمره قد انتهى هذا العلم إليه، حتى لم يبق في زمانه من يتقدمه فيه في الدنيا، ثم قال الخطيب البغدادي عنه: "وكان كثير الغرائب، ومذهبه في التشيع معروف"، وَقَالَ أيضاً على لسان أبي الحسن: قَالَ لي الثقة من أصحابنا ممن كان يعاشره أي ابن الجعابي: أنه كان نائماً فكتبت على رجله كتابة، قَالَ: فكنت أراه إلى ثلاثة أيام لم يمسه الماء⁽¹⁾، قال الحاكم سألت الإمام الدارقطني عن ابن الجعابي: هل تغير عن ما عهدناه، فقال: وأي تغيير، ترك الصلاة والدين⁽²⁾، قال ابن الجوزي: كان الجعابي يتشيع، ويسكن باب البصرة، وقد حُكي عنه قلة دين، وشرب الخمر⁽³⁾، ومات في سنة 355 هجرية.

2. محمد بن الفرخان أبو الطيب الدوري، قال عنه الخطيب البغدادي: وقد ذكر لي بعض أصحابنا: أنه رأى لمحمد بن الفرخان أحاديث كثيرة منكرة بأسانيد واضحة،

(1) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. 4 / ص 42.

(2) سير أعلام النبلاء للذهبي. 16 / ص 91.

(3) المنتظم في أخبار الملوك والأمم. 14 / ص 180.

وكان غير ثقة⁽¹⁾، وقال عنه الذهبي: له خبر كذب في موضوعات ابن الجوزي في الدجاج والحمام⁽²⁾، وقد ذكره ابن الجوزي في الأحاديث الموضوعية، مات بعد سنة 359 هجرية بقليل.

3. محمد بن فارس المعروف بالمعدي، قال الخطيب البغدادي: سألت أبا نعيم عنه، فقال: كان رافضياً غالباً في الرفض، وكان أيضاً ضعيفاً في الحديث، وقال أيضاً: حدث عن أبي الحسن محمد بن العباس بن الفرات، قال: توفي أبو بكر محمد بن فارس "المعدي" في سنة 361 هجرية، وكان غير ثقة، ولا محمود المذهب⁽³⁾، وقال عنه ابن حجر العسقلاني رافضياً بغيض⁽⁴⁾.

4. عبد العزيز بن إسحاق المعروف بابن البقال، قال محمد بن أبي الفوارس: توفي أبو القاسم عبد العزيز بن إسحاق سنة 361 هجرية، وكان له مذهب خبيث، ولم يكن في الرواية بذلك، سمعت منه أجزاء فيها أحاديث رديئة⁽⁵⁾.

5. الحسن بن الحسين النوبختي، قال الأزهرى: كان النوبختي رافضياً رديء المذهب⁽⁶⁾، وقال ابن الجوزي: سماعه صحيح لكنه رافضى معتزلي مات سنة 452 هجرية⁽⁷⁾.

6. العباس بن عمر بن العباس يعرف بابن مروان الكلوذاني، قال الخطيب البغدادي: كتبت عنه، وكان خبيث المذهب رافضياً، وكان غير ثقة في الحديث، دفع إلي جزءاً؛

(1) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. 4 / ص 281.

(2) ميزان الاعتدال للذهبي. 4 / ص 4

(3) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. 4 / ص 271.

(4) لسان الميزان لابن حجر العسقلاني. 7 / ص 436.

(5) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. 12 / ص 288.

(6) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. 8 / 253.

(7) لسان الميزان لابن حجر العسقلاني. 2 / ص 201.

ذكر أنه سمعه من عم أبيه، عَنْ حميد بن الربيع، والحسن بن عرفة، ونحوهما، فكتبت منه أوراقاً، ثم بدا لي فرددته عليه، وخرقت ما كتبت منه⁽¹⁾.

7. محمد بن عبد الله أبو الفضل الشيباني، الكذاب الذي يضع الأحاديث على النبي صلى الله عليهم وسلم، كتبوا عنه بانتخاب الدارقطني ثم بان كذبه فمزقوا حديثه وكان بعد يضع الأحاديث للرافضة مات سنة 387 هجرية وله 90 سنة فمن موضوعاته بإسناد له أن نبياً شكاً إلى الله جبن قومه فقال له: مرهم أن يستفوا الحرمل فإنه يذهب الجبن، وقال الأزهري كان يخلط وأساء الثناء عليه وقال كان دجالاً كذاباً ما رأيت له أصلاً قط واتهمه الدارقطني بالتركيب⁽²⁾.

8. محمد بن محمد النعمان المعروف بالشيخ المفيد، ابن المعلم، وقد ترجم له الخطيب البغدادي بقوله: شيخ الرافضة، والمتعلم على مذاهمهم، صنف كتباً كثيرة في ضلالاتهم، والذب عن اعتقاداتهم ومقالاتهم، والطعن على السلف الماضين من الصحابة والتابعين وعامة الفقهاء المجتهدين، وكان أحد أئمة الضلال. هلك به خلق من الناس إلى أن أراح الله المسلمين منه، ومات في يوم الخميس ثاني شهر رمضان من سنة 413 هجرية⁽³⁾. وقال ابن الجوزي: عالم الرافضة صاحب التصانيف التي طعن فيها على السلف، وكان أبوه معلماً بواسط وولد بها وقتل بعكبراء ويقال إن عضد الدولة كان يزوره في داره ويعوده إذا مرض⁽⁴⁾، وعندما مات جلس للتهنئة بموته الشيخ الجليل ابن النقيب مسرور بموته، وقال: ما أبالي أي وقت مت بعد أن شاهدت موت ابن المعلم.

(1) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. 14 / ص 57.

(2) لسان الميزان لابن حجر العسقلاني. 5 / ص 231.

(3) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. 3 / ص 450.

(4) لسان الميزان لابن حجر العسقلاني. 5 / ص 368.

9. أبو القاسم الكوفي: علي بن أحمد العلوي الكوفي، باحث، متفلسف، من غلاة الشيعة، من أهل الكوفة، كانت بدايته على طريقة الإمامية وصنف كتباً في الفقه وكتاب الأوصياء، ثم أظهر مذهب الخمسة القائلين بألوهية علي بن أبي طالب، وبأن سلمان الفارسي، والمقداد، وأبا ذر، وعمار بن ياسر، وعمرو بن أمية الضميري، الموكلون بمصالح العالم من الرب، وألف كتاباً في هذا وغيره⁽¹⁾.
10. محمد بن أحمد بن داود بن علي القمي، البغدادي، أبو الحسن، فقيه، ومحدث، ورد بغداد وأقام بها وحدث، وتوفي ودفن في مقابر قريش في الجانب الغربي من بغداد، ومن أثاره كتاب المزار الكبير، وكتاب الذخائر، كتاب الممدوحين والمذمومين⁽²⁾ وله تصانيف أخرى كثيرة.
11. علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر، ولد سنة 355 هجرية، وكان من المقربين جداً من القادة البويهيين، يقول ابن الجوزي: وكان يميل إلى الاعتزال وينظر عنده في كل المذاهب وكان يظهر مذهب الإمامية ويقول فيه العجب وله تصانيف على مذهب الشيعة فمنها كتابهم الذي ذكر فيه فقههم وما انفردوا به نقلت منه مسائل من خط أبي الوفاء بن عقال وأنا أذكر هنا شيئاً منها فمنها: لا يجوز السجود على ما ليس بأرض ولا من نبات الأرض كالصوف والجلود والوبر، وأن الاستجمار لا يجزى في البول بل في الغائط وأن الكتابيات حرام، وأن الطلاق المعلق على شرط لا يقع وإن وجد شرطه، وأن الطلاق لا يقع إلا بحضور شاهدين عدلين، ومتى حلف إن فعل كذا فامرأته طالق لم يكن يميناً، وأن النذر لا ينعقد إذا كان مشروطاً بقدوم مسافر أو شفاء مريض، وأن من نام عن صلاة العشاء إلى أن يمضي

(1) الأعلام للزركلي. 4 / ص 253.

(2) معجم المؤلفين. عمر رضا كحالة. 8 / ص 259.

نصف الليل وجب عليه إذا استيقظ القضاء وأن يصبح صائماً كفارة لذلك، وأن المرأة إذا جزت شعرها فعلها كفارة قتل الخطأ. إلى أن قال ابن الجوزي: وهذه مذاهب عجيبة تخرق الإجماع وأعجب منها ذم الصحابة⁽¹⁾. فقد أورد ابن الجوزي كلاماً طويلاً يبين طعنه وذمه للصحابة، يُمكن الرجوع إليه في كتابه المنتظم، وهو أكبر من أخيه الرضي وكان يلقب بالمرتضى ذي المجدين، وله نقابة الطالبين في عهد البويهيين.

12. محمد بن علي بن بايويه، أبو جعفر العمي، نزل بغداد وحدث بها عن أبيه، وكان من شيوخ الشيعة، ومشهوري الرافضة⁽²⁾، توفي سنة 367 هجرية في مدينة الري في فارس، يقول الذهبي عنه: رأس الإمامية صاحب التصانيف السائرة في الرافضة⁽³⁾.
13. أحمد بن عبد الله بن أحمد بن جليل أبو بكر الدوري الوراق، قال ابن الجوزي عنه: رافضي بغيض كان ببغداد، مات سنة 379 هجرية، عن 80 سنة، قال الخطيب البغدادي: كان رافضياً مشهوراً بذلك⁽⁴⁾.

14. أحمد بن محمد بن السري بن يحيى بن أبي دارم المحدث أبو بكر الكوفي الرافضي الكذاب. مات في أول سنة 352 هجرية، قال عنه الحاكم: رافضي غير ثقة، من جملة ما قاله في قوله تعالى: {وجاء فرعون} عمر {ومن قبله} أبو بكر {والمؤتفكات} عائشة وحفصة⁽⁵⁾، قبحه الله من قول.

15. الحسن بن محمد بن إسماعيل بن أشناس، ويكنى أبا علي ويعرف بابن الحمامي البزاز، كتبت عنه شيئاً يسيراً، وكان سماعه صحيحاً إلا أنه كان رافضياً خبيث المذهب، وكان

(1) المنتظم في أخبار الملوك لابن الجوزي. 15 / ص 294.

(2) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. 3 / ص 303.

(3) سير أعلام النبلاء للذهبي. 16 / ص 303.

(4) لسان الميزان لابن حجر العسقلاني. 1 / ص 499.

(5) لسان الميزان لابن حجر العسقلاني. 1 / ص 609.

له مجلس في داره بالكرخ بحضره الشيعة، ويقراً عليهم مثالب الصحابة، والطعن على السلف، ولد سنة 359 هجرية، ومات في سنة 439 هجرية (1).

وهذه عينة ونماذج من بين مئات المحدثين، والفقهاء، والمؤلفين الذين دعمتهم الدولة البويهية ورعتهم، ونشطوا في الطعن بأصول الدين في ظل هذه الدولة، وإذا أردنا أن نتوسع في إحصاء كل الناشطين في تلك الحقبة لاحتجنا أن نجعله كتاباً منفصلاً عن هذا، ولكن بهذه العينة البسيطة نكتفي بما أردنا إثباته.



قبر الشيخ المفيد في داخل مشهد موسى الكاظم رضي الله عنه في منطقة الكاظمية بجانب الكرخ من بغداد، وبجانبه قبر الطوسي وهما مرقدان ومزاران تزورهم الناس وتترك بهم.

(1) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. 8 / ص 545.

تشجيع الغلاة على إظهار مذهبهم والشغب في بغداد.

إضافة إلى ما تقدم من دعم قادة الدولة البويهية للفقهاء، والعلماء، والكتاب، والمؤلفين بالطعن في أصول الدين، والإساءة لرموز المسلمين، شجعوا كذلك أتباع الغلاة في بغداد على إعلان مذهبهم الغالي، والجهر بكل المظاهر الشركية، والاستفزازية للمسلمين، إضافة إلى لعنهم للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين علناً وجهاً نهاراً، وكذلك شغفهم المتواصل في بغداد، من قتل، وحرق، ونهب، يقول ابن كثير: كتبت العامة من الروافض على أبواب المساجد في بغداد: لعن الله معاوية بن أبي سفيان ولعن من غصب فاطمة فدك - يعنون أبا بكر رضي الله عنه - ومن أخرج العباس من الشورى - يعنون عمر، رضي الله عنه - ومن نفى أبا ذر - يعنون عثمان رضي الله عنه - ومن منع دفن الحسن عند جده - يعنون مروان بن الحكم -، ولما بلغ ذلك معز الدولة لم ينكره ولم يغيره، ثم بلغه أن أهل السنة محوا ذلك، فأمر بأن يكتب: لعن الله الظالمين لآل محمد من الأولين والآخرين، والتصريح باسم معاوية في اللعن، فكتب ذلك. قبح الله معز الدولة وشيعته من الروافض!⁽¹⁾

وفي أثناء تولي معز الدولة البويهي الحكم في بغداد، أمر أن تُغلق الأسواق، وتُعطّل الحياة بشكل كامل، فلم يسمح للناس حتى أن يستقوا الماء، ومنع القصابون من الذبح وبيع اللحم، وأمر البويهي بنصب القباب في الأسواق، وعُلقت عليها المسوح، وخرجت النساء منتشرات الشعور يلطمن في الأسواق، وأقيمت النائحة على الحسين عليه السلام⁽²⁾، كالمظاهر التي نشاهدها اليوم في مواسم عاشوراء في العراق، والمسرحيات والمشاهد التي يُسب ويُلعن فيها الصحابة، وفي السنة التي تلتها وفي نفس الموسم من عاشوراء أعادوا الغلاة

(1) البداية والنهاية لابن كثير. 15 / ص 255.

(2) المنتظم في أخبار الدول والأمم لابن الجوزي. 14 / ص 150.

الكرة مرة أخرى، فحصلت فتنة عظيمة بسبب تلك المظاهر الشركية الاستفزازية التي شجع عليها بنو بويه، فقاتلهم الناس ووقعت بينهم إصابات وجراحات.

واستمرت هذه المظاهر كل سنة في موسم عاشوراء، وكذلك في يوم غدیر خم يمارسون فيه كل الطقوس الشركية والبدیعة، وأصبحت أمراً راتباً يتكرر في كل سنة، ولم يستطع أحد أن يمنعهم من ذلك، لضعف الدولة العباسية، وتسلبت الدولة البويهية على الحكم بشكل كامل، يقول ابن الجوزي في استمرار مواسم عاشوراء: "أنه عمل ببغداد ما قد صار الرسم به جارياً في كل يوم عاشوراء من غلق الأسواق، وتعطيل البيع والشراء، وتعليق المسوح⁽¹⁾، قال ابن كثير: وعملت الروافض في عاشوراء المأتم، وفي يوم غدیر خم الهناء والسرور⁽²⁾، فكانوا في كل موسم عاشوراء ينصبون المأتم ويظهرون الحزن زوراً على مقتل الحسين عليه السلام، وفي يوم غدیر خم يُظهرون الفرح والسرور مدعين كذباً وزوراً أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أوصى بالخلافة إلى الخليفة الراشد علي بن أبي طالب، وكانت هذه المظاهر التي تبنتها وشجعت على فعلها الدولة البويهية لم يكن أهالي بغداد معتادين عليها حتى الشيعة منهم، وهي مظاهر وطقوس دخيلة، خليط من عقائد المجوس والوثنيين دخلت إلى بغداد بدخول البويهيين إليها.

وفي سنة 443 هجرية تمادى الغلاة الشيعة وحصل اقتتال كبير بينهم وبين عوام المسلمين وذلك أن الغلاة نصبوا أبراجاً، وكتبوا عليها بالذهب: "محمد وعلي خير البشر، فمن رضي فقد شكر، ومن أبي فقد كفر"، فأنكرت السنة اقتران علي مع محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الشكل، فنشبت الحرب بينهم، واستمر القتال بينهم فترة طويلة، فأحرقت المشاهد ونبشت القبور بين الطرفين، حتى هم الغلاة إلى نبش قبر الإمام أحمد بن

(1) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. 14 / ص 210.

(2) البداية والنهاية لابن كثير. 15 / ص 314.

حنبل فمنعهم من ذلك نقيب العلويين، وسقط كثير من القتلى، ونهبت الدور والمحلات، فكانت فتنة عظيمة ذهب ضحيتها كثير من الأبرياء، وهذه بعض نتائج تشجيع الدولة البويهية على إظهار البدع الشنيعة التي استفزوا بها المسلمين، وتحدوا فيها العالم الإسلامي في سبهم ولعنهم للصحابة وطعنهم بالسنة، وكذبهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولم تنقطع هذه المظاهر حتى بعد سقوط دولة بني بويه، فقد شاعت الفتنة وعظم الأمر، وتلقفتها الغلاة في كل مكان، وأصبح الأمر خارجاً عن السيطرة، بل هي مستمرة إلى يومنا هذا، فهذه النجف، وكربلاء، وبغداد، وغيرها من المحافظات العراقية اليوم، وفي مواسم عاشوراء يمارس غلاة الشيعة نفس الطقوس القديمة أيام الدولة البويهية، ويجاهرون في سب الصحابة ولعنهم، ويطعنون بالنبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، ويشككون في سنته ويردوها، وكل هذه المظاهر المستفزة للعالم الإسلامي تُقام برعاية، وحماية الدولة العراقية المرتبطة بدولة إيران في قم وهم امتداد للدولة البويهية قديماً.

وفي سنة 482 هجرية أي بعد سقوط دولة بني بويه بأكثر من 30 سنة يقول ابن كثير: كانت فتن عظيمة بين الروافض والسنة، ورفعوا المصاحف وجرت حروب طويلة، وقتل خلق كثير قريب من مائتي رجل، وسب أهل الكرخ الصحابة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وارتفعوا إلى سب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلوا ذلك. وإنما حكيت هذا ليعلم الواقف عليه ما في طوايا الروافض من الخبث والبغض لدين الإسلام وأهله والعداوة الباطنة الكامنة في قلوبهم لله ولرسوله وشريعته⁽¹⁾.

ولقد ذكرنا في الأحداث خلال فترة حكم البويهيين ظهور وسيطرة العياريين في بغداد، وهم لفيف من اللصوص، وقطاع الطرق، وأهل الدعارة، فأصبحوا قوة لا يستهان بها في بغداد، وقد أفسدوا أين ما حلوا، وبعد سنة 400 هجرية تصدر هؤلاء كل أعمال الشغب

(1) البداية والنهاية لابن كثير. 16 / ص 113.

في بغداد، وانظموا في مواسم عاشوراء مع غلاة الشيعة وتقدموا الصفوف في الطقوس، فقاموا بتعليق المسوح، وأقيم النوح والمشاهد في بغداد، فتجددت على إثرها الخلافات



صور افتراضية لمدينة بغداد قديما

الفصل الرابع:

- تمهيد
- الخليفة القادر بالله يطعن بنسب الفاطميين العلويين.
- الخليفة القادر بالله يستتبع المعتزلة وغلاة الشيعة وباقي المبتدعة.
- الخليفة القادر بالله يكتب وثيقة بإبطال منح الغلاة سنة 420 هجرية.
- محمود بن سُبُكْتِكِين قاهر الغلاة والمبتدعة .
- الخليفة القائم بأمر الله يكتب وثيقة الاعتقاد بالله سنة 433 هجرية.
- الخليفة القائم بأمر الله على خطى أبيه في رد نسب الفاطميين في مصر.
- بعض العلماء الذين تصدوا للأفكار المنحرفة زمن البويهيين.

تمهيد.

بعد أن ذكرنا تجاوزات البويهيين في بغداد ودعمهم للغلاة والمفسدين، وجب علينا أن نظهر المواقف البطولية والشجاعة التي قام بها بعض الخلفاء، والأمراء، والعلماء، التي وقفوا بها ضد الانحرافات الفكرية وتصدوا لها ولأصحابها بالحجة والبرهان، وقاتلوهم بالسيف، ولاحقوهم في كثير من بلدان المسلمين بخاصة في مناطق بلاد فارس، التي كانت منبعاً لهذه الانحرافات، في حملة عسكرية كبيرة قادها الملك الشجاع، والأمير المطاع محمود بن سُبُكْتِكِين، بأمر من الخليفة العادل القادر بالله، والذي قام بدوره في كتابة وثيقة ألزم فيها الجميع بمنهج أهل السنة والجماعة، وأبطل فيها كل العقائد الفاسدة التي حاول غلاة الشيعة والباطنيين أن يبثوها في المجتمع الإسلامي، واستطاع الخليفة القادر بالله أن يحيط بالفتنة ويقوضها ويمنع انتشارها.

كما أن هنالك كثير من العلماء، والفقهاء، والدعاة، والمصلحين الذين وقفوا بوجه هذا التيار الفكري المنحرف، وردوه بالحجة والبرهان، وبينوا رجالاته ودعاته الغلاة، وفندوا أقاويلهم، وكشفوا أكاذيبهم وأباطيلهم.

فجاء هذا الفصل لإبراز موقف الخليفة القادر بالله وتأصيله لعقيدة أهل السنة والزام الناس بها، وتكفير من قال بخلق القرآن، أو طعن بأصول الدين، وكذلك الوقوف على حملة الملك بن سُبُكْتِكِين في فارس وما حولها ضد الباطنيين وغلاة الشيعة حتى قتل منهم خلقاً كثيراً وأخمد فتنتهم في تلك المناطق، وكذلك مواقف الخليفة القائم بأمر الله ضد الغلاة على خطى أبيه رحمهم الله.

وقد أفردنا هذه المواقف وأخرجناها من سياقها التاريخي عندما ذكرنا تسلسل الأحداث لقيام الدولة البويهية حتى سقوطها، وذلك لنضعها مجموعة مقابل ما جمعناه من مواقف الغلاة التي ذكرناها وعرفنا برجالها في الفصل الذي قبله.

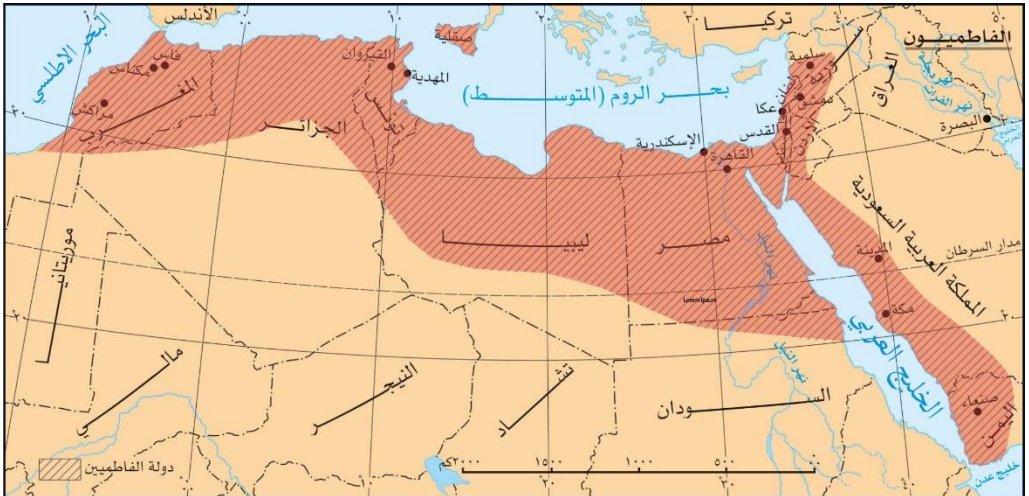
الخليفة القادر بالله يطعن بنسب الفاطميين العلويين.

قاد الخليفة القادر بالله حملة كبيرة في محاربة أصحاب البدع، والمنحرفين عن منهج الله القويم، الذين يسعون لإفساد الدنيا والدين، وشملت هذه الحملة أوجه عديدة منها ما يتعلق بالأفكار والمعتقدات، ومنها أوامره لابن سُبُكْتِكِين للتصدي لبعضهم بالسيف والقتل، ومنها ما يتعلق بالفاطميين الذي ادعوا نسبهم زوراً لأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، فشمّر أمير المؤمنين عن ساعديه، وكشف كذب وادعاء هؤلاء، وبَيَّن حقيقة نسبهم الخبيث.

فبعد أن سيطر الفاطميين على أجزاء كبيرة من أراضي الدولة الإسلامية، واستقر مقر حكمهم في مصر، وأعلنوا عن دولتهم الفاطمية، وصرحوا علناً بكل عقائدهم الفاسدة، نسبوا أنفسهم زوراً إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، والنبي وأهل بيته منهم براء. ولم تكن للخلفاء الذين سبقوا القادر بالله في مرحلة ضعف الدولة العباسية أن يتصدوا لهؤلاء ويردوا نسبهم إلى جدهم الخبيث، بسبب تسلط سلاطين بني بويه على قرار الخليفة، ولكن بعد وصول الخليفة القادر بالله إلى عرش السلطة قاد حملة كبيرة ضد هؤلاء المدعين، ففي سنة 402 هجرية طعن الخليفة القادر بالله من بغداد في نسبهم، وكتب بذلك محضراً، وأشهد عليه كبار العلماء، والفقهاء، والقضاة، وتضمن المحضر القدر في نسب المدعين أصحاب الدولة الفاطمية في مصر.

يقول ابن كثير: كُتِبَ في بغداد محاضر تتضمن الطعن والقدر في نسب الخلفاء المصريين الذين يدعون أنهم فاطميون وليسوا كذلك، ونسبتهم إلى ديصان بن سعيد الخرمي، وكتب في ذلك جماعة من العلماء، والقضاة، والفقهاء، والأشراف، والأمثال، والمعدلين، والصالحين، شهدوا جميعاً أن الناجم بمصر - وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم، حكم الله عليه بالبوار، والخزي والدمار، والنكال والاستئصال، ابن معد بن

إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد، لا أسعده الله، فإنه لما صار إلى بلاد المغرب تسمى بعبيد الله، وتلقب بالمهدي - ومن تقدم من سلفه من الأنجاس والأرجاس - عليه وعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين - أذعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب ولا يتعلقون بسبب، وأنه منزه عن باطلهم، وأن الذي ادعوه من الانتساب إليه باطل وزور، وأنهم لا يعلمون أحداً من أهل بيوتات الطالبين توقف عن إطلاق القول في هؤلاء الخوارج أنهم أذعياء، وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعاً في الحرمين، وفي أول أمرهم بالمغرب منتشراً انتشاراً يمنع أن يدلّس على أحد كذبهم، أو يذهب وهم إلى تصديقهم فيما ادعوه، وأن هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار فساق فجار، ملحدون زنادقة معطلون، وللإسلام جاحدون، ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون، قد عطلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمر، وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية، وكتب في ربيع الآخر سنة 402 هجرية⁽¹⁾.



خريطة توضيحية تبين سيطرة الفاطميين على مساحات كبيرة في قرارة آسيا وإفريقيا.

(1) البداية والنهاية لابن كثير. 15 / ص 538.

الخليفة القادر بالله يستتیب المعتزلة وغلاة الشيعة وباقي المبتدعة.

استمر الخليفة القادر بالله في حملته لمحاربة المبتدعة وأصحاب الأهواء والغلاة، الذين نشطوا بعد أن سيطرت الدولة البويهية على مفاصل الحكم في الدولة العباسية لأكثر من 70 سنة، قبل أن يأتي القادر بالله للخلافة، وهي الفترة التي سُلبت فيها حق الخلافة، وحق الأمة في الحكم والسلطان بشكل كامل، إلى أن بدأت الدولة البويهية بالضعف والانحدار، ومقابل هذا الضعف مكن الله لبعض القادة من الظهور وامتلاك أسباب القوة، ومنهم الملك الشجاع محمود بن سُبُكْتِكِين، الذي بدأ يسيطر على المدن والقلاع في بلاد فارس، وكان ارتباطه بالخليفة القادر بالله ارتباطاً مباشراً دون المرور بسلاطين الدولة البويهية، وكان بن سُبُكْتِكِين يوقر الخليفة ويعظمه ويظهر له كل الطاعة والانقياد.

وكان للخليفة القادر بالله أثر كبير في إخماد كثير من الفتن التي وقعت في بغداد، كما له الفضل الكبير في إعادة هيبة الخلافة إلى مكانتها الصحيحة بعد أن سلبتها الدولة البويهية لفترات طويلة، وما زالت الدولة البويهية إلى هذا التاريخ تفرض سيطرتها على بغداد بشكل كامل، إلا أن نجمهم بدأ بالهبوط، وبدأت قوتهم تخور وتضعف.

وخلال كل تلك الفترة المنصرمة وبسبب تسلط الدولة البويهية على الحكم في بغداد، وإعطاء المجال واسعاً لأهل الأهواء، والمبتدعة، وأصحاب فكر الغلاة، انتشرت فتنهم في كل مكان، وأصبح مفكروهم، ودعاتهم، وفقهاؤهم، ومحدثوهم يطعنون بأصول الدين جهاراً نهاراً، ويكفرون الصحابة، ويطعنون بعرض النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يستطع أحد من الوقوف بوجههم أو محاولة إيقافهم، ولا حتى الخلفاء السابقين بسبب ضعفهم وقلة حيلتهم، ولكن بعد وصول القادر بالله إلى الخلافة -ولعل الله أراد بتوليمهم إياه وخلع

الطائع لله خيراً للأمة- وبعد أن بدأت الدولة البويهية بالضعف، وظهور الملك محمود بن سُبُكْتِكِين، في فارس وما حولها، تحرك الخليفة لإيقاف هؤلاء الغلاة والمبتدعة.

وفي سنة 408 هجرية، استتاب الخليفة القادر بالله أهل البدع والأهواء من المقالات الفاسدة، ونهى عن المناظرة والجدال في علم الكلام، وما يتعلق بالمذاهب الخارجة عن الإسلام، وأخذ خطوطهم بذلك، وأنهم متى عادوا حلت دماؤهم، وأرسل بالأمر إلى محمود بن سُبُكْتِكِين، فامتثل لأمر الخليفة، وفعل في بلاد فارس مثل ذلك، فنفى المشبهة والجهمية وغيرهم، وأمر بلعنهم على المنابر، وصار ذلك سنة في الإسلام⁽¹⁾.

وفي السنة التي تليها أي سنة 409 هجرية أصدر الخليفة أمراً وكتبه وقرى في حضرته داخل دار الخلافة، والكتاب ينص على تقرير مذهب أهل السنة والجماعة، وقيل فيه: من قال إن القرآن مخلوق فهو كافر حلال الدم، وهذه أيضاً من فضائل الخليفة القادر بالله في محاربته لأهل البدع، واسترجاع مذهب أهل السنة والجماعة قبل ظهور فتنة خلق القرآن، فجراه الله عنا كل خير.

(1) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي. 18 / ص 264.

الخليفة القادر بالله يكتب وثيقة بإبطال منهج الغلاة سنة 420 هجرية.

واصل الخليفة القادر بالله حملته ضد أصحاب المعتقدات المنحرفة والأفكار المضللة، من البطانية، والمعتزلة، وغلاة الشيعة، وإبطال كل معتقداتهم ومنعهم بالقوة من ممارستها، بالتوازي مع نشر العلم والفقه، والعقيدة الصحيحة لمنهج النبي صلى الله عليه وسلم، وهو منهج أهل السنة والجماعة بين الإفراط والتفريط، وتقرير ذلك كله بشهود العلماء والقضاة والفقهاء، وكتب بذلك محضراً بحضور الجميع.

وفي سنة 420 هجرية جمع الخليفة القادر بالله الأشراف، والقضاة، والفقهاء، والشهود في دار الخلافة وقرأ عليهم كتاباً طويلاً كتبه الخليفة القادر بالله بنفسه يتضمن الوعظ وتفضيل مذهب السنة، والطعن على المعتزلة وإيراد الأخبار الكثيرة في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، وفي يوم الخميس لعشر بقين من شهر رمضان: جمع الخليفة مرة أخرى الأشراف، والقضاة، والشهود، والفقهاء، والوعاظ، والزهاد إلى دار الخلافة، وقرأ عليهم أبو الحسن بن حاجب النعمان كتاباً طويلاً جمعه الخليفة القادر بالله، وذكر فيه أخباراً من أخبار النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، وما روي عنه في عدة أمور من الدين وشرائعه، وخرج من ذلك إلى الطعن على من يقول بخلق القرآن وتفسيره، ثم ختم القول بالوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخذت في آخر الكتاب خطوط الحاضرين وسماعهم بما سمعوه، وفي يوم الاثنين غرة ذي القعدة: جمع الخليفة القضاة والشهود والفقهاء والوعاظ والزهاد إلى دار الخلافة مرة ثالثة، وقرأ عليهم كتاباً طويلاً جداً يتضمن ذكر أبي بكر وعمر وفضائلهما، ووفاة النبي صلى الله عليه وسلم، والطعن على من يقول بخلق القرآن، وأقام الناس إلى بعد العتمة حتى استوفيت قراءته، ثم أخذت خطوطهم في آخره بحضورهم وسماع ما سمعوه⁽¹⁾، واستمر كذلك في حملته حتى حارب الخطباء والدعاة من غلاة الشيعة في بغداد وعزلهم عن الخطبة في المساجد، ونصب بدلاً عنهم خطباء على منهج أهل السنة والجماعة من غير غلو ولا جفاء.

(1) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. 15 / ص 202.

محمود بن سُبُكْتِكِين قاهر الغلاة والمبتدعة.

الملك العادل، والأمير الصالح، سيف الدولة، ويميناها، أمين الملة، فاتح الهند، وهادم قلاعهم، وكاسر أصنامهم، مذل ملوكهم وأمرائهم.

الشاب الهمام، والفتى الضرغام، والفارس المقدام، محارب البدعة، وناصر السنة، قاتل الملاحدة وأعداء الملة، خامد الفتن، وقامع المحن، وناشر الدعوة والدين، القائد الإمام محمود بن سُبُكْتِكِين

شاب في بداية العشرينيات من عمره، يقود الجيوش، ويفتح البلدان، ويكسر الحصون، هابته جبابرة الأرض وملوكها، فأذل الله له رقابهم، ومكنه منهم، حتى دمر قلاعهم، وهزم جيوشهم، وغنم أموالهم، أمير الغزاة والفتاحين، وقدوة الشباب المجاهدين.

كان مرتبطاً بالخليفة ارتباطاً وثيقاً، معظماً وموقراً له، ولا يخرج عن رأيه ولا أمره، وكان قد عظم شأنه، وذاع صيته، وسيطر على كثير من بلدان فارس، حاول الفاطميين في مصر أن يستميلوه إليهم، فكتبوا له وأرسلوا الرسل، فبصق في كتابهم، وأمر بحرقه، وأسمع رسولهم غليظ الكلام وأعادته إلى مصر، ثم كتب إلى الخليفة يخبره بذلك.

كان من الأمراء والقادة المسلمين الذين وقفوا مع الخليفة في حملته ضد الفرق والجماعات المنحرفة، وتولى بنفسه محاربة هؤلاء الفسدة، والمبتدعة، فقد لاحق بن سُبُكْتِكِين هؤلاء المنحرفين في بعض بلاد فارس التي يحكمها، وقتلهم شر قتلة، وقضى على دعوتهم هناك، وكانت آخر رسالة أرسلها إلى الخليفة القادر بالله متضمنة انتصاراته عليهم والقضاء على فتنهم في سنة 420 هجرية نوردها هنا كما أوردها ابن الجوزي في كتابه المنتظم، وقد جاء فيها: "سلام على سيدنا ومولانا الإمام القادر بالله أمير المؤمنين، فإن كتاب العبد صدر من معسكره بظاهر الري غرة جمادى الآخر سنة 420 هجرية، وقد أزال الله عن هذه البقعة أيدي الظلمة وطهرها من دعوة الباطنية الكفرة والمبتدعة الفجرة،

وقد تناهت إلى الحضرة المقدسة حقيقة الحال في ما قصر العبد عليه سعيه واجتهاده من غزو أهل الكفر والضلال، وقمع من نبغ ببلاد خراسان من الفئة الباطنية الفجار، وكانت مدينة الري مخصصة بالتجائهم إليها وإعلانهم بالدعاء إلى كفرهم فيها، يختلطون بالمعتزلة المبتدعة والغالية من الروافض المخالفة لكتاب الله والسنة يتجاهرون بشتم الصحابة ويسرون اعتقاد الكفر ومذهب الإباحة، وكان زعيمهم رستم بن علي الديلمي، فعطف العبد عنانه بالعساكر فطلع بجرجان وتوقف بها إلى انصراف الشتاء، ثم دلف منها إلى دامغان، ووجه علياً الحاجب في مقدمة العسكر إلى الري، فبرز رستم بن علي من وجاره على حكم الاستسلام والاضطرار، فقبض عليه وعلى أعيان الباطنية من قواده.

وظلعت الرايات أثر المقدمة بسواد الري، وخرج الديالمة معترفين بذنوبهم شاهدين بالكفر والرفض على نفوسهم، فرجع إلى الفقهاء في تعرف أحوالهم، فاتفقوا على أنهم خارجون عن الطاعة وداخلون في أهل الفساد مستمرين على العناد، فيجب عليهم القتل والقطع والنفي على مراتب جنائياتهم، وإن لم يكونوا من أهل الإلحاد فكيف واعتقادهم في مذاهبهم ولا يعدو ثلاثة أوجه تسود بها الوجوه يوم القيامة التشيع والرفض والباطن، وذكر هؤلاء الفقهاء أن أكثر القوم لا يقيمون الصلاة، ولا يؤتون الزكاة، ولا يعرفون شرائط الإسلام، ولا يميزون بين الحلال والحرام، بل يجاهرون بالقذف وشتم الصحابة، ويعتقدون ذلك ديانة، والأمثل منهم يتقلد مذهب الاعتزال، والباطنية، منهم من لا يؤمن بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأنهم يعدون جميع الملل مخاريق الحكماء، ويعتقدون مذهب الإباحة في الأموال والفروج والدماء، وحكموا بأن رستم بن علي كان يظهر التستر ويتميز به عن سلفه إلا أن في حبالته زيادة على خمسين امرأة من الحرائر ولدن 33 نفساً من الذكور والإناث، وحين رجع إليه في السؤال عن هذه الحال، وعرف أن من يستجيز مثل هذا الصنيع مجاوز كل حد في الاستحلال ذكر أن هذه العدة من النساء

أزواجه، وأن أولادهن أولاده، وأن الرسم الجاري لسلفه في ارتباط الحرائر كان مستمراً على هذه الجملة، وأنه لم يخالف عاداتهم في ارتكاب هذه الخطيئة، وأن ناحية من سواد الري قد خصت بقوم من المزدكية يدعون الإسلام بإعلان الشهادة، ثم يجاهرون بترك الصلاة والزكاة والصوم والغسل وأكل الميتة، ففضى الانتصار لدين الله تعالى بتميز هؤلاء الباطنية عنهم، فصلبوا على شارع مدينة طالما تملكوها غصباً واقتسموا أموالها نهياً، وقد كانوا بذلوا أموالاً جمّة يفتدون بها نفوسهم، فعرفوا أن الغرض نهب نفوسهم دون العرض وحول رستم بن علي وابنه وجماعة من الديلمة إلى خراسان، وضم إليهم أعيان المعتزلة والغلاة من الروافض ليتخلص الناس من فتنهم، ثم نظر فيما اختزنه رستم بن علي بن الأثاث فعثر من الجواهر ما يقارب خمسمائة ألف دينار، ومن النقد على 260 ألف دينار، ومن الذهبيات والفضيات على ما بلغ قيمة 30 ألف دينار، ومن أصناف الثياب على 5 آلاف 300 ثوب، وبلغت قيمة الدسوت من النسيج والخزوانيات 20 ألف دينار، ووقف أعيان الديلم على 200 ألف دينار، وحول من الكتب 50 حملاً ما خلا كتب المعتزلة والفلاسفة والروافض فإنّها أحرقت تحت جذوع المصلبين، إذ كانت هذه أصول البدع، فخلت هذه البقعة من دعاة الباطنية وأعيان المعتزلة والروافض، وانتصرت السنة فطالع العبد بحقيقة ما يسره الله تعالى لأنصار الدولة القاهرة⁽¹⁾.

(1) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. 15 / ص 196.

ال خليفة القائم بأمر الله يكتب وثيقة الاعتقاد القادري سنة 433 هجرية.

وكان الخليفة القائم بأمر الله على خطى أبيه الخليفة العادل القادر بالله الذي حارب أهل الأهواء والبدع والمعتقدات المنحرفة، وأرسى عقيدة أهل السنة والجماعة، بعد أن شاعت عقيدة الباطنية والمعتزلة والإباحية وغيرها، وبعد أن توفاه الله سنة 422 هجرية والذي عهد بالخلافة إلى ولده القائم بأمر الله، أكمل الخليفة طريق أبيه الخليفة.

وفي سنة 433 هجرية قرأ الاعتقاد القادري الذي كتبه الخليفة القادر بالله في ديوان الخلافة، بأمر من الخليفة القائم بأمر الله مبيناً أن هذا الاعتقاد هو اعتقاد المسلمين ومن اعتقد بغيره أو خالفه فقد فسق وكفر، وكان في هذه الوثيقة جملة طيبة من اعتقاد السلف، وقد حضر قراءة هذه الوثيقة الأشراف والفقهاء والعلماء والزهاد، ونورد مضمون الوثيقة هنا كما ذكرها الإمام ابن الجوزي في كتابه "المنتظم في أخبار الملوك والأمم":

"يجب على الإنسان أن يعلم أن الله عز وجل وحده لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له شريك في الملك وهو أول لم يزل وآخر لا يزال، قادر على كل شيء غير عاجز عن شيء إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، غني غير محتاج إلى شيء، لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، يُطعم ولا يُطعم، لا يستوحش من وحدة، ولا يأنس بشيء، وهو الغني عن كل شيء، لا تخلفه الدهور والأزمان وكيف تغيره الدهور والأزمان وهو خالق الدهور والأزمان والليل والنهار والضوء والظلمة والسموات والأرض وما فيها من أنواع الخلق والبر والبحر وما فيهما وكل شيء حي أو موات أو جماد، كان ربنا وحده لا شيء معه ولا مكان يحويه فخلق كل شيء بقدرته وخلق العرش لا لحاجته إليه فاستوى عليه كيف شاء وأراد لا استقرار راحة كما يستريح الخلق وهو مدبر السموات والأرضين ومدبر ما فيهما ومن في البر والبحر ولا مدبر غيره ولا حافظ سواه يرزقهم ويمرضهم ويعافهم ويميتهم ويحييهم، والخلق كلهم عاجزون والملائكة والنبيون والمرسلون والخلق كلهم أجمعون، وهو القادر بقدرته والعالم بعلم أزلي غير مستفاد وهو

السميع بسمع والمبصر ببصر يعرف صفتها من نفسه لا يبلغ كنهها أحد من خلقه، متكلم بكلام لا بآلة مخلوقة كآلة المخلوقين لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به نبيه عليه السلام، وكل صفة وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم فهي صفة حقيقية لا مجازية، ويُعلم أن كلام الله تعالى غير مخلوق تكلم به تكليماً وأنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل بعد ما سمعه جبريل منه فتلاه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم وتلاه محمد على أصحابه وتلاه أصحابه على الأمة ولم يصر بتلاوة المخلوقين مخلوقاً لأنه ذلك الكلام بعينه الذي تكلم الله به فهو غير مخلوق، فبكل حال متلوّاً ومحفوظاً ومكتوباً ومسموعاً ومن قال إنه مخلوق على حال من الأحوال فهو كافر حلال الدم بعد الاستتابة منه، ويُعلم أن الإيمان قول وعمل ونية وقول باللسان وعمل بالأركان والجوارح وتصديق به يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهو ذو أجزاء وشعب فأرفع أجزائه لا إله الا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد والإنسان لا يدري كيف هو مكتوب عند الله ولا بماذا يختم له فلذلك يقول مؤمن إن شاء الله وأرجو أن أكون مؤمناً ولا يضره الاستثناء والرجاء ولا يكون بهما شاكاً ولا مرتاباً لأنه يريد بذلك ما هو مغيب عنه عن أمر آخرته وخاتمته وكل شيء يتقرب به إلى الله تعالى ويعمل لخالص وجهه من أنواع الطاعات فرائضه وسننه وفضائله فهو كله من الإيمان منسوب إليه ولا يكون للإيمان نهاية أبداً لأنه لا نهاية للفضائل ولا للمتبوع في الفرائض أبداً، ويجب أن يحب الصحابة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم ونعلم أنهم خير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن خيرهم كلهم وأفضلهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ويشهد للعشرة بالجنة، ويترحم على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن سب سيدتنا عائشة رضي الله عنها فلا حظ له في الإسلام، ولا يقول في معاوية رضي الله عنه إلا خيراً، ولا

يدخل في شيء شجر بينهم ويترحم على جماعتهم، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾⁽¹⁾، وقال فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَلِّينَ﴾⁽²⁾، ولا يكفر بترك شيء من الفرائض غير الصلاة المكتوبة وحدها فإنه من تركها من غير عذر وهو صحيح فارغ حتى يخرج وقت الأخرى فهو كافر وإن لم يجدها لقوله صلى الله عليه وسلم بين العبد والكفر ترك الصلاة فمن تركها فقد كفر ولا يزال كافراً حتى يندم ويعيدها فإن مات قبل أن يندم ويعيد أو يضمهر أن يعيد لم يصل عليه وحشر مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف، وسائر الأعمال لا يكفر بتركها وإن كان يفسق حتى يجدها، ثم قال: هذا قول أهل السنة والجماعة الذي من تمسك به كان على الحق المبين وعلى منهاج الدين والطريق المستقيم، ورجا به النجاة من النار ودخول الجنة إن شاء الله تعالى وقال النبي صلى الله عليه وسلم وعلم: "الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامةهم" وقال عليه السلام: أيما عبد جاءته موعظة من الله تعالى في دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه فإن قبلها يشكر وإلا كانت حجة عليه من الله ليزداد بها إثماً ويزاد بها من الله سخطاً" جعلنا الله لآلائه من الشاكرين ولنعمائه ذاكرين وبالسنة معتصمين وغفر لنا ولجميع المسلمين.⁽³⁾ انتهى، وقد ألزم كبار فقهاءهم بالحضور والإقرار بما كُتب في الوثيقة، مثل المرتضي والرضي وابن الأزرقي الموسوي، وأبو طاهر بن أبي الطيب.

(1) الحشر: 10.

(2) الحجر: 47.

(3) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. 15 / ص 282.



مخطوطة الاعتقاد القادري، التي كتبها الخليفة القادر بالله

ال خليفة القائم بأمر الله على خطى أبيه في رد نسب الفاطميين في مصر.

استمر الخليفة القائم بأمر الله على خطى أبيه في محاربتة لأهل الأهواء، والمنحرفين، والمدعين، وقد تقدم قيام أبيه الخليفة القادر بالله بالطعن في نسب العلويين أصحاب الدولة الفاطمية في مصر سنة 402 هجرية، وبعد أن تولى ابنه الخلافة القائم بأمر الله، قام بالطعن في نسب هؤلاء المدعين زوراً نسبهم لبني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتب محاضر في الديوان سنة 444 هجرية ذكر فيها: أن صاحب مصر ومن تقدم من أسلافه بما يقدح في أنسابهم التي يدعونها، ووجد الاتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم وبعلي وفاطمة، وعزوا إلى الديصانية من المجوس والقداحية من اليهود وأنهم خارجون عن الإسلام⁽¹⁾، وقد أخذ الخليفة إقرار العلماء، والفقهاء، والأشراف، والقضاة، وأشهد على ذلك الشهود، ونسخ من هذا المحضر نسخ عديدة وأرسلت إلى الولايات والمدن الإسلامية وعليها ختم الخليفة واسمه.

(1) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. 15 / ص 336.

بعض العلماء الذين تصدوا لهذا الفكر المنحرف.

وكما كان للخليفة القادر بالله وابنه من بعده الخليفة القائم بأمر الله، والمملك العادل محمود بن سُبُكْتِكِين دوراً كبيراً في إخماد فتنة هؤلاء الباطنيين، فقد كان للعلماء، والفقهاء، والمحدثين دوراً مماثلاً لا يقل همة عن دور الخلفاء والأمراء إن لم يكن أعلى وأكبر في تصديهم للغلاة، والرد على مؤلفاتهم، والاجتهاد في مناظرتهم، وبيان أباطيلهم، حتى كشفوا حقيقة مذهبهم الفاسد، إضافة إلى نشرهم العلم، فبرز في تلك الفترة كثير من الفقهاء، والمحدثين، وكما أوردنا نماذج من الفقهاء، والعلماء الغلاة، نورد هنا بعض الفقهاء والمحدثين الذين اشتهروا بنشر العلم والرد والتأليف ومناظرة الغلاة وهم عينة من آلاف العلماء، لا يسمح المقام لذكرهم واستيعاب أعدادهم، وإن أردنا سرد أسماء فطاحل ذلك العصر لطال بنا الكلام وخرجنا عن أهداف هذا الكتاب ولكن ما نذكره أدناه فيه كفاية:

1. محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر القاضي المعروف بابن الباقلاني من أهل البصرة، سكن بغداد، وسمع بها الحديث، وخرج له: محمد بن أبي الفوارس، وكان ثقة، يقول الخطيب البغدادي: فأما علم الكلام فكان أعرف الناس به، وأحسنهم خاطراً، وأجودهم لساناً، وأوضحهم بياناً، وأصحهم عبارة، وله التصانيف الكثيرة المنتشرة في الرد على المخالفين من الرافضة، والمعتزلة، والجهمية، والخوارج، وغيرهم، وحدث أن ابن المعلم، شيخ الرافضة ومتكلمها، حضر بعض مجالس النظر مع أصحاب له إذ أقبل القاضي أبو بكر بن الباقلاني فالتفت ابن المعلم إلى أصحابه، وقال لهم: قد جاءكم الشيطان، فسمع القاضي كلامهم، وكان بعيداً من القوم، فلما جلس أقبل على ابن المعلم وأصحابه، وقال لهم: قال الله تعالى: ﴿أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيْطَانَ عَلَى الْكَافِرِينَ

تَوَزَّهُمَ آثَا (1) أي: إن كنت شيطاناً فأنتم كفار، وقد أرسلت عليكم، وقد صنف القاضي الباقلاني كتاباً في الرد على هؤلاء القوم المنتسبين إلى الفاطميين وسماه " كشف الأسرار وهتك الأستار " نثر فيه فضائحهم وقبائحهم، ووضح أمرهم لكل أحد يفهم شيئاً من مطاوي أفعالهم وأقوالهم، وقد كان يقول في عبارته: هؤلاء قوم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض (2). توفي رحمه الله سنة 403 هجرية.

2. الخطيب البغدادي، صاحب تاريخ بغداد، الإمام الأوحى، العلامة المفتي، الحافظ الناقد، محدث الوقت، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، صاحب التصانيف، وخاتمة الحفاظ، ولد: سنة 392 هجرية (3)، وكان مقرباً من ابن المسلمة رئيس رؤساء الخليفة القائم بأمر الله، وكان قد أظهر بعض اليهود كتاباً وادعى أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادات الصحابة، وأن خط علي بن أبي طالب فيه، فعرضه رئيس الرؤساء ابن المسلمة على أبي بكر الخطيب، فقال: هذا مزور. قيل: من أين لك؟ قال: في الكتاب شهادة معاوية بن أبي سفيان، ومعاوية أسلم يوم الفتح، وخيبر كانت في سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ وكان قد مات يوم الخندق (4)، فأظهر كذبهم وردهم، وذات يوم دخل عليه أحد الغلاة من العلويين، وفي كفه دنانير، فقال: هذا الذهب تصرفه في مهماتك، فقطب في وجهه، وقال: لا حاجة لي فيه، فقال: كأنك تستقله، وأرسله من كفه على سجادة الخطيب وقال: هذه ثلاث مائة دينار، فقام الخطيب خجلاً محمراً وجهه، وأخذ سجادته، ورمى الدنانير، وراح، فما أنسى عزه وذل العلوي وهو يلتقط

(1) مريم: 83.

(2) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. 3 / ص 364.

(3) سير أعلام النبلاء للذهبي. 18 / ص 270.

(4) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. 16 / ص 129.

الدنانير من شقوق الحصير⁽¹⁾، وكان له الفضل الكبير في التعريف برؤوس أهل الغلو، وتعريتهم، وكشف كذبهم، والتعريف بحالهم، والتحذير منهم، وله قرابة 56 مصنفاً، وعندما ارتحل إلى الشام بعد فتنة البساسيري، قرأ يوماً على الناس فضائل العباس، فثار عليه الروافض وأتباع الفاطميين، وأرادوا قتله فتدفع بالشريف الزينبي فأجاره⁽²⁾.

3. محمد بن عبد الله بن إبراهيم أبو بكر البزاز المعروف بالشافعي، من سكنة بغداد، وكان ثقة ثباتاً كثير الحديث، حسن التصنيف، جمع أبواباً وشيوخاً، وكتب عنه قديماً وحديثاً، ولما منع البويهيون ذكر مناقب وفضائل الصحابة في فترة حكمهم وتسلطهم في بغداد، يقول الخطيب البغدادي: كان الشافعي يتعمد في ذلك الوقت إلقاء الفضائل في جامع المدينة، وفي مسجده بباب الشام، ويفعل ذلك حسبة، ويعدده قرية، وسئل الدارقطني، عن محمد بن عبد الله الشافعي، فقال: أبو بكر جبلي ثقة مأمون، ما كان في ذلك الزمان أوثق منه، ما رأيت له إلا أصولاً صحيحة متقنة، ولد في أحد الجمادين سنة 260 هجرية، ومات سنة 354 هجرية عن عمر 94 سنة⁽³⁾.

4. عبد الله بن محمد بن علي شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي الحافظ العارف، من ولد أبي أيوب الأنصاري رضي الله، كان إماماً كاملاً في التفسير، حسن السيرة في التصوّف، على حظ تام من معرفة العربيّة، والحديث، والتواريخ، والأنساب، قائماً بنصر السنة والدين، من غير مدهانة ولا مراقبة لسلطان ولا غيره، وقد حاولوا إهلاكه مراراً، فكفاه الله شرهم، قال ابن طاهر: سمعته يقول بهراً: عرضت على السيف خمس مرات لا يقال لي: ارجع عن مذهبك، ولكن يقال لي: اسكت

(1) سير أعلام النبلاء للذهبي. 18 / ص 278.

(2) البداية والنهاية لابن كثير. 16 / ص 29.

(3) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. 3 / ص 483.

عمن خالفك، فأقول: لا أسكت. وسمعتة يقول: أحفظ 12 ألف حديث أسردها سرداً⁽¹⁾، وهو من العلماء الأفاضل المعاصرين للفترة البويهية والذي أمضى ما يقرب 51 عاماً من عمره في التدريس والوعظ والتأليف، ولم يصبر على تسلط غلاة الشيعة وبدعهم، قائماً بنصر السنة من غير مدهانة ولا مراقبة للسلطان ولا غيره⁽²⁾.

5. عبيد الله بن عبد الله بن الحسين أبو القاسم الخفاف، المعروف بابن النقيب، ولد سنة 350 هجرية، يقول الخطيب البغدادي: وكان شديداً في السنة، وبلغني أنه جلس للتهنئة لما مات ابن المعلم شيخ الرافضة وقال: ما أبالي أي وقت مت بعد أن شاهدت موت ابن المعلم⁽³⁾، وابن المعلم الذي ذكرناه ضمن الفقهاء والعلماء الغلاة الذين دعمتهم الدولة البويهية.

6. الإمام، الحافظ، المجود، شيخ الإسلام، علم الجهادية، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله البغدادي، المقرئ، المحدث⁽⁴⁾، ولد سنة 306 هجرية، وتوفي سنة 385 هجرية، وله من العمر 50 عاماً، وكان غزير العلم كثير التصانيف، وكان يعرف بالدارقطني لأنه من سكنة محلة دار القطن ببغداد، يقول البغدادي: وكان فريد عصره، وقريع دهره، ونسيج وحده، وإمام وقته، انتهى إليه علم الأثر، والمعرفة بعلل الحديث، وأسماء الرجال، وأحوال الرواة، مع الصدق والأمانة، والثقة والعدالة، وقبول الشهادة، وصحة الاعتقاد، وسلامة المذهب⁽⁵⁾، قال الذهبي: وقال الدارقطني: اختلف قوم من أهل بغداد، فقال قوم:

(1) طبقات المفسرين للداودي 1 / ص 255.

(2) الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي. / ص 172.

(3) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. 12 / ص 116.

(4) سير أعلام النبلاء للذهبي. 16 / ص 449.

(5) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. 13 / ص 487.

عثمان أفضل، وقال قوم: علي أفضل، فتحاكموا إلي، فأمسكت، وقلت: الإمساك خير، ثم لم أر لديني السكوت، وقلت للذي استفتاني: ارجع إليهم، وقل لهم: أبو الحسن يقول: عثمان أفضل من علي باتفاق جماعة أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، هذا قول أهل السنة، وهو أول عقد يحل في الرفض⁽¹⁾.

7. أبو بكر الفقيه الحنبلي المعروف بالنجاد، وكان له دور كبير في نشر العلم، وتعليم الحديث وأصوله في بغداد، مقابل ما ينشره الغلاة من خرافات وانحرافات فكرية، يقول الخطيب البغدادي: وكان له في جامع المنصور يوم الجمعة حلقتان، قبل الصلاة وبعدها، إحداهما للفتوى في الفقه على مذهب أحمد بن حنبل، والأخرى لإملاء الحديث، وهو ممن اتسعت رواياته وانتشرت أحاديثه، وكان صدوقاً عارفاً، جمع المسند وصنف في السنن كتاباً كبيراً، روى عنه أبو بكر بن مالك القطيعي، والدارقطني، وابن شاهين، وغيرهم من المتقدمين⁽²⁾، ولد سنة 253 هجرية، ومات سنة 348 هجرية وعمره حين موته رحمه الله 95 سنة.

8. محمد بن أحمد أبو الحسين بن سمعون الواعظ، كان واحد دهره، وفرد عصره في الكلام على علم الخواطر والإشارات ولسان الوعظ، ومن كلامه: رأيت المعاصي ندالة، فتركها مروءة، فاستحالت ديانة⁽³⁾، وكان لابن سمعون قصة مع عضد الدولة البويهية في سنة 362 هجرية عندما منع عضد الدولة الوعاظ والخطباء من ذكر مناقب الصحابة وفضائلهم، وأمر بمن يخالف أمره قد أباح دمه، ثم وصل الخبر إلى عضد الدولة أن ابن سمعون يجلس على كرسيه في جامع المنصور ويعظ الناس ويتكلم في فضائل الصحابة، فأمر بإحضاره إليه، يقول شكر العضدي: فأمرني أن أنفذ إليه من

(1) سير أعلام النبلاء للذهبي. 16 / ص 457.

(2) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. 5 / ص 309.

(3) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. 2 / ص 95.

يحصله عندي، ففعلت فدخل على رجل له هيبه، وعلى وجهه نور، فلم أملك أن قمت إليه، وأجلسته إلى جانبي، فلم ينكر ذلك وجلس غير مكترث، وأشفت والله أن يجري عليه مكروه على يدي، فقلت: أيها الشيخ، إن هذا الملك جلد عظيم، وما كنت أوتر مخالفة أمره، وتجاوز رسمه، والآن فأنا موصلك إليه، فكلما تقع عينك عليه، فقبل التراب وتلطف في الجواب إذا سألك، واستعن بالله عليه فعساه أن يخلصك منه، فقال: الخلق والأمر لله عز وجل، فمضيت به إلى حجرة في آخر الدار قد جلس فيها الملك منفرداً خيفة أن يجري من أبي الحسين بادرة بكلام فيه غلظ، فتسير به الركبان، فلما دنوت من الحجرة وقفته وقلت له: إياك أن تبرح من مكانك حتى أعود إليك، وإذا سلمت فليكن بخشوع وخضوع، ودخلت لأستأذن له، فالتفت فإذا هو واقف إلى جانبي، قد حول وجهه نحو دار بختيار عز الدولة، الذي نافسه عضد الدولة على الملك حتى قتله، واستفتح وقرأ قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾⁽¹⁾، ثم حول وجهه نحو عضد الدولة، وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾، وأخذ في وعظه فأتى بالعجب فدمعت عين الملك، وما رأيت ذلك منه قط، وترك كفه على وجهه، وتراجع أبو الحسين، فخرج ومضى إلى حجرتي فقال الملك: امض إلى بيت المال، وخذ 3 آلاف درهم، وإلى خزانة الكسوة وخذ منها 10 أثواب، وادفع الجميع إليه، فإن امتنع فقل له: فرقها في فقراء أصحابك، فإن قبلها فجئني برأسه، فاشتد جزعي وخشيت أن يكون هلاكه على يدي، ففعلت وجئته بما أمر، وقلت له: مولانا يقرئك السلام، وقال لك: استعن بهذه الدراهم في نفقتك، وألبس هذه الثياب، فقال لي: إن هذه الثياب التي عليّ

(1) سورة هود: 102.

(2) سورة يونس: 104.

مما قطعه لي أبي منذ 40 سنة، ألبسها يوم خروجي إلى الناس، وأطويها عند انصرافي عنهم، وفيها متعة وبقية ما بقيت، ونفقتي من أجرة دار خلفها أبي، فما أصنع بهذا؟ قلت: هو يأمرك بأن تصرفه في فقراء أصحابك. فقال: ما في أصحابي فقير، وأصحابه إلى هذا أفقر من أصحابي، فليفرقه عليهم. فعدت فأخبرته، فقال: الحمد لله الذي سلمه منا، وسلمنا منه⁽¹⁾، يقول الخطيب، ومات ابن سمعون في سنة 387 هجرية، ودفن في داره في شارع العتائيين ببغداد، فلم يزل هناك حتى نقل في رجب سنة 426 هجرية، -أي بعد 39 سنة من وفاته- فدفن بباب حرب وقيل لي إن أكفانه لم تكن بُليت بعد⁽²⁾.

9. أبو حامد الإسفراييني، أحمد بن محمد بن أحمد شيخ الإسلام العلامة الفقيه، وصل بغداد وهو حدث صغير ودرس المذهب الشافعي، واشتغل بالعلم حتى انتهت إليه رئاسة الدين والدنيا في بغداد، وعظم شأنه في قلوب الناس، وحضر مجلس علمه قرابة 700 متفقه، وكان الناس يقولون: لو رآه الشافعي لفرح به توفي سنة 406 هجرية في بغداد عن عمر 61 عاماً وحضر جنازته خلق كثير وكان يوماً مشهوداً بكثرة الناس، وعظم الحزن عليه وشدة البكاء⁽³⁾، وكان له دور كبير في نشر العلم فلقد تفقه على يديه كبار الفقهاء والعلماء.

10. علي بن عيسى بن سليمان، أبو الحسن الفارسي المعروف بالسكري الشاعر، أصله من فارس ولكنه ولد في بغداد سنة 357 هجرية، وكان يحفظ القرآن والقراءات، وكان متفنناً في الأدب، وله ديوان شعر كبير، وكله إلا اليسير منه في مدح الصحابة، والرد

(1) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. 14 / ص 254-255.

(2) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. 2 / ص 95.

(3) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. 15 / ص 113.

على الغلاة الرافضة، والنقض على شعرائهم⁽¹⁾، سعي شاعر السنة لأنه أكثر مدح الصحابة، ومناقضات شعراء غلاة الشيعة، توفي سنة 413 هجرية.

هذه عينة بسيطة من آلاف الفقهاء، والعلماء الذين نشطوا في تلك المرحلة، وتصدوا لهذا الفكر المنحرف، فصنفوا، وألفوا، وردوا على كل ما ألف في تلك الحقبة من الكتب والمصنفات التي كانت تطعن بالدين، وتحاول تحريف عقيدة المسلمين كتبها أهل الغلوة بدعم ورعاية الدولة البويهية، إضافة على حلقات العلم والتدريس التي تقام يومياً في المساجد، وفي دور العلم، والكتاتيب، لقد كانت بغداد شعلة ومنازة لطلب العلم في كافة صنوفه، وعلى الرغم من التضيق الذي مارسته عليهم الدولة البويهية، إلا أن كثيراً من العلماء ثبت واستمر في منهجه في نشر العلم، وتدريس الفقه، والعقيدة الصحيحة، بجانب العلوم الأخرى، ونخص بالذكر منهم الحنابلة كون بغداد كان غالبها على رأي ومذهب الإمام أحمد، فكثرت فيها فقهاؤهم وأتباعهم حيث كان لهم دوراً كبيراً في تلك المرحلة، لأنهم كانوا لا يتوانون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل الظروف⁽²⁾، طوال فترة تسلط الحكم البويهي على بغداد.

لقد أسهم دور العلماء في نشر العلم الصحيح بين عوام المسلمين إلى تعرية الدولة البويهية وإسقاط القناع عن وجهها القبيح في دعمها لكل ما هو مخالف للدين الإسلامي الحنيف، لقد حاول بنو بويه أن يصرفوا العالم الإسلامي عن التوجه إلى بغداد، كونها تعج بالعلماء والفقهاء، ويقصدها الناس من شتى بقاع الأرض لطلب العلم والتفقه في الدين، وكان ذلك يسبب لهم حرجاً كبيراً، ويكشف عن وجههم الحقيقي في محاربة الدين، ويُسقط عنهم قناع وجههم في دعمهم للعلم والعلماء.

(1) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. 13 / ص 463.

(2) الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي. / ص 173.



صورة افتراضية لدور العلماء في التصدي لهذا الفكر المنحرف في كل المجالات

الفصل الخامس:

- تمهيد.
- بداية تحرك الدولة البويهية باتجاه العراق.
- استيلاء أحمد بن بويه "معز الدولة" على بغداد.
- العراق في عهد معز الدولة البويهي من 334 - 356 هجري.
- بغداد تدخل مرحلة جديدة بعد سيطرة البويهيين عليها.
- خلع المستكفي بالله من الخلافة وسمل عينيه.
- استيلاء معز الدولة البويهي على البصرة.
- مسير معز الدولة البويهي إلى الموصل.
- وفاة عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه ملك فارس.
- استيلاء معز الدولة البويهي على الموصل.
- خروج معز الدولة لقتال ناصر الدولة في الموصل مرة أخرى.
- وفاة معز الدولة البويهي وتولي ابنه بختيار عز الدولة من بعده.

تمهيد.

وفي هذا الفصل نكون قد وصلنا إلى أكبر المراحل خطورة التي مرت بها الأمة في ظل تسلط البويهيين على مقدرات الحكم فيها، ويعد عصر هذه المرحلة من العصور المظلمة في تاريخ العراق، ومرحلة لها ما بعدها، فلم يعد العراق على الحال الذي كان عليه قبل دخول البويهيين إليه.

وتبدأ هذه المرحلة مع بداية دخول معز الدولة البويهي إلى بغداد، الذي يعد أول ملوك بني بويه حاكماً على العراق، وهي بداية سيطرة دولتهم المشؤومة على الخلافة الإسلامية، ومصادرة صلاحيات الخلفاء العباسيين، وهي الفترة التي توسعت فيها الدولة البويهية وأصبح ملكها يعم العراق وبلاد فارس وبلدان أخرى كثيرة، وقد أرفقنا خريطة تبين حدود دولتهم خلال فترة حكمهم.

المرحلة التي بدأها معز الدولة بالظلم، والطغيان، والتجبر، وإهانة الخلافة ومصادرتها، عندما خلع المستكفي بالله من منصبه كخليفة للمسلمين، وسمل عينيه وأذهب بصره، ثم سجنه حتى توفي رحمه الله في سجنه بعد عدة سنين.

وابتداء من هذا الفصل وحتى الفصل الخامس عشر سوف نتعرف على مجريات الأحداث في العراق، بعد سيطرة البويهيين عليه، ونتعرف على سيرة قادتهم الذين تعاقبوا على حكم العراق، حيث أفردت لكل واحد منهم فصلاً منفصلاً، قدمت فيه تعريفاً مبسطاً مختصراً لسيرة لكل واحد منهم، ثم ذكرت نشاطاته في العراق خلال فترة حكمه.

وختمت هذه الفصول الأحد عشر فصلاً بسقوط دولتهم واعتقال آخر ملوكهم، الملك الرحيم على يد السلطان السلجوقي طغرل بك، ونهاية فتنهم وبداية مرحلة جديدة في عهد السلاجقة، الذين جعلت لهم فصل الكتاب الأخير.

بداية تحرك الدولة البويهية باتجاه العراق.

بدأت الدولة البويهية بالتوسع بشكل سريع وملحوظ، وبدأ نفوذهم يعم بلاد فارس والبلدان المجاورة لها، وكانت عيونهم على العراق عامة، وبغداد دار الخلافة ومقر حكم المسلمين خاصة، وكانوا ينتظرون الفرصة المناسبة لدخولها والسيطرة عليها، وفي سنة 332 هجرية كان الخليفة المتقي لله هو القائم بأمر الخلافة العباسية، وقد وقع بينه وبين القائد التركي توزون متقلد منصب أمير الأمراء خلافاً، وكان توزون قد زوج ابنته من أبي عبد الله البريدي صاحب البصرة، وصاروا يداً واحدة على الخليفة، فأرسل توزون التركي وهو في واسط قائده له يدعى ابن شيرزاد إلى بغداد فدخلها ومعه 300 من جنوده فأقام في بغداد يأمر وينهي دون أن يراجع الخليفة في شيء، وكان القائد توزون التركي أمير الأمراء وله السلطة المطلقة فأصبحت بغداد تحت تصرفه وكذلك واسط إضافة إلى البصرة التي فيها حليفه وزج ابنته، فخرج الخليفة من بغداد بعد أن خشي على نفسه من هؤلاء القادة العسكريين باتجاه بنو حمدان الذين يملكون الموصل، وخرج معه أهله وأولاده ووزيره ومن اتبعه من الأمراء وأعيان بغداد، فتلقاه سيف الدولة بن حمدون إلى تكريت ثم جاء ناصر الدولة بن حمدون وهو بتكريت أيضاً، وحين خرج المتقي من بغداد أكثر ابن شيرزاد الفساد، وظلم أهلها وصادرهم، وأرسل إلى توزون يخبره بخروج الخليفة مغاضباً لهم، فأقبل مسرعاً نحو تكريت فتقاتل مع سيف الدولة، فهزمه توزون، وأخذ معسكره ومعسكر أخيه ناصر الدولة، ثم كر إليه سيف الدولة، فهزمه توزون أيضاً، وانهمز الخليفة المتقي وناصر الدولة وسيف الدولة من الموصل إلى نصيبين وجاء توزون، فدخل الموصل وأرسل إلى الخليفة يطلب رضاه، فأرسل الخليفة، يقول: لا سبيل إلى ذلك إلا أن تصالح بنو حمدان. فاصطلحوا.

وبعد خروج توزون التركي من واسط إلى الموصل، سمع أحمد بن بويه "معز الدولة" بخروجه، فاستغل ذلك وحرك جيوشه باتجاهها بعد أن اتفق مع البريدي الذي يسيطر على البصرة أن يمده بالرجال من ناحية النهر، ولكن البريدي لم يمده بما اتفقا عليه.

فسمع توزون التركي بخروج أحمد بن بويه إلى واسط فأسرع بالخروج من الموصل إلى بغداد ثم خرج بجيشه إلى واسط لقتال أحمد بن بويه، فاقتتلوا بضعة عشر يوماً، فكان آخر الأمر انهزام بن بويه، ونهبت حواصله، وقتل من جيشه خلق كثير، وأسر جماعة من أشرف أصحابه.

وكان توزون يعاني من مرض الصرع فاعتزته نبوة الصرع فانشغل بنفسه، وترك بن بويه ورجع إلى بغداد⁽¹⁾، وهاجت الفتن في بغداد وباقي مدن العراق، بخاصة بعد أن سمعوا أن بني بويه قد عزموا على دخول العراق، وكانت واقعة واسط هذه هي أول قدوم بني بويه باتجاه العراق، والتي حاولوا بها السيطرة على واسط ليتمكنوا من الدخول إلى بغداد والسيطرة على مقر الخلافة، ولكنهم خسروا المعركة وعاد معز الدولة مهزوماً، ونهب عسكره.

وبعد انتهاء هذه الحروب جرى الصلح بين الخليفة وتوزون التركي بعد أن كتب الأخير للخليفة بالطاعة والاحترام والتوقير، وعاد الخليفة من الموصل في سنة 333 هجرية إلى بغداد، ولكن توزون قبحه الله قد بيت له الغدر، وفور وصول الخليفة إلى بغداد اعتقله توزون وسمل عينيه وأذهب بصره، ثم خلعه من الخلافة وباع للمستكفي بالله.

(1) البداية والنهاية لابن كثير. 15 / ص 156.

استيلاء أحمد بن بويه "معز الدولة" على بغداد.

منذ أن بدأ ظهور بنو بويه في سنة 321 هجرية إلى سنة 334 هجرية وخلال هذه الفترة التي امتدت لحوالي 13 عشر سيطر فيها البويهيون على مناطق كثيرة في فارس وما حولها، وخضع الجميع لسيطرتهم وسلطانهم، وجُبيت لهم الأموال من كل مكان حتى قويت دولتهم، وعظم شأنهم، ولكن ما زالوا يتطلعون إلى أن يملكوا العراق ويسيطروا على مقر الحكم والخلافة في بغداد.

وفي سنة 334 هجرية؛ هذا التاريخ الذي لن ينساه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، يوم دخل أحمد بن بويه بجيوشه إلى بغداد دون قتال، فلم تكن هناك قوة تستطيع أن تقف بوجهه وتمنعه من الدخول بعد أن أصبحت الخلافة العباسية في أضعف مراحلها، وكان قد حاول بن بويه أن يسطر على واسط حتى يتسنى له دخول بغداد والسيطرة عليها، فلم يفلح سابقاً حتى سنحت له الفرصة في هذه السنة.

وكان الخليفة العباسي المستكفي بالله قد تقلد أمر الخلافة بعد أن غدر أمير الأمراء توزون التركي بالخليفة المتقي لله فسمل عيناه وخلعه، فكانت الخلافة من بعده للمستكفي بالله، وكان المتقي بالله قد خرج من بغداد باتجاه الموصل خائفاً من بطش توزون على ما ذكرناه وبقي في الموصل حتى سنة 333 هجرية، ثم كتب الخليفة لتوزون يستأمنه بدخول بغداد فأمنه وحلف له بالطاعة، وعندما دخل بغداد الخليفة غدر به وسمل عينيه وخلعه، وكان توزون ظالماً متجبراً، لم يمر الحول على فعله هذا حتى أهلكه الله.

وعندما أصبح أحمد بن بويه على مشارف بغداد، استتر الخليفة المستكفي بالله والقائد التركي ابن شيرزاد، وخرج الجنود الأتراك باتجاه الموصل خوفاً من جيش بني بويه، أما ما كان من الجنود الديلم فبقوا في بغداد، وعندما وصل بن بويه باب الشماسية من بغداد عاد الخليفة إلى داره، وبعث بالهدايا والأطعمة والألبسة إلى بن بويه أحمد.

وبعد أيام دخل أحمد بن بويه من باب الشماسية إلى دار الخلافة، ووقف بين يدي الخليفة المستكفي بالله طويلاً، وأخذت عليه البيعة، واستحلف بالأيمان المغلظة، وأدخلت القهرمانه⁽¹⁾ في اليمين، وجماعة من الخواص، وكتبت نَسْخُ الأيمان، وشهد القضاة والعدول والأشراف في النسخ، ثم خَلَعَ الخليفة على أحمد بن بويه خِلاعة السُّلْطَنَة، ولُقِّب مُعزَّ الدولة، ولُقِّب أخوه أبو الحسن علي عمادَ الدولة، وأخوه أبو علي الحسن رُكْنَ الدولة، وضربت ألقابهم على الدنانير والدراهم، ونزل مُعزَّ الدولة دارَ مؤنس الخادم، ونزل الدَّيْلَم في دور الناس وأخرجوهم من منازلهم⁽²⁾.

وكان هذا أول دخول بني بويه للعراق، وبه سيطرت الدولة البويهية على بغداد مقر خلافة المسلمين ودار حكم بني العباس، وأحمد بن بويه الملقب معز الدولة يعتبر أول من ملك العراق منهم، وسيطر على الحكم فيه، فبالرغم من وجود الخليفة على كرسي الحكم، إلا أن الحاكم الفعلي والمتصرف الحقيقي في أمور الدولة هو معز الدولة بن بويه، ولم يتبقى للخليفة من الخلافة إلا اسمها والخاتم الذي في يديه.

وبدخول بني بويه العراق هي بداية مرحلة جديدة وخطيرة دخلت بها عموم الأمة الإسلامية وليس العراق وبغداد فحسب، وسيكون لها انعكاسات خطيرة على المسيرة التاريخية للأمة استمرت آثارها إلى يومنا هذا.

(1) القهرمانه: وهي مدبرة القصر ومتولية شؤنه

(2) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي. 17 / ص 226.

العراق في عهد معز الدولة البويهية من 334 - 356 هجري.

اسمه وكنيته وشيء من سيرته.

أحمد بن أبي شجاع بويه الملقب بمعز الدولة، ونسبه ذكرناه في نسب أبيه وهو مع



مدالية ذهبية ترن 5 دنانير ذهب صنعت في عهد معز الدولة.

إخوته الاثنین مؤسسي الدولة البويهية، وهو أول من ملك منهم العراق وبغداد، وأول من استحدث مهنة السعاة ليبعث بأخباره إلى أخيه ركن الدولة من بغداد إلى شيراز في أقصى سرعة، وحظي عنده أهل

هذه الصناعة، وتعلم أهل بغداد ذلك، حتى كان بعضهم يجري في اليوم الواحد أكثر من 150 كم، وكانت إحدى يديه مقطوعة⁽¹⁾، في حروبه التي خاضها قبل دخوله بغداد.

وهو أول من شجع غلاة الشيعة على إظهار الطقوس في يوم عاشوراء، وإظهار السرور والفرح في يوم غدیر خم، وعلى يديه أدخلت الطقوس الشركية والوثنية إلى بغداد وعمت بها البلوى.

دخل بغداد وعمره 31 سنة، وحكم بغداد 22 سنة وتوفي وعمره 53 سنة، ولما أحس بدنو أجله، وهو على فراش الموت أظهر توبته وندم على ما كان يفعله، واستحضر بعض العلماء فتاب على يدهم، فلما حضر وقت الصلاة خرج ذلك الرجل إلى مسجد ليصلي فيه

(1) البداية والنهاية لابن كثير. 15/ص306.

فقال له معز الدولة: لم لا تصلي ها هنا؟ فقال: إن الصلاة في هذه الدار لا تصح. لأنها مغصوبة، وسأله عن الصحابة فذكر سوابقهم وأن علياً بن أبي طالب عليه السلام زوج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب فاستعظم ذلك وقال: ما علمت بهذا، وتصديق بأكثر ماله، وأعتق مماليكه، ورد كثيراً من المظالم، وبكى حتى غشي عليه⁽¹⁾.



خريطة تبين توسع الدولة البويهية في المنطقة

(1) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي. 14 / ص 183.

بغداد تدخل مرحلة جديدة بعد سيطرة البويهيين عليها.

بعد دخول معز الدولة أحمد بن بويه إلى بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية، ومقر حكم دولة بني العباس، وسيطرته عليها بشكل كامل، وتقاسم النفوذ مع الخليفة المستكفي بالله، دخلت بغداد في مرحلة جديدة من تاريخها، فعلى الرغم من سيطرة القادة الأتراك نوعاً ما في الفترة المنصرمة على مقدرات الخليفة وقراراته، ولكن كان للخليفة هيبتة، وسلطته، وقوته، وما زال أمره نافذاً على ولاته، وقادته، ولكن بدخول البويهيين إلى بغداد، واستلام منصب السلطنة وهو أشبه بمنصب رئيس الوزراء في الدولة البرلمانية اليوم، فإنه يرجع أمر الدولة كله، وبيده السلطة، والقوة، والمال، فحينها سُلبت صلاحية الخليفة بالكامل، وصُودر حقه في السلطة والحكم.

فكانت للخليفة رمزيته الاعتبارية، وسلطانه الشكلي، ومنصبه الديني، كما له إقطاعاته، وأملاكه، وخدمه، وقصره، وأما السلطة الحقيقية فتكون بيد صاحب الوزارة أو صاحب القوة والجيش وهو أحمد بن بويه، الملقب بمعز الدولة، فالحكم داخل أسوار القصر للخليفة العباسي، والحكم لكل ما هو خارج أسوار القصر للسلطان البويهي معز الدولة!

وقد سيطر البويهيون على غالب أراضي الدولة الإسلامية، وبعد سيطرتهم على بغداد تمكنوا من السيطرة على الخلافة الإسلامية بشكل كامل، وقد لقبوا الإخوة الثلاثة بألقاب تعكس قوة نفوذهم، وسيطرتهم على مفاصل الدولة كلها، وضربت أسماءهم وألقابهم على الدراهم والنقود، كما تفعل الحكام، والسلطين، والخلفاء، وتعتبر هذه المرحلة، هي مرحلة جديدة أخرى دخلت بها الدولة العباسية، وانحدرت بها المراحل، فمن مرحلة القوة التي كانت عليها، إلى مرحلة الضعف التي مرت بها، ثم إلى هذه المرحلة الأشد ضعفاً وذلماً، بل لم يكن لبني العباس في هذه المرحلة من الحكم شيئاً، ولم يتبقى لهم من خلافتهم إلا اسمها!.

خلع المستكفي بالله من الخلافة وسلم عينيه.

بدأ معز الدولة البويهي بنشر نفوذه في بغداد، وفرض سيطرته على كل مفاصل الدولة، بعد أن دخلها بعسكره وجنوده، وبدأ يتحكم بكل قرارات الخليفة العباسي، ويضيق عليه حتى داخل قصره، ولم يستطع الخليفة أن يمنعه أو يعارضه، ولم يكن قد مر وقت طويل على تولي المستكفي بالله خلافة المسلمين حتى تسلط معز الدولة بن بويه على بغداد، وصادر حق الخليفة في السلطة والحكم، وبعد أن استقر الأمر له في بغداد، قام بعزل الخليفة عن منصبه كخليفة للمسلمين، وجاء بالمطيع بالله وبايعه بالخلافة.

وكان الخليفة المستكفي بالله جالس على سريره فدخل عليه معز الدولة البويهي، فوقف الخليفة على عادته، والناس وقوف على مراتهم، فتقدم رجلان من الديلم، وطلبا من الخليفة الرزق، فمدَّ يده إليهما ظناً منه أنَّهما يريدان تقبيلها، على ما جرت عليه العادة فجذباه من السرير، وطرحاه إلى الأرض، ووضعاً عمامته في عنقه وجزأه، ونهض معز الدولة، واضطرب الناس، وهجم الديلم على دار الخليفة، ودخلوا على الحرم ونهبوها، وقبضوا على القهرمانة وخواص الخليفة، ومضى معز الدولة إلى دار مؤنس، وساقوا المستكفي معتقلاً ماشياً من قصره إلى دار مؤنس الخادم، ولم يبق في دار الخليفة شيء، وخلع المستكفي من الخلافة، وسُملت عيناه يوم خلعه، فكانت خلافته سنة وأربعة أشهر⁽¹⁾، منذ بوبع بالخلافة حتى خلع في سنة 334 هجرية، ثم حُبس بعد خلعه حتى توفاه الله في محبسه سنة 338 هجرية وعمره 47 عاماً، وبوبع المطيع لله خليفة للمسلمين.

وهذه الحادثة تعكس لنا حال الدولة العباسية في ظل حكم وتسلط الدولة البويهية، فهي صاحبة السلطان والنفوذ، فالخليفة الذي يعتبر أعلى سلطة في الدولة الإسلامية خاضع بشكل كامل للسلطان البويهي، الذي يستطيع أن يعزله من منصبه ويعين بديلاً عنه، كما فعل معز الدولة، بعد أن كان تعيين الخليفة أو عزله هو من حق الأمة، فقد اغتصبت الدولة البويهية حق الأمة أيضاً في اختيار من ترضى به خليفة للمسلمين.

(1) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي. 17 / ص 227.

استيلاء معز الدولة البويهية على البصرة.

كان أبو عبد الله البريدي يسيطر على البصرة، وبعد وفاته استلم ولاية البصرة ابنه أبو القاسم عبد الله البريدي، وقبل أن يستولي معز الدولة على بغداد، لم يبقى للدولة العباسية سيطرة على المدن إلا على بغداد، وما حولها أما كبار المدن فقد استقلت بعد أن سيطر عليها بعض القادة العسكريين، وأعلنوا عليها كيانهم السياسي المستقل عن الخلافة، ومن أمثلتها البصرة التي سيطر عليها البريديون، واستقلوا بها عن الخلافة وهي حالة انتشرت كثيراً في هذه المرحلة، بعد أن ضعف مركز الخلافة في بغداد.

وفي سنة 336 هجرية سار معز الدولة أحمد بن بويه بالجيش من بغداد إلى البصرة، ومعه الخليفة المطيع لله، الذي بويع له بالخلافة بعد أن خلع معز الدولة الخليفة المستكفي بالله، يريد أن يظم البصرة إلى نفوذه وسلطانه، وسلك الجيش طريق البر، وكانت الطرق البرية المؤدية إلى البصرة تسيطر عليها القرامطة، فلا أحد يمر حتى يتفق معهم، كما فعل حجاج بيت الله الحرام ذلك مراراً ودفعوا للقرامطة أموالاً ليتمكنوا من المرور والذهاب إلى تادية مناسك الحج، وعندما سمع القرامطة بمرور معز الدولة برأ كتبوا له معاتبين لعدم إخبارهم بمروره، وعدم استئذانه للمرور!، وهي أراضي تحت سيطرتهم كما يزعمون.

وعندما وصل كتائبهم إلى بن بويه لم يلتفت إليهم وقلل من شأنهم، ولما وصل معز الدولة إلى الدرهمية، استأمن إليه عساكر أبي القاسم البريدي، وهرب أبو القاسم إلى هجر، والتجأ إلى القرامطة، وملك معز الدولة البصرة، وبعد أن استقرت للمعز الدولة في البصرة خرج منها باتجاه الأهواز يلتقي بأخيه عماد الدولة الذي يسيطر على الأهواز وما حولها، وخلف على البصرة وزيره الصيمري ومعه الخليفة المطيع لله، والتقى هو بأخيه وقبل الأرض بين يديه، وكان يقف قائماً عنده، فأمره بالجلوس، فلا يفعل، ثم عاد إلى بغداد، وعاد

المطيع أيضاً إليها، وأظهر معز الدولة أنه يريد أن يسير إلى الموصل، فتددت الرسل بينه وبين ناصر الدولة، واستقر الصلح وحمل المال إلى معز الدولة فسكت عنه⁽¹⁾.

مسير معز الدولة البويهي إلى الموصل.



الموصل اليوم وحدودها الدولية

ما أن استقر الأمر لمعز الدولة في بغداد حتى بدأ بالتخطيط بضم كل المدن الكبيرة إلى سلطانه، معلناً حربه على الجميع، بخاصة الموصل التي يسيطر عليها بنو حمدان وهم عرب وتربطهم بالخلافة ارتباطات وثيقة، وكان صاحب الموصل يلقب بناصر الدولة وله إضافة إلى الموصل

ديار بكر وربيعة، وسبق وأن تقاتل معز الدولة بن بويه، وانتهت حربهم بالصلح على أموال ينفذه ناصر الدولة إلى معز الدولة البويهي وعلى رأس كل سنة.

ثم في سنة 337 هجرية اختلافاً مرة أخرى، فجيش معز الدولة البويهي جيوشه وخرج من بغداد إلى الموصل ليستولي عليها كما استولى على البصرة أخيراً، فسمع بمسيره ناصر الدولة ففر منها باتجاه نصيبين، ودخل معز الدولة الموصل دون قتال، وبعد تدخل من بعض الأطراف انتهى الخلاف بالصلح، على أن يؤدي ناصر الدولة في كل سنة 800 ألف درهم إلى معز الدولة، وعاد بن بويه من الموصل إلى بغداد، بعد إبرام هذا الاتفاق.

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 7/ ص 175.

وفاة عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه ملك فارس.

لقد تقدم ذكر بداية ظهور الإخوة الثلاثة من بني بويه، وتمكنهم من البلدان، حتى صار كل واحد منهم يسيطر على جهة، وكان أكبرهم عماد الدولة الحسن بن علي بن بويه، وهو أول من تملك منهم، وكلمته وأمره نافذ عليهم، وإخوته الباقين يجلسونه ويعظمونه، وقد ملك بلاد فارس وما حولها، ودام ملكه 16 سنة.

وفي سنة 338 هجرية توفي بعد صراع طويل مع مرضه الذي مات فيه، ولم يكن له ولد يرث ملكه، ويتولى أمر فارس من بعده، وقبل وفاته، أرسل إلى أخيه ركن الدولة الذي يحكم الري وما حولها، وطلب منه أن يرسل له ابنه عضد الدولة، ليجعله ولي عهده من بعده، فلما قدم عليه فرح به فرحاً شديداً، وخرج بنفسه في جميع جيشه لتلقيه، فلما دخل به دار المملكة أجلسه على السرير، وقام بين يديه كأحد الأمراء؛ ليرفع من شأنه عند أمرائه ووزرائه وأعوانه، ثم عقد له البيعة على ما يملكه من البلدان والأموال وتدبير الملك والرجال، وفهم من بعض رؤوس الأمراء كراهيةً لذلك، فشرع في القبض عليهم، وقتل من شاء منهم وسجن آخرين، حتى تمهدت الأمور لعضد الدولة في ملك عمه⁽¹⁾.

(1) البداية والنهاية لابن كثير. 15 / ص 200.

استيلاء معز الدولة البويهية على الموصل.

استمر معز الدولة في مخالفته لناصر الدولة بن حمدون صاحب الموصل، ولم يكن هناك توافق بينهما، وكان معز الدولة قد عزم على دخول الموصل أكثر من مرة، ولكن بن حمدان يصلح على أموال يحملها له في كل سنة، ولكنه لا يوفي بالاتفاقات ولا يرسل الأموال، وكان آخرها صلحه معه في سنة 347 هجرية على مبلغ 2000 درهم سنوياً فلم يفي بها، فجهز معز الدولة جيشه من بغداد وخرج قاصداً الموصل، وكعادته ناصر الدولة وعلى نفس التكتيك، وفي كل مرة تأتيه الجيوش يحمل أثقاله وكتابه ودواوينه ويجعلهم داخل القلاع والحصون، ويقطع كل طرق الإمداد والميرة على الجيوش التي تغزوه، فلما وصل معز الدولة إلى الموصل خرج منها ناصر الدولة باتجاه نصيبين، وبدأ ناصر الدولة يقطع الإمدادات التي تأتي إلى معز الدولة حتى ضيق عليه الموصل، ثم خرج معز الدولة من الموصل لاحقاً ناصر الدولة في نصيبين، ففر منها ناصر الدولة باتجاه أخيه سيف الدولة الذي يسيطر على حلب، وما زال أصحاب ناصر الدولة في الحصون والقلاع يغيرون على أصحاب معز الدولة الذين خلفهم في الموصل، فيقتلون منهم ويأسرون حتى ضاقت كثيراً على معز الدولة.

ثم إن سيف الدولة راسل معز الدولة في الصلح، وترددت الرسل بينهم في ذلك، فامتنع معز الدولة في تضمين ناصر الدولة لخلفه معه مرة بعد أخرى، فضمن سيف الدولة البلاد منه 2900 ألف درهم عن أخيه، وإطلاق من أسر من أصحابه بسنجان وغيرها، وكان ذلك في 348 هجرية.

وقد قبل معز الدولة بهذا الصلح بعد تمكنه من البلاد مضطراً، لأنه ضاقت عليه الأموال، وتقاعد الناس في حمل الخراج، واحتجوا بأنهم لا يصلون إلى غلاتهم، وطلبوا

الحماية من العرب أصحاب ناصر الدولة، فاضطر معز الدولة إلى الانحدار، وأنف من ذلك، فلما وردت عليه رسالة سيف الدولة، استراح إليهما، وأجابه إلى ما طلبه من الصلح، ثم انحدر إلى بغداد⁽¹⁾، وعاد ناصر الدولة إلى الموصل.

خروج معز الدولة لقتال ناصر الدولة في الموصل مرة أخرى.

مرة أخرى يشتد الخلاف بين معز الدولة وبين ناصر الدولة بن حمدان صاحب الدولة الحمدانية في الموصل، ومرة أخرى يستخدم ناصر الدولة نفس التكتيك فإذا وصل معز الدولة إلى الموصل، خرج منها ناصر الدولة إلى نصيبين، ويخلف بعض من أتباعه في القلاع، وإذا لحقه إلى نصيبين خرج منها إلى سنجار، ويبدأ أتباع ناصر الدولة بالإغارة على من خلفهم من أصحاب معز الدولة في الموصل، ويقطعون عنهم المؤون والميرة، وهكذا حتى ينهكه في التنقل والمسير، فتيقن معز الدولة أن لا خلاص من ناصر الدولة إلا بالهدنة والصلح، وبعد عدة وقعات وتنقل بين المدن رضخ معز الدولة مرة أخرى بالصلح وضمن له الموصل وديار ربيعة والرحبة وعاد هو إلى بغداد.

وكان ناصر الدولة له غزوات مباركة ضد ما تليه من ديار الروم حتى فتح مدن كثيرة، وقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر أيضاً منهم خلقاً كثيراً، وكانوا الروم أيضاً يعيدون الكرة عليه ويستولوا على بلاد المسلمين.

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 7 / ص 222.

وفاة معز الدولة البويهي وتولي ابنه بختيار عز الدولة من بعده.

دخل معز الدولة أحمد بن بويه بغداد سنة 334 هجرية وسيطر على مفاصل الحكم في الدولة العباسية، ولم يعد للخليفة بوجوده سلطة حقيقية في بغداد بل الأمر كله إليه، وكذلك باقي المدن والولايات التي يسيطر عليها إخوته هناك، وهو من نشر الفتن في بغداد، ومكن لغلاة الشيعة في نشر مذهبهم لأنه منهم وعلى مذهبهم، وكان فيه علة اشتكى منها سنين طوال، وفي سنة 356 هجرية اشتد عليه المرض وهو في بغداد، وكان لا يثبت في معدته طعام، فعهد إلى ابنه بختيار فلقب بعز الدولة. ولما نزل به الموت أمر أن يحمل إلى بيت الذهب، واستحضر بعض العلماء فتاب على يده، فلما حضر وقت الصلاة خرج ذلك الرجل إلى مسجد ليصلي فيه فقال له معز الدولة: لم لا تصلي ها هنا؟ فقال: إن الصلاة في هذه الدار لا تصح. وسأله عن الصحابة فذكر سوابقهم وأن عليا عليه السلام زوج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب فاستعظم ذلك وقال: ما علمت بهذا، وتصديق بأكثر ماله، وأعتق مماليكه، ورد كثيراً من المظالم، وبكى حتى غشي عليه⁽¹⁾، وكان ابنه بختيار سيئ السمعة اشتغل باللهو واللعب، وعشرة النساء، والمساخر، والمغنين.

(1) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي. 14 / ص 183.

الفصل السادس:

- العراق في عصر عز الدولة البويهية 356-366 هجري.
- استمرار المظاهر الشركية والطقوس الاستفزازية بيوم عاشوراء.
- اعتقال ناصر الدولة صاحب الموصل من قبل ابنه أبي تغلب.
- حروب القادة البويهيين مع عمران بن شاهين صاحب البطيحة.
- تحالف عز الدولة البويهي مع القرامطة في الشام.
- فتنة واقتتال في بغداد سنة 361 هجرية.
- ثورة يقودها الحاجب سُبُكْتِكِين ضد الدولة البويهية في بغداد.
- معركة واسط بين سُبُكْتِكِين وعز الدولة البويهي.
- دخول أبو تغلب بن حمدون إلى بغداد سنة 364 هجرية.
- طمع عضد الدولة ببغداد ومكره بابن عمه.
- وفاة ركن الدولة وتقسيم ملكه بين أبنائه.
- دخول عضد الدولة إلى بغداد.
- مقتل بختيار عز الدولة.

العراق في عصر عز الدولة البويهية 356 - 366 هجري.

اسمه وكنيته وشيء من سيرته.



إبريق ذهبي منقوش عليه اسم عز الدولة البويهية.

بختيار بن أحمد بن أبي شجاع بويه الملقب بعز الدولة كان ولي عهد أبيه، تولى الملك بعد وفاة أبيه معز الدولة في سنة 356 هجرية وهو شاب عمره قريب العشرين سنة، وكان حسن الجسم، شديد البطش، قوي القلب، يقال: إنه كان يأخذ بقوائم الثور الشديد، فيلقيه إلى الأرض من غير أعوان، ويتقصد الأسود في متصيداته، ولكنه كان كثير اللهو واللعب والإقبال على اللذات، ولما كسره ابن عمه عضد

الدولة ببلاد الأهواز، كان فيما أخذه ابن عمه منه أموال عظيمة وغلाम له كان يحبه حباً شديداً، فأرسل لابن عمه هدايا عظيمة وجواري وكلف من يكلمه في رد الغلام إليه، فرد عليه ابن عمه الغلام المذكور، فكثير تعنيف الناس لعز الدولة، وسقط من أعين الملوك، فإنه كان يقول: ذهاب هذا الغلام أشد علي مما جرى من أخذ بغداد بل وأرض العراق. ثم آل من أمره أنه أسره ابن عمه عضد الدولة وقتله⁽¹⁾، وسوف يأتي بيانه بشيء من التفصيل.

(1) البداية والنهاية لابن كثير. 15 / ص 387.

استمرار المظاهر الشركية والطقوس الاستفزازية بيوم عاشوراء.

بعد وفاة معز الدولة البويهي الذي أدخل هذه الطقوس إلى بغداد وأمر بها ورعاها وتبناها، استمرت هذه المظاهر واستمرت المواجهات بين أهالي بغداد في عهد عز الدولة، فلم يختلف عهد الولد عن عهد أبيه، فتكررت ما جرت به العادة في كل سنة من تعطيل الأسواق وتعليق المسوح، وإظهار النياحة واللطم، ومشاهد تشبه المشاهد التي نشاهدها في أيامنا هذه في العراق.

اعتقال ناصر الدولة صاحب الموصل من قبل ابنه أبي تغلب.

أبو محمد الحسن الملقب ناصر الدولة ابن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي، صاحب الموصل وما والاها، ملك الموصل بعد أن كان نائباً عنها عن أبيه، ثم لقبه الخليفة المتقي لله بـ "ناصر الدولة" وذلك في سنة 330 هجرية، ولقب أخاه "سيف الدولة" في ذلك اليوم أيضاً، وعظم شأنهما. وكان الخليفة المكتفي بالله قد ولي أباهما عبد الله بن حمدان الموصل وأعمالها في سنة 292 هجرية، وإلهم تنسب الدولة الحمدانية في الموصل⁽¹⁾ وكانت له صولات وجولات وغارات على بلاد النصارى التي تجاوره، وجرت له معهم حروب طويلة، فكان يغير على بلدانهم فيقتل ويسبي، ويغنم ويأخذ المدن والقلاع، فكان سداً منيعاً ضد توغلمهم في بلدان المسلمين.

وكان ناصر الدولة صاحب الموصل له ثلاثة أولاد هما حمدان وأبو البركات وأبو تغلب، وله بنت اسمها جميلة، وقد امتد حكمه وسلطانه على الموصل لأكثر من 30 سنة، وعندما تملك معز الدولة بغداد سنة 334 هجرية أعلن حربه على ناصر الدولة في الموصل وحاول جاهداً أن يتمكن منه فلم يستطع، وكان في كل حرب يضطر معز الدولة إلى الصلح معه

(1) وفيات الأعيان لابن خلكان. 2 / ص 114.

على أموال يدفعها له كل سنة، وطالت الحروب بينهم حتى مات معز الدولة وتملك ابنه عز الدولة بختيار.

وكان ناصر الدولة قد ضيق على أولاده في آخر حياته، وخالفهم وكان فيما خالفهم فيه أنه لما مات معز الدولة عزم أولاده على قصد العراق وأخذ من بختيار عز الدولة، فنهاهم وقال لهم: إن معز الدولة قد خلف مالاً يستظهر به ابنه عليكم، فاصبروا حتى يفرق ما عنده من المال، ثم اقصدوه وفرقوا الأموال، فإنكم تظفرون به لا محالة.

وقد اقتطع ناصر الدولة لولده حمدان مدينة الرحبة وماردين ومنع الآخرين، فكادت له زوجته أم أولاده الباقيين فاتفتت مع ولدها أبو تغلب فقام الابن فاعتقل أباه وأودعه الحبس في القلعة، ووكل من يخدمه ويولي حاجاته فلم سمع ولده حمدان بذلك صار عدواً لإخوته على فعلتهم.

وعاش ناصر الدولة الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي شهوراً، ومات في ربيع الأول سنة 358 هجرية، ودفن بتل توبة، شرقي الموصل، وملك ابنه أبي تغلب ما كان لأبيه من ملك، واستولى أيضاً على ملك أخيه حمدان بعد حروب جرت بينهم، ثم تصالح أبو تغلب مع عز الدولة بختيار على مال ينفذه إليه كل سنة.

حروب القادة البويهيين مع عمران بن شاهين صاحب البطيحة.

عمران بن شاهين سكن البطيحة وهي مدينة تقع بين واسط والبصرة، كان قد لجأ إليها قديماً، هارباً من دياره مطلوباً من بني قومه في الجامدة، واشتغل في هذه المدينة في صيد الطير والسمك، ثم صار يقطع الطريق على من يسلك البطيحة، حتى التف حوله خلق كثير من الصيادين واللصوص وشذاذ الآفاق فقويت شوكته، وتمكن وتملك الأرض التي فيها، وقد قاتله كثير من الأمراء والملوك، فلم يظفر به أحد، حتى عجزت عنه الدولة، فجهز له معز الدولة سنة 338 جيشاً بقيادة وزيره الصيمري، الذي حاصر عمران ثم أخذته الحمى ومات على إثرها، فلم يقدروا على عمران، وعاد وتقوى مرة أخرى، فأنفذ معز الدولة إلى قتاله روزبهان، وهو من أعيان عسكره، فنازله وقاتله، فطاولة عمران، وتحصن منه في مضايق البطيحة، فضجر روزبهان وأقدم عليه طالباً للمناجزة، واستظهر عليه عمران وهزمه وأصحابه، وقتل منهم وغنم جميع ما معهم من السلاح وآلات الحرب، فقوي بها، وتضاعفت قوته، ثم قطع طريق البصرة وثقل ذلك على الناس فشكوا إلى معز الدولة ذلك، فعاد في سنة 339 هجرية مرة أخرى وأرسل إلى وزيره المهلبى وكان في البصرة، فأمره بالمسير إلى البطيحة ومقاتلة عمران، فاشتد القتال بينهم وضيق على عمران، ولكن سرعان ما انهزم جيش السلطان، وألقى المهلبى نفسه في الماء فنجأ سباحة، وأسر عمران القواد والأكابر، فاضطر معز الدولة إلى مصالحته وإطلاق من عنده من أهل عمران وإخوته، فأطلق عمران من في أسره من أصحاب معز الدولة، وقلده معز الدولة البطائح، فقوي واستفحل أمره .

وفي سنة 355 هجرية جهز معز الدولة جيشاً قاده بنفسه لقتال عمران بن شاهين، فلما وصل إلى واسط قدم الجيش إلى البطيحة، ثم مرض معز الدولة مرضه الذي مات فيه، فعاد إلى بغداد يتطرب ووعد الجيش بالعودة ولكنه لم يستطع فقد مات في سنة 356 هجرية على ما ذكرناه في وفاته، فاضطر الجيش إلى مصالحة عمران بن شاهين مرة أخرى.

وبعد أن تولى السلطة والحكم عز الدولة بختيار بعد وفاة أبيه، جهز في سنة 359 هجرية، جيشاً وخرج لمحاصرة عمران بن شاهين وقتاله في البطيحة، وعندما وصل واسط أقام بها، وأمر وزيره أبا الفضل أن ينحدر إلى الجامدة، وطفوف البطيحة، وبنى أمره على أن يسد أفواه الأنهار ومجاري المياه إلى البطيحة، وانتقل عمران إلى معقل آخر من معاقل البطيحة ونقل كل ماله إليه، فلما نقصت المياه، واستقامت الطرق، وجدوا مكان عمران بن شاهين فارغاً، فطالت الأيام، وضجر الناس من المقام، وكرهوا تلك الأرض من الحر، والبق، والضفادع، وانقطاع المواد التي ألفوها، وشغب الجند على الوزير، وشتموه، وأبوا أن يقيموا، فاضطر بختيار عز الدولة إلى مصالحة عمران على مال يأخذه منه⁽¹⁾، ومرة أخرى لم تفلح الجيوش في التخلص من عمران بن شاهين، وانتهت بالصلح معه على أموال يدفعها إلى السلطان في كل سنة، ولكن عمران فعل عكس هذا ففي عودة الجيش أغار عليه وتخطف أطرافه، فقتل منهم وغنم من جيش السلطان، فنكسر الجيش وعاد إلى بغداد منهزماً.

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 7/ ص 193.

تحالف عز الدولة البويهية مع القرامطة في الشام.

أصبحت الدولة العباسية مضطربة، ومختلة أركانها، وتموج فيها الفتن من كل جانب، وأضعف ما فيها مركزها وسلطانها، وقويت الدول التي استقلت عن الخلافة، وبدأت بغزو المدن وسيطرتها عليها وإضافتها إلى دولتها، كما فعل العبيدين أخيراً واستيلائهم على الشام بعد أن سيطروا على مصر بقيادة الأمير جعفر بن فلاح، وكان على الشام الحسن بن طغج، فقاتله وأسره واستولى على الشام.

لما بلغ القرامطة خبر استيلاء الفاطميين بقيادة جعفر بن فلاح على الشام أهمهم وأزعجهم وقلقوا لأنه كان قد تقرر بينهم وبين ابن طغج أن يحمل إليهم كل سنة 300 ألف دينار، فلما ملكها جعفر علموا أن المال لن يأتيهم بعدها، فعزموا على قصد الشام، وكان عليهم الحسين بن أحمد بن بهرام القرمطي، فأرسل إلى عز الدولة بختيار يطلب منه المساعدة بالسلاح والمال، فأجابه إلى ذلك، واستقر الحال أنهم إذا وصلوا إلى الكوفة سائرين إلى الشام حمل الذي استقر، فلما وصلوا " إلى الكوفة أوصل إليهم ذلك، وساروا إلى دمشق.

وهنا لا بد من التوقف عند هذه الحادثة وهذا التحالف الذي جمع القرامطة والبويهيين، وقد ذكرنا أن الدولة البويهية تشترك مع القرامطة في الأهداف والاستراتيجيات، لكنها تختلف معهم في السبل والآليات، وجاء هذا التحالف الذي برهن هذا التوافق بين الفرقتين.

وبلغ خبرهم إلى جعفر بن فلاح فاستهان بهم ولم يحترز منهم، فلم يشعر بهم حتى كبسوه بظاهر دمشق وقتلوه وأخذوا ماله وسلاحه ودوابه، وملكوا دمشق، وأمنوا أهلها، ثم ساروا إلى الرملة⁽¹⁾ فملكوها وسيطروا عليها⁽²⁾، ومنها خرجوا يريدون مصر فاجتمع معهم خلق كثير، وتقاتلوا معهم أياماً فلم يستطيعوا أن يدخلوا فعادوا إلى الشام وسكنوا الرملة.

(1) مدينة في فلسطين شمال شرق القدس الشريف.

(2) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 7/ ص 299.

فتنة واقتتال في بغداد سنة 361 هجرية.

بعد أن سيطر البويهيون على بغداد دعموا بقوة الغلاة من الشيعة، بداية دخول معز الدولة أحمد بن بويه إليها، على إثرها انتشرت مظاهر وطقوس مستفزة لأهالي بغداد، في مواكب اللطم والتطبير والنياحة والتي يصاحبها سب ولعن للصحابة، وكان أهالي بغداد جميعهم على مذهب أهل السنة والجماعة، وحصلت في أكثر من سنة صدامات واقتتال بين الناس بسبب هذه المظاهر والطقوس المستفزة التي تصحبها كثير من مظاهر الشرك وغيرها.

وقد ذكرنا في أكثر موقف ضعف الدولة العباسية، وعلى حساب هذا الضعف لا شك كانت قوة أعدائها ومنهم الروم تكبر وتستفحل، التي استباححت مدن المسلمين، فقتلوا الرجال وسبوا نساء، واستولوا على أملاكهم وأموالهم، وكان آخرها عندما أغار ملك الروم على الرها⁽¹⁾، ونواحيها، وسار في ديار الجزيرة حتى بلغوا نصيبين، فغنموا، وسبوا وأحرقوا وخربوا البلاد، وفعلوا مثل ذلك بديار بكر، ولم يسعى أبو تغلب بن حمدان الذي يسيطر على هذه المناطق من ردهم بل حمل أموالاً ومتاعاً وغادرها.

فسار جماعة من أهل تلك البلاد إلى بغداد مستنفرين، وقاموا في الجوامع والمشاهد، واستنفروا المسلمين، وذكروا ما فعله الروم من النهب، والقتل والأسر، والسبي، فاستعظمه الناس، فاجتمع معهم أهل بغداد، وقصدوا دار الخليفة الطائع لله، وأرادوا الهجوم عليه، فمنعوا من ذلك، وأغلقت الأبواب، فأسمعوا ما يقبح ذكره.

وكان بختيار عز الدولة البويهي حينئذٍ يتصيد في الكوفة، وقد عُرف عنه باشتغاله باللهو واللعب والخمر وغيرها من المفسدات، فخرج إليه وجوه أهل بغداد مستغيثين،

(1) الرها: هي مدينة أورفا في تركيا اليوم.

منكرين عليه اشتغاله بالصيد، وترك جهاد الروم، ومنعهم عن بلاد الإسلام حتى توغلوها، فوعدهم التجهيز للغزاة وأرسل إلى سُبُكْتِكَيْن حاجبه يأمره بالتجهز للغزو وأن يستنفر العامة، ففعل سُبُكْتِكَيْن ذلك، فاجتمع من العامة عدد كثير لا يحصون كثرة، وكتب بختيار إلى أبي تغلب بن حمدان، صاحب الموصل، يأمره بإعداد الميرة والعلوفات، ويعرفه عزمه على الغزاة، فأجابه.

ثم إن بختيار أرسل إلى الخليفة المطيع لله يطلب منه مالاً يخرج به في الغزاة، فقال المطيع: إن الغزاة والنفقة عليهما، وغيرها من مصالح المسلمين، تلزمني إذا كانت الدنيا في يدي وتجبني إلي الأموال، وأما إذا كانت حالي هذه فلا يلزمني شيء من ذلك، وإنما يلزم من البلاد في يده وليس لي إلا الخطبة، فإن شئتم أن أعتزل فعلت، وترددت الرسائل بينهما، حتى بلغ أن هدد عز الدولة الخليفة، فبذل المطيع لله 400 ألف درهم، فاحتاج إلى بيع ثيابه وأنقاض داره، وغير ذلك، وشاع بين الناس من العراقيين وحجاج خراسان وغيرهم أن الخليفة قد صودر. فلما قبض بختيار المال صرفه في مصالحه، وبطل حديث الغزاة.

وعندما اجتمع العامة في بغداد للتجهز لمواجهة الغزاة الذين استباحوا بلاد المسلمين، وكانوا هؤلاء العامة خليطاً من أهل السنة، ومعهم غلاة الشيعة، فتحزب الناس وتعصبوا لمعتقداتهم، وحصلت فتنة عظيمة، واقتتال شديد، ونهب للأموال، وحرق للدور والممتلكات، وفي جملة ما احترق محلة الكرخ، وكانت معدن التجار الشيعة، وجرى بسبب ذلك فتنة بين النقيب أبي أحمد الموسوي والوزير أبي الفضل الشيرازي وعداوة⁽¹⁾، فلم يخرج أحد لقتال الروم، بل توسعت الروم في حملاتها ضد المسلمين في أكثر من مدينة، وانشغل الناس عنهم في الاقتتال فيما بينهم.

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير بتصريف. 7 / ص 303.

ثورة يقودها الحاجب سُبُكْتِكِين تكين ضد الدولة البويهية في بغداد.

في سنة 363 هجرية أصاب الخليفة المطيع لله مرض "الفالج" وهو ما يعرف اليوم بالشلل النصفي حتى توقف نصف جسده عن الحركة، وثقل لسانه عن الكلام، ولم يعد يستطيع أن يخفي ذلك، فاستشار الحاجب سُبُكْتِكِين التركي في مرضه، فنصحه أن يخلع نفسه لولده عبد الكريم، فأخذ بنصيحته وخلع نفسه طائعاً غير مكره، وأشهد على ذلك القضاة والقادة وخواصه، وسلم بالخلافة لابنه الكبير عبد الكريم، ولُقب بالطائع لله، ولُقب المطيع لله بعد هذه الحادثة بالشيخ الفاضل.

ولما ولي الطائع لله أمر الخلافة ركب وعليه البردة، ومعه الجيش، وبين يديه سُبُكْتِكِين التركي، وكان سُبُكْتِكِين حاجباً لمعز الدولة البويهي، فخلع عليه الخليفة الخلع السلطانية، وعقد له لواء الإمارة، ولقبه نصر الدولة، وحضر عيد الأضحى وخطب الناس وصلى بهم.

وبعد أن استقرت البيعة للطائع بالله في بغداد وقد عقد لواء السلطنة إلى سُبُكْتِكِين التركي ولقبه نصر الدولة، جمع سُبُكْتِكِين جميع الأتراك المتواجدين في بغداد ودعاهم إلى طاعته فأجابوه، معلناً ثورته ضد معز الدولة بعد خلافٍ جرى بينهم، مستغلاً تواجد عز الدولة في واسط، مخلفاً فيها ابنه أبو إسحاق، فكتب إليه ولده يعلمه تطورات الوضع في بغداد، ويخبره بحال سُبُكْتِكِين وثورته في بغداد وخروجه عليه، فوقع الحرب وجرى القتال بين نصر الدولة سُبُكْتِكِين وبين أتباع عز الدولة في بغداد، فقهرهم سبكتكين، واستولى على ما كان ببغداد لعز الدولة، وحاصر دار عز الدولة في بغداد يومين، ثم أنزل أهله منها، ونهب ما فيها وأحدرهم من دجلة ونفاهم إلى واسط⁽¹⁾، وثار مع سُبُكْتِكِين عوام المسلمين في بغداد تنصره على عز الدولة، وبعد أن استقر الأمر له بعث إلى عز الدولة

(1) البداية والنهاية لابن كثير. 13 / ص 345.

يقول له: أن الأمر قد خرج عن يدك، فأخرج لي عن واسط وبغداد ليكونا لي وتكون البصرة والأهواز لك، ولا تفتح بيننا باب حرب.

فكتب عز الدولة إلى ابن عمه عضد الدولة يطلب مساعدته ويستنجد به لنصرته، فمأطله بذلك، وكذلك كتب إلى عمران بن شاهين صاحب البطيحة فرفض مناصرته، وكتب إلى أبي تغلب بن حمدون صاحب الموصل، فأجابه ونصره، ثم إن الناس في بغداد صاروا حزينين، فأهل الغلو من الشيعة ينادون بشعار عز الدولة والديلم، وأهل السنة ينادون بشعار سُبُكْتِكَيْنِ والأتراك، واتصلت الحروب، وسُفِكت الدماء، وكُبست المنازل، وأحرق جانب الكرخ من بغداد⁽¹⁾.

(1) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. 14 / ص 227.

معركة واسط بين سُبُكْتِكِين وعز الدولة البويهية.

بعد أن استقر الأمر لسبكتكين التركي في بغداد عزم على مقاتلة عز الدولة البويهية في واسط وطرده من مناطق العراق، وفي سنة 364 هجرية تحرك سُبُكْتِكِين بجيوشه ومعه الخليفة الطائع لله إلى واسط حيث يتمركز عز الدولة بن بويه، وكانوا قاصدين قتاله، بعد أن هزموا أتباعه في بغداد وسيطروا عليها، وكان معهم الخليفة السابق المطيع لله، وفي أثناء طريقهم مات المطيع لله، وحملت جنازته إلى بغداد ودفن فيها.

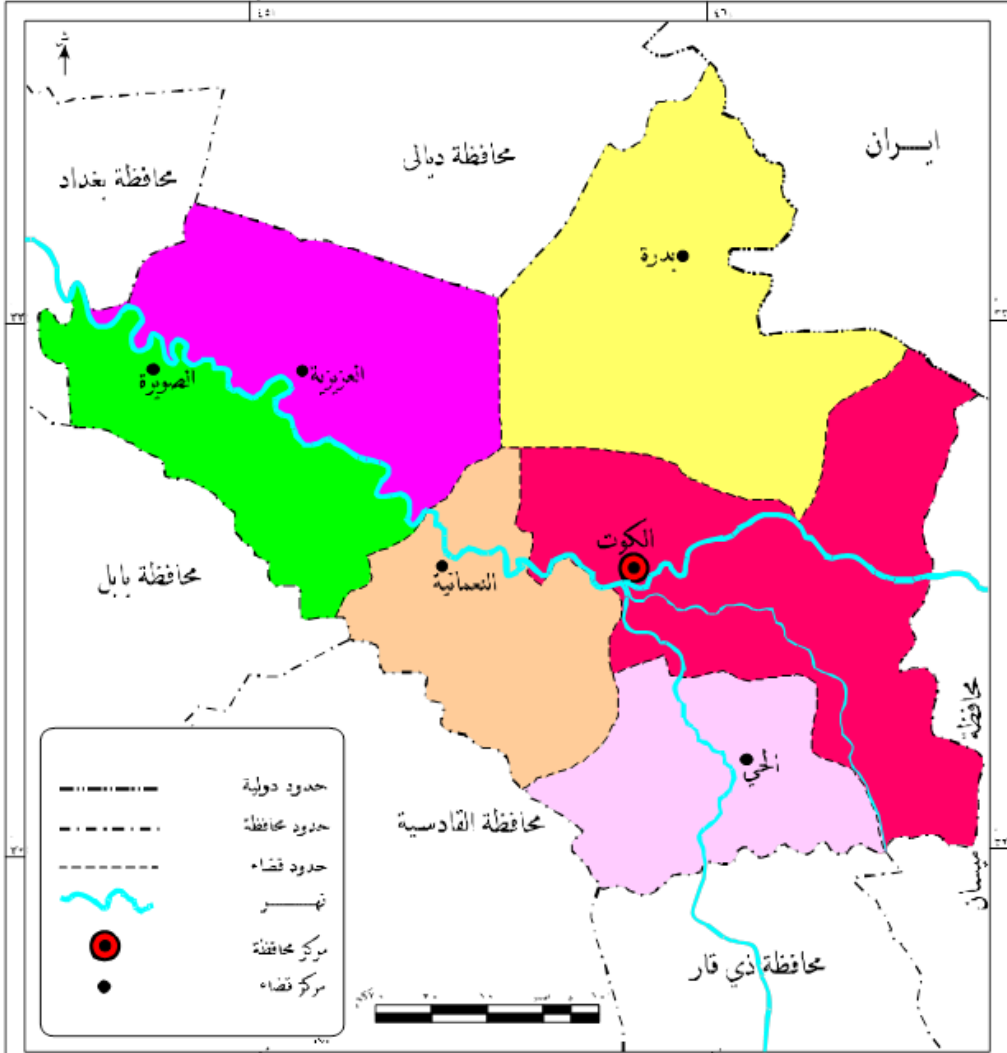
وفي اليوم الثاني وقبل أن يلتقي الجيشان مات القائد التركي سُبُكْتِكِين الحاجب، فاضطرب الجيش، ثم وكلوا الأتراك أمرهم إلى القائد أفتكين وهو من القادة الأتراك الشجعان، وبايعوه أميراً عليهم، وعرض عليه الخليفة الطائع لله اللقب فامتنع منه، واقتصر على الكنية، وأقر أصحاب سُبُكْتِكِين على ما كانوا عليه، وعمل على لقاء عز الدولة.

وكان سُبُكْتِكِين قبل وفاته كتب إلى حمدون بن ناصر الدولة وكان في بغداد أن يمده وينصره بجيش من عنده على قتال عز الدولة، فأجابته بالنصرة، لأنه يكن العداوة لأبي تغلب، وكان أبو تغلب ينصر عز الدولة فأراد أن يعاكسه، وبعد وفاة سُبُكْتِكِين رحمه الله كتب أفتكين إلى حمدون يعلمه موت سبكتكين، وأن الأمر آل إليه، فلما وصل حمدون تقدم جيش سبكتكين، ولكن للأسف بيت بن حمدون الغدر بالخليفة وقائده التركي واتفق مع عز الدولة أنه سوف ينحاز إليه أثناء اللقاء في المعركة، اعتقاداً منه أن أمر الأتراك قد اضطرب بعد موت سبكتكين، وكان عرف أيضاً مسير عضد الدولة وخيول ركن الدولة، نصرة لعز الدولة فأنفذ كتاب أفتكين الوارد عليه إلى بختيار وأعلمه أنه سيعود إلى أفتكين ثم ينحاز إليه واشترط شروطاً على ذلك أجابها له.

وفعلاً عندما وصل بن حمدون بمقدمة الجيش استأمن إلى عز الدولة، فتلقاه، وأكرمه، وحمل إليه مالاً ودواباً وثياباً، وهذه ثلثة وعار لحقت بآل حمدون العرب الذين كان لأبائهم وأجدادهم مواقف بطولية ومشرفة في قتالهم للصليبيين والفرس طول فترة حكمهم على الموصل، فخذل بموقفه هذا خليفة المسلمين ونصر دولة بني بويه الذين أهانوا الخلافة وصادروا حق الخليفة بالحكم مقابل عرض من الدنيا فبئس البيع وبئس الثمن.

وبلغ ذلك الجنود الأتراك، فضعفت قلوبهم، واضطربت صفوفهم بعد هذا الخذلان وتوقفوا عن المسير أياماً، ثم عزموا عليه، ورجعوا، ونزلوا بضعة كيلو مترات عن واسط، وعقدوا جسراً من السفن التي كانت معهم، ولهم زبازب كثيرة فيها المقاتلة، وحصل في أيديهم الجانب الشرقي بأسره، وكانوا يعبرون على الجسر فيقاتلون الديلم، فأقاموا كذلك خمسين يوماً، وركب يوماً ابن حمدان يقاتل الأتراك، فعرفوه، فكبوا عليه بالديبايس حتى أثنوه، وأخذوه أسيراً، ووقع في وركه دبوس فخرج منه إلى آخر عمره، وحملوه إلى أفتكين، ثم من عليه وأطلق سراحه بعد أيام، وأشرف عز الدولة والديلم على الهزيمة مرات، وكانت الأيام كلها للأتراك، واشتد الحصار على عز الدولة، وضافت عليه الميرة، واستولى الأتراك على واسط من الجانبين⁽¹⁾.

(1) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي بتصرف. 17 / ص 465.



خريطة تبين حدود مدينة واسط من المحافظات العراقية وتبين اقصيتها ونواحيها اليوم.

دخول أبو تغلب بن حمدون إلى بغداد سنة 364 هجرية.

وكان أبو تغلب إلى جانب عز الدولة فدخل بغداد، والخليفة الطائع لله وأفتكين القائد الجديد وجميع الأتراك كانوا في واسط لقتال عز الدولة، فاستغل أبو تغلب هذا الفراغ وغار على بغداد، فاضطربت المدينة وخرج من كان يستتر من أصحاب عز الدولة، وسير أبو تغلب أبا السرايا بن سعيد بن حمدان إلى واسط مدداً لعز الدولة، وعقد الجسر بقطيعة أم جعفر، وعبر بنفسه إلى الجانب الشرقي من بغداد فاخرقه، وعاد إلى عسكره، وقبض على أصحاب الأتراك، وتبع أسبابهم، وأدخل يده في أموالهم.

ولما بلغ ذلك الأتراك ساروا بأجمعهم بقيادة أفتكين مع الخليفة الطائع لله إلى بغداد، وصاروا إلى قصر "فرح" بإزاء معسكر أبي تغلب، وهتفوا به، وشتموه أقبح شتم، ودخل الطائع والأتراك بغداد، ورحل أبو تغلب إلى الموصل، وخلي عن الجانب الغربي، واستتر من كان ظهر من أصحاب عز الدولة، وملك الأتراك الجانبين، وعسكروا بباب الشماسية، ونزل الخليفة في داره⁽¹⁾.

(1) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. بتصرف 17 / ص 465.

طمع عضد الدولة ببغداد ومكره بابن عمه.

بعد الهزيمة التي لحقت بعز الدولة وجيشه على يد الأتراك في بغداد ثم واسط، كان قد كتب إلى ابن عمه عضد الدولة يستجده ويطلب منه العون ضد الأتراك، كما كتب إلى عمه ركن الدولة وإلى أبي تغلب بن حمدون وكذلك صاحب البطيحة بن شاهين.

وكان عضد الدولة في فارس وتصله أخبار العراق يوماً بيوم، وكان يطمع أن يملكها لما يرى من سوء تدبير بختيار عز الدولة لها، كما أنه كان فاسد الرأي في ابن عمه مضطغناً أشياء كانت تقدّمت بينهما، وكان عضد الدولة يحبّ أن تستحكم الفتن ويستشري البلاء في بغداد حتى يزول أمر بختيار عنها، ثم يقصدها بنفسه وخيله وأمواله ويدبر أمرها لنفسه ويضمّها إلى ممالكه⁽¹⁾.

فتعمد عضد الدولة أن يكتب إلى أبيه ركن الدولة ويبين له أنه يفدي ابن عمه بماله وجنده وأنه ماض لنصرته، ويمنعه من الحركة ويقول له: أنا أكفيك نصره ابن عمي، وكانت غايته أن يتباطأ هو عنه، ويمنع جيش أبيه من نصرته حتى تُهلك الأتراك ابن عمه طمعاً بملك العراق، وحصل ما أَرادَه فهُزم عز الدولة في واسط وكانت الغلبة للأتراك.

وبعدها سار عضد الدولة بجيوشه من فارس وسار وزير ركن الدولة أبو الفتح ابن العميد من الري نصره لعز الدولة على الأتراك، وكانت بغداد على ما ذكرناه فقد دخلها أفتكين مع الأتراك وفر منها أبو تغلب باتجاه الموصل، ثم وصل عضد الدولة والتقى بابن عمه بختيار عز الدولة، وسارا إلى بغداد، فحوصر أفتكين في بغداد من جميع جهاته، وذلك أن بختيار كتب إلى ضبة بن محمد الأسدي، وهو من أهل عين التمر⁽²⁾، فأمره بالإغارة على

(1) تجارب الأمم وتعاقب الهمم لابن مسكويه. 6 / ص 377.

(2) عين تمر: مدينة تقع في الجنوب الغربي لمحافظة كربلاء اليوم.

أطراف بغداد، وبقطع الميرة عنها، وكتب بمثل ذلك إلى بني شيبان، وكان أبو تغلب بن حمدان من ناحية الموصل يمنع الميرة وينفذ سراياه أيضاً، وسار عضد الدولة نحو بغداد، فلقية أفتكين والأتراك بين ديالى والمدائن، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم الأتراك وقتل منهم خلق كثير، فدخل عضد الدولة بغداد ونزل بدار المملكة، وخرج أفتكين باتجاه الشام.

وكان عضد الدولة قد طمع في العراق، واستضعف بختيار، وإنما خاف أباه ركن الدولة، فحرض جند بختيار على أن يثوروا به ويشغبوا عليه، ويطالبوه بأموالهم والإحسان لأجل صبرهم مقابل الأتراك، ففعلوا ذلك وبالغوا، وبالمقابل أشار عضد الدولة على بختيار أن لا يكثر لأجلهم، وأمره بالغلظة عليهم، وأن لا يعدهم بما لا يقدر عليه، وأن يعرفهم أنه لا يريد الإمارة والرئاسة عليهم، ووعد أنه إذا فعل ذلك توسط الحال بينهم على ما يريد. فظن بختيار أنه ناصح له، مشفق عليه، ففعل ذلك، واستعفى من الإمارة، وأغلق باب داره، وصرف كتابه وحجابه، فكاد به عضد الدولة واستمال الجند إليه وأغراهم بالمال فكانوا في صفه، حتى قبض على ابن عمه واعتقله، واستولى على ملكه في العراق، ولما سمع الخليفة الطائع لله باعتيال عز الدولة فرح بذلك وُسّر لأنه كان مع الأتراك في حربهم ضده، وعندما دخل عضد الدولة بغداد أكرم الخليفة تعاكساً مع ابن عمه عز الدولة.

فصار أمر بغداد إلى عضد الدولة، وهذه هي دخلته الأولى إلى بغداد تملكها بالحيلة والدهاء والمكر بابن عمه.

فلما سمع أباه ركن الدولة غضب غضباً شديداً وتوعد ابنه عضد الدولة، وثار لعز الدولة مناصريه بعد أن علموا بغضب ركن الدولة على ابنه، ورفضه مكره بابن عمه، فاضطربت الأمور في بغداد على عضد الدولة واختل ملكه فيها، فكتب ركن الدولة إلى ابن

أخيه عز الدولة وإلى المرزبان ولده وغيرهما ممن احتى لبختيار، يأمرهم بالثبات والصبر، ويعرفهم أنه على المسير إلى العراق لإخراج عضد الدولة وإعادة بختيار إلى ملكه.

فاضطربت النواحي على عضد الدولة، وتجاسر عليه الأعداء حيث علموا إنكار أبيه عليه، وانقطعت عنه موارد فارس والبحر، ولم يبق بيده إلا قسبة بغداد، وطمع فيه العامة وأشرف على ما يكره، ووردت إلى عضد الدولة رسائل من أبيه يوبخه على تجاوزاته وينكر عليه فعلته ويتوعده، سائلاً إياه هل كان خروجك بجيشك وخيلك لنصرة ابن أخي أم للطمع في ملكه، وهدد عضد الدولة ومن معه بالمسير إليهم وقتالهم.

فلما رأى عضد الدولة انحراف الأمور عليه من كل ناحية، قرر المسير إلى فارس وإعادة بختيار إلى ملكه، فأخرجه من محبسه، وخلع عليه، وشرط عليه أن يكون نائباً عنه بالعراق، ويخطب له، ويجعل أخاه أبا إسحاق أمير الجيش لضعف بختيار، ورد عليهم جميع ما كان لهم، وسار إلى فارس⁽¹⁾.

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 7 / ص 328-333 بتصرف.

وفاة ركن الدولة وتقسيم ملكه بين أبنائه.

كان الجيل الأول للدولة البويهية متمثلاً بالإخوة الثلاثة الذين أسسوا هذه الدولة، وكان كبيرهم عماد الدولة الذي حكم بلاد فارس قرابة 16 سنة، ثم مات في سنة 338 هجرية، وجعل ولي عهده ابن أخيه عضد الدولة بن ركن الدولة، ثم في سنة 356 هجرية، توفي أحمد بن بويه معز الدولة وهو الأخ الأصغر بين الإخوة الثلاثة الذي حكم العراق ودام ملكه عليه 22 سنة، وانتقل الحكم لولي عهده ولده عز الدولة بختيار، فلم يتبقى من الجيل الأول إلا ركن الدولة.

وفي سنة 365 هجرية كتب ركن الدولة إلى ابنه عضد الدولة عزمه تقسيم ملكه بين أولاده بسبب كبر سنه ودنو أجله، وأمرهم بالحضور عنده، فاجتمعوا له وقسم الممالك بينهم، فجعل لعضد الدولة فارس وكرمان⁽¹⁾، وأرجان، ولؤيد الدولة الري⁽²⁾ وأصفهان⁽³⁾، ولفخر الدولة همذان⁽⁴⁾ والدينور⁽⁵⁾، وجعل ولده أبا العباس في كنف عضد الدولة وأوصاه به⁽⁶⁾، وفي سنة 366 هجرية توفي ركن الدولة بن بويه، وقد تملك همذان وما حولها سنة 322 هجرية فدام ملكه وسلطانه على كل تلك البلاد أكثر من 44 سنة، وبوفاته يكون قد انتهى الجيل الأول من الدولة البويهية، وانتقل الملك من بعده لابنه عضد الدولة، وبتولي ابنه الملك تكون قد بدأت مرحلة الدولة البويهية الثانية، مرحلة الجيل الثاني. وجاء في كتاب العهد ما يلي:

(1) كرمان: محافظة في إيران اليوم.

(2) الري: مدينة تقع في طهران اليوم.

(3) أصفهان: مدينة كبيرة في إيران جنوب طهران اليوم.

(4) همذان: مدينة كبيرة تقع في إيران اليوم.

(5) الدينور: مدينة تقع غرب إيران اليوم.

(6) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. 14 / ص 243.

هذا عهدٌ عهده ركن الدولة إلى عضد الدولة ولده، مُستخيراً لله فيما يأتيه، راجعاً إليه فيما يُدبِّره وَيَقْضِيه، مُهْتَدِياً به فيما يأمر به وَيُمْضِيه، وَمَنْ يَعْتَمِد على الله يَهْدِهِ وَيَكْفِيه، حين رأى وَلَدَه عضدَ الدولة أكفأ مَنْ استكفاه، وأوفر مَنْ استرعاه، وأولى مَنْ عَهْدَ إليه واعتمد في أموره عليه، وَعَصَبَ برأيه نواصي أموره، وألقى إلى عَزْمِه أَرْزَمَةَ تديبره، ارتضاه لِلنَّظَرِ في أمور ممالِكه ووُلَاتِها، وبلادِها وحُمَاتِها، مُشِيراً وَمُسْتَنْدَاً، ومُوَازِراً وَمُنْفَرِداً ... وذكر الأماكن التي وقع عليها التَّعْيِين، وشَرَطَ أن لا يُنَازِعَ أحدٌ صاحِبَه فيما أُفرد به، ووقعت الشَّهادَةُ على الإخوة بِمَحْضَرٍ من القُضاة والعُلَمَاء والأشرف والقُواد والأعيان، وفي آخر الكتاب: وكتب ذو الكِفايَتَيْنِ أبو الفتح بن العَمِيد في رجب من هذه السنة⁽¹⁾.

وقد كان سائساً حليماً وقوراً، كثير الصدقات، محباً للعلماء، فيه إيثار وكرم كثير، وحسن عشرة ورياسة على أقاربه ودولته ورعيته⁽²⁾، وكان لين الجانب وينفق الأموال العظيمة ويخص بها العلويين.

توفي وعمره قد تجاوز ال 70 سنة، وكانت فترة حكمه منذ ظهور دولتهم في فارس سنة 321 هجرية إلى أن مات في سنة 366 هجرية قرابة ال 45 سنة، وكان قد تولى الحكم وهو شاب في بداية العشرين من عمره، فأحسن لرعيته في بلاده.

(1) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط الجوزي. 17 / ص 479.

(2) البداية والنهاية لابن كثير. 15 / ص 369.

دخول عضد الدولة إلى بغداد.

بعد أن مات ركن الدولة بن بويه، وقد قسم ملكه بين أبنائه قبل موته، وكانت الحصبة الكبيرة لابنه عضد الدولة، وبوفاة الأول وتولي الثاني تكون قد دخلت الدولة البويهية بمرحلة جديدة، مرحلة الجيل الثاني التي بدأت بالاحتلال بين قادتها وهم أبناء العم، وبدأ ملكهم بدءاً من هذا التاريخ بالضعف والانحدار شيئاً فشيئاً بعد أن دب الخلاف والاختلاف فيما بينهم حتى أذن الله بسقوط دولتهم سنة 447 هجرية.

وكان عضد الدولة قبل وفاة أبيه ركن الدولة قد سيطر على بغداد وطمع بملك العراق، وقبض على ابن عمه بختيار عز الدولة، فغضب عليه أبوه غضباً شديداً، حتى رد العراق إلى ابن أخيه بختيار عز الدولة وطيب خاطره على ما ذكرناه في عهد عز الدولة. وبعد زوال المانع من تملك عضد الدولة للعراق بوفاة أبيه عزم على مقاتلة ابن عمه والاستيلاء على العراق والسيطرة على بغداد دار الخلافة ومقر الحكم، وكان طموحاً شغوفاً بالملك.

وفي كل هذه الصراعات التي تدور بين القادة والأمراء من أبناء بويه، لم يكن للخليفة أي دور يذكر بل هو تبع لمن تغلب على بغداد، ويسيطر على مقر الخلافة، فمن تملك منهم وسيطر على بغداد، خلع عليه الخليفة خلع السلطنة ولقبه بالسلطان العظيم.

فتجهز عضد الدولة لقتال ابن عمه بختيار عز الدولة ومن تحالف معه، وعندما سمع بذلك عز الدولة، بمسيرة ابن عمه إليه تحالف مع قوى أخرى، وسار إليه في الأهواز، وسار عضد الدولة من فارس نحوهم، فالتقوا في ذي القعدة من سنة 366 هجرية واقتتلوا، فخار على بختيار بعض عسكره، وانتقلوا إلى عسكر عضد الدولة، فانهزم بختيار، وأخذ ماله ومال ابن بقية، وهبت الأثقال، ورجع بختيار إلى واسط منهزماً، واستقر عند عمران بن شاهين في البطيحة، فأكرمه وأعطاه كثير من الأموال والهدايا، ثم كتب بختيار إلى عضد

الدولة بالصلح، وقبل أن يجيبه عضد الدولة في أمر الصلح وصل إليه عبد الرزاق وبدر ابنا حسنويه في نحو 1000 فارس معونة له، فلما وصلا إليه تقوى وأظهر المقام بواسطة ومحاربة عضد الدولة، فوصل لعضد الدولة خبره وأنه نقض الصلح، ثم بدأ لبختيار في المسير، فسار إلى بغداد، فعاد عنه ابنا حسنويه وتركاه، ووصل بختيار إلى بغداد وبقي فيها، حتى سار إليه عضد الدولة، في سنة 367 هجرية وأرسل إلى بختيار يدعوه إلى طاعته، وأن يسير عن العراق إلى أي جهة أراد، وضمن مساعدته بما يحتاج إليه من مال وسلاح وغير ذلك، فاختلف أصحاب بختيار عليه في الإجابة إلى ذلك، إلا أنه أجاب إليه لضعف نفسه، على أن يسير إلى الشام فأنفذ له عضد الدولة خلعة، فلبسها، وأرسل إليه يطلب منه قائده ابن بقية، فقلع عينيه وأنفذه إليه⁽¹⁾، واستقر الأمر في العراق إلى عضد الدولة إضافة إلى ما ورثه من أبوه في ملك فارس .

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 7 / ص 385.

مقتل بختيار عز الدولة.

بعد أن دخل بغداد عضد الدولة وأبرم الاتفاق مع بختيار على أن يسير إلى الشام ويترك العراق له، وكان مع بختيار حمدان ابن ناصر الدولة، ولما خرجا من بغداد باتجاه الشام، أشار عليه بن ناصر الدولة أن يسير إلى الموصل فمهي خير له من الشام، وكان عضد الدولة قد حذره من المسير إلى ملك بن حمدون في الموصل، فنقض الاتفاق وسار إلى الموصل بعد مشورة حمدون بن ناصر الدولة وعندما سمع أبي تغلب بن ناصر الدولة بخروج بختيار مع أخيه حمدان إلى الموصل، كتب أبو تغلب إلى بختيار يخبره أن يقبض على أخيه، ويسلمه له فإن فعل سار له بجيش عظيم لمقاتلة عضد الدولة واسترجاع ملكه له في العراق، ففعل بختيار وسلم حمدان بن ناصر الدولة لأخيه أبي تغلب، فسبحان الله كيف خذل قديماً حمدان القائد التركي أفتكين والخليفة وغدر بهم في واسط، فدارت عليه الدائرة فغدر به عز الدولة وسلمه إلى أخيه أبي تغلب وكانت بينهم عداوة.

وفي سنة 367 هجرية سار بختيار إلى الحديثة⁽¹⁾، واجتمع مع أبي تغلب بن ناصر الدولة صاحب الموصل، وسارا جميعاً نحو العراق، وكان مع أبي تغلب نحو 20 ألف مقاتل، وبلغ ذلك عضد الدولة فسار عن بغداد نحوهما، فالتقوا بقصر الجص بنواحي تكريت⁽²⁾، فهزهما، وأسر بختيار، وأحضر عند عضد الدولة، فلم يأذن بإدخاله إليه، وأمر بقتله فقتل، وقتل من أصحابه خلق كثير، واستقر الملك لعضد الدولة بعد ذلك في العراق⁽³⁾، وبقي البلدان في فارس.

(1) الحديثة، وهي حديثة الموصل: بليدة كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الأعلى، معجم البلدان للحموي/2 ص 230.

(2) محافظة تكريت اليوم شمال بغداد.

(3) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 7 / ص 360.

وكان عز الدولة بختيار قد تملك في بغداد بعهد من أبيه معز الدولة سنة 356 هجرية، وعمره آنذاك قرابة 20 سنة، ودام ملكه قرابة 11 سنة فيكون مجموع عمره على ما ذكره ابن الجوزي 36 سنة، وكان كثير الدهو واللعب مقبلاً على المملذات.

الفصل السابع:

- العراق في عهد عضد الدولة بن ركن الدولة البويهى 366 – 372 هجرى.
- استيلاء عضد الدولة على الموصل.
- إعادة إعمار بغداد على يد عضد الدولة.
- استيلاء عضد الدولة على ما بيد أخيه فخر الدولة في همدان وغيرها.
- وفاة عضد الدولة.

العراق في عهد عضد الدولة بن ركن الدولة البويهي 366-372 هجري.

اسمه وكنيته وشيء من سيرته.

أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة بن أبي شجاع بويه الملقب بعضد الدولة، أول من

تسمى بالملك في الإسلام، وأول

من خطب له على المنابر

بيغداد بعد الخليفة، وكان من

جملة ألقابه تاج الملة، وكان

فاضلاً محبباً للفضلاء مشاركاً

في عدة فنون، وصنف له

الشيخ أبو علي الفارسي كتاب

الإيضاح والتكملة في النحو⁽¹⁾.



عملة ذهبية نقش عليها اسم عضد الدولة

ولم يملك أحد من ملوك بني بويه ما ملكه عضد الدولة، وكانت له كرمان، وفارس،

وعمان، وخوزستان، والعراق، والموصل، وديار بكر وحران، ومنبج، وقد ورث عمه عماد

الدولة في فارس فقد تولى الملك بعده بعهد منه إذ لم يكن لعمه ولد يرثه، فأرسل في طلبه

وولاه عهده، وجعله خليفة له فيما كان يملكه، وقد اتسع ملكه، وعلا صيته، وخضعت له

الملوك والأمراء، وقصده الشعراء، وقد مدحه أبو الطيب المتنبي بقصائد ومنها قوله في

قصيدته الهائية:

(1) وفيات الأعيان لابن خلكان. 4 / ص 51.

وقد رأيت الملوك قاطبة وسرت حتى رأيت مولاها
ومن مناياهم براحته يأمرها فهم وينهاها
أباشجاع بفارس عضد ال دولة فناخسرو شهنشاهها

وكان يظهر اهتمامه بالعلم والأدب ويحضر في مجلسه كثير من العلماء والفقهاء وكان يحب الشعر وينشده ومن شعره:

يَا طيب رَائِحَة من نَفحة الخيري إذا تمزق جِلْبَاب الدياجير
كَأَنَّما رش بالماورد أَوْ عبقت فِيهِ دواخن ند عِنْد تبخير
كَأَنَّ اوراقه فِي القَد اجنحة صفر وحمرو وبيض من دَنَائير⁽¹⁾

وقد زوج بنته الكبيرة إلى الخليفة الطائع لله، وكان مهرها 100 ألف، وحضر العقد الخليفة، وأتاب عن عضد الدولة أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي النحوي، وحضر العقد الأشراف والقضاة والشهود.

وهو الذي بنى المشهد في النجف مدعياً أنه قبر الخليفة الراشد علي بن أبي طالب، وقد حكى كثير من المؤرخين أن القبر الذي في النجف ليس بقبر علي، وإنما هو قبر الصحابي المغيرة بن شعبة، ولم يتأكد لا قديماً ولا حديثاً من صحة من ادعى أن الصحابي علي بن أبي طالب قد دُفِن في النجف، وهناك من قال أن علياً دفن في قصر الكوفة.

يقول الذهبي: وعضد الدولة كان شيعياً جلدأ أظهر بالنجف قبراً زعم أنه قبر الإمام علي، وبنى عليه المشهد، وأقام شعار الرفض، ومآتم عاشوراء، والاعتزال⁽²⁾.

(1) يتيمة الدهر لابي منصور الثعالبي. 2 / ص 259.

(2) سير أعلام النبلاء للذهبي. 16 / ص 250.

وبعد أن تملك العراق وتغلب على ابن عمه بختيار عز الدولة يكون قد ورث ملك أبيه وأعمامه مؤسسي الدولة البويهية كلهم، وهذه كانت له ولم تكن لغيره من بني بويه، لأنها كانت من غاياته وأهدافه في توسيع ملكه، ونشر نفوذه في بقاع الأرض، وأن يكون اسمه يقرأ في كل الولايات والمدن، من مشرق الأرض إلى مغربها، فقد ورث عمه عماد الدولة في فارس الذي لم يكن له ولد فأوصى بملكه في حياته له وأجلسه على كرسي عرشه، ثم ورث أباه ركن الدولة في همدان وغيرها بعهد منه قبل وفاته، ثم غلب على ملك ابن عمه عز الدولة في العراق، الذي ورث الملك من أبيه معز الدولة حتى قتله، وبه يكون قد مَلَكَ كَلِّ مُلْكِ أبيه وأعمامه، واستولى على كل مال للدولة البويهية من ملك وممالك!.

ثم أراد أن يُجمع له بين السلطنة والخلافة فتكون في نسبه وولده، وربما كانت هي ضمن خطته في مصادرة الخلافة بهذا الوجه، فدبّر عضد الدولة أن يزوج ابنته الكبرى للخليفة الطائع لله، ففعل ذلك وعقد العقد بحضرة الطائع لله وبمشهد من أعيان الدولة والقضاة على صداق 100 ألف دينار، وبني الأمر فيه على أن يرزق ولداً ذكراً منها فيوَلَّى العهد وتصير الخلافة في بيت بني بويه ويصير الملك والخلافة مشتملين على الدولة البويهية⁽¹⁾.

حتى إذا انتهى من هذا كله عزم على ضم ملك إخوته إلى ملكه، فسار في أخذ الملك من إخوته مؤيد الدولة وفخر الدولة أبناء ركن الدولة، فأرسل لهم الرسائل في وجوب طاعته ولزوم أوامره، فأجابه مؤيد الدولة بالطاعة وأنه واقف على حدود طاعته وتابع له في رضاه وغضبه، وأما فخر الدولة فأجابه بمعارضته والتزامه بوصية أبيه في تقسيم الملك بينهم، فسار إليه عضد الدولة وجرده من ملكه وتغلب عليه وأخذ ما كان في يديه.

وكان عضد الدولة شديد البأس يقتل ويهلك ظناً منه أن ذلك سياسة، فيخرج بذلك الفعل عن مقتضى الشريعة، حتى أن جارية شغلت قلبه بميله إليها عن تدبير المملكة، فأمر

(1) تجارب الهمم وتعاقب الهمم لابن مسكويه. 6 / ص 464.

بتغريقها، وأخذ غلاماً بطيحاً من رجل غصباً فضره بسيف فقطعه نصفين⁽¹⁾، كما كان محباً للمال ويسعى لجمعه بأي أي طريقة كانت، حتى فرض الرسوم والضرائب على بايعي الدواب والأمتعة، ووصل دخله من الأموال سنوياً إلى ثلاثمائة ألف ألف وعشرين ألف درهم، أي **300,200,000** ثلاثمائة مليون ومئتين ألف درهم سنوياً، فقال: أريد أن أبلغ به إلى ثلاثمائة وستين ألف ألف درهم، ليكون دخلنا في كل يوم ألف ألف درهم⁽²⁾، أي يكون دخله اليومي **1000,000** مليون درهم من الفضة، حتى يصل دخله السنوي إلى **360,000,000** ثلاثمائة وستين مليون درهماً سنوياً.

والدرهم الإسلامي من الفضة يكون وزنه عند جمهور العلماء **2.97** غرام فلو ضربنا مجموع دخله السنوي بقيمته اليوم ونحن نكتب هذه العبارات فقيمة غرام الفضة يساوي قرابة **0.72 \$** فيكون مجموع دخله السنوي **766,800,000 \$** سبعمائة وست وستين مليون دولار، بعائد شهري يقدر بـ **63,900,000 \$** ثلاث وستين مليون وتسعمائة ألف دولار. فتخيل هذه الثروة من الأموال التي تجي له سنوياً، وكان يحاسب عماله القائمين عليها حساباً دقيقاً.

(1) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. 14 / ص 293.

(2) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. 14 / ص 294.

استيلاء عضد الدولة على الموصل.

بعد أن هزم عضد الدولة أبا تغلب صاحب الموصل في تكريت وقتل ابن عمه بختيار واستولى على ملكه في العراق، عزم على ضم الموصل إلى ملكه بخاصة بعد موقف أبي تغلب وتحالفه مع بختيار ضده، فتجهز للمسير إلى الموصل، وكان أبو تغلب في الموصل وقد حاول أن يستخدم نفس التكتيك الذي استخدمه والده ناصر الدولة في حروبه مع معز الدولة، عندما يخرج من الموصل ويقطع على الجيش القادم لحربه كل المون والميرة حتى يرهق الجيش فيعود من حيث أتى، وقد مر ذكر هذه التفاصيل أكثر من مرة.

ولكن عضد الدولة فطن لهذا الأمر وأدرك خطة بن حمدون، فحمل معه الميرة والعلوفات، ومن يعرف ولاية الموصل وأعمالها، وأقام بالموصل مطمئناً، وبث السرايا في طلب أبي تغلب، فأرسل أبو تغلب يطلب أن يضمن البلاد، فلم يجبه عضد الدولة إلى ذلك، وقال: هذه البلاد أحب إلي من العراق، وأرسل عضد الدولة السرايا والمقاتلين في طلب أبي تغلب وهو يفر من مدينة إلى أخرى ويقاتلهم مرة ويفر أخرى، فلم يظفروا به وعادت جميع السرايا إلى الموصل، ورحل أبو تغلب إلى مصر، واستقر الأمر في الموصل لعضد الدولة وفتح قائده أبو الوفاء على ميفارقين⁽¹⁾، وسائر بلاد ديار بكر في تركيا اليوم، وبدأ ملك عضد الدولة بن بويه بالتوسع حتى أزاح أمامه كل القادة الذين يقفون في طريقه كما قتل ابن أخيه بختيار عز الدولة وأزاحه من بغداد وأزاح أبا تغلب عن الموصل.

وقوي أمر عضد الدولة في كل البلاد حتى أمر الخليفة الطائع لله أن يدعى لعضد الدولة بعد الخليفة على منابر المساجد في بغداد، وأن تضرب الدبادب على بابه وقت الفجر وبعد المغرب والعشاء. قال ابن الجوزي: وهذا شيء لم يتفق لغيره من بني بويه، وقد كان معز الدولة سأل من الخليفة من قبل أن يضرب الدبادب على بابه فلم يأذن له⁽²⁾.

(1) ميفارقين: تقع في شمال شرق ديار بكر في تركيا اليوم

(2) البداية والنهاية لابن كثير. 15 / ص 389.

إعادة إعمار بغداد على يد عضد الدولة.

استقر الملك في بغداد لعضد الدولة وقد قلده الخليفة الطائع لله أمور الدولة من مشرقها إلى مغربها، وقال له: قد رأيت أن أفوض إليك ما أوكل الله تعالى إليّ من أمور الرعية في شرق الأرض وغربها، وتديبرها في جميع جهاتها سوى خاصتي وأسبائي، وما وراء بابي، فتولّ ذلك مستخيراً بالله تعالى.

وكانت بغداد قد خربت بسبب توالي الفتن عليها، وإحراقها لأكثر من مرة، فأمر عضد الدولة بإعادة إعمارها مرة أخرى، فعمر جميع مساجدها وأسواقها، وأمر أصحاب الأملاك والبيوت التي خربت أن يعيدوا إعمارها وتصليحها، وأدرّ الأموال على الأئمة، والمؤذنين، والعلماء، والقراء، والغرباء، والضعفاء، الذين يأوون المساجد، وجدد ما دثر من الأنهار، وأعاد حفرها وتسويتها، وأطلق مكوس الحجاج، وأصلح الطريق من العراق إلى مكة، شرفها الله تعالى، وأطلق الصّلات لأهل البيوتات والشرف، والضعفاء المجاورين بمكة والمدينة، وفعل مثل ذلك بمشهدي علي والحسين رضي الله عنهما، وسكن الناس من الفتن، وأجرى الجرايات على الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين، والمفسرين، والنحاة، والشعراء، والنسابين، والأطباء، والحساب، والمهندسين، وأذن لوزيره نصر بن هارون، وكان نصرانياً، في عمارة البيع والديرة، وإطلاق الأموال لفقراءهم⁽¹⁾.

وتأتي هذه اصلاحاته وعمارته للأسواق، والطرقات وحفره للقنوات واصلاحه لنظام الري، وحتى تقريبه للعلماء ودوره في إثراء الحياة العلمية ما هي إلا من باب حب الظهور، والشهرة والتفرد، وهو امر شاع اتباعه بين أمراء الأطراف حيث كانوا يتنافسون من اجل الظهور بمظاهر المصلحين المقربين للعلماء المشجعين للعلم والثقافة⁽²⁾، اضافة إلى ما تقدم فهي تغطيته على دعمه للفقهاء والعلماء الغلاة وهو بمثابة ذر الرماد في العيون لتحويل أنظار الناس عن أهدافه الحقيقية.

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 7 / ص 370.

(2) الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي لرشاد عباس معتوق. ص 81.

استيلاء عضد الدولة على ما بيد أخيه فخر الدولة في همذان وغيرها.

لم يكتفي عضد الدولة بما لديه من الملك، فأراد أن يتوسع أكثر في ملكه، وقرر أن يفرض سيطرته على الولايات والمدن والدول التي تسيطر عليه الأمراء والقادة العسكريين المتغلبين على تلك المدن بالسيف، ولم يسلم من طمعه وجشعه حتى أخيه فخر الدولة الذي كان يسيطر على الجبل وهمذان، وباقي مناطق فارس، وهي إرث أبيه ركن الدولة، وكان فخر الدولة قد جرت بينه وبين بختيار عز الدولة مراسلات قبل أن يقتله عضد الدولة، وكانت هذه المراسلات قد جرت فيها اتفاقات فيما بينهم على حرب عضد الدولة، وارجاع ملك بغداد إلى بختيار، وقد علم بذلك عضد الدولة فكتمه لحين الفراغ من القضاء على خصومه بختيار وأبي تغلب بن ناصر الدولة، ولم يكن هذا السبب وحده الذي جعله ينقض على ملك أخيه، بل كان هذا المبرر والحجة لاستيلائه على ملك أخيه، بل كانت غايته أن يملك كل ما لأبيه وأعمامه، ويتفرد في ملك الدولة البويهية تخليداً لاسمه، وقد تمكن من هذا كله ودخل الجميع في طاعته، فأرسل إلى أخويه مؤيد الدولة وفخر الدولة يأمرهم بطاعته ولزوم أوامره، فأجابه مؤيد الدولة بالطاعة وأنه واقف على حدود طاعته وتابع له في رضاه وغضبه، وأما فخر الدولة فأجابه بمعارضته والتزامه بوصية أبيه في تقسيم الملك بينهم، وبعد أن وصله جواب فخر الدولة جيش الجيوش باتجاه فارس وانتزع كل ما لأخيه، واستطاع فخر الدولة أن يهرب منه ويصل إلى جرجان.

وملك عضد الدولة ما كان بيد فخر الدولة في همذان، والري، وما بينهما من البلاد وسلمها إلى أخيه مؤيد الدولة، وجعله خليفته ونائبه في تلك البلاد، ونزل الري، واستولى على تلك النواحي.

ثم عرج عضد الدولة إلى ولاية حسنويه الكردي، فقصده نهاوند⁽¹⁾، وكذلك الدينور، وقلعة سرماج⁽²⁾، وأخذ ما فيها من ذخائر حسنويه، وكانت جليلة المقدار، وملك معها عدة من قلاع حسنويه، وأتاه أولاد حسنويه، فقبض على عبد الرزاق، وأبي العلاء، وأبي عدنان، وأحسن إلى بدر بن حسنويه، وخلع عليه، وولاه رعاية الأكراد⁽³⁾.

(1) نهاوند: مدينة في إيران اليوم كان يسكنها الأكراد.

(2) قلعة تقع في إيران ضمن ملك حسنويه الكردي.

(3) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 7 / ص 373.

وفاة عضد الدولة.

بعد أن وسع ملكه واستولى على كثير من الولايات والمدن، وبلغ ملكه مشرق الأرض ومغربها، ودخل في طاعته الملوك والأمراء، الغرباء والأقرباء، باغت الموت عضد الدولة، فقطع عليه أحلامه، وأمانيه في الملك والسلطان، الملك الذي قاتل لأجله إخوانه وأبناء أعمامه.

كان يعاني عضد الدولة من علة الصرع التي بدأت تشتد عليه وهو يخفيها عن الجميع حتى أضعفت قوته، ثم خنقته وقتلته في سنة 372 هجرية، وكانت ولايته على العراق خمس سنين ونصف السنة، وعندما توفي جلس ابنه صمصام الدولة أبو كاليجار للعرش، فأناه الخليفة الطائع لله معزياً، وكان عمر عضد الدولة عند وفاته 47 سنة، وقد تولى الحكم في فارس بعهد من عمه عماد الدولة في سنة 338 هجرية، وورث الحكم من أبيه في كرمان، وأرجان، وتغلب على ملك العراق وأخذه من ابن عمه، وقهر أخوه فخر الدولة وأخذ ما بيده في همذان والدينور، فكانت فترة حكمه بين فارس إلى العراق لحين وفاته 34 سنة.

وقيل إنه لما احتضر لم ينطق لسانه إلا بقول الله تعالى: ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴾ هَلَاكَ عَنِّي

سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾⁽¹⁾، يقول ابن كثير: وهو أول من تسمى "شاهنشاه"، ومعناه ملك الملوك، وقد

ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أوضع اسم" وفي رواية: "أخنع

اسم" عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، لا ملك إلا الله عز وجل⁽²⁾.

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 7 / ص 388.

(2) البداية والنهاية لابن كثير. 15 / ص 411.

يقول ابن الجوزي في المنتظم: فكتم أصحابه موته، ثم استدعوا ولده صمصام الدولة من الغد إلى دار المملكة، وأخرجوا أمر عضد الدولة بتوليته العهد، وأرسل إلى الخليفة الطائع لله فستل كتب عهده منه، ففعل وبعث إليه خلعاً ولواءً وعهداً بإمضاء ما قلده إياه أبوه، وجلس جلوساً عاماً حتى قرئ العهد بين يديه، وهنأه الناس، واستمر الحال على إخفاء وفاة عضد الدولة إلى أن تمهد الأمر⁽¹⁾، واستلم صمصام الدولة شؤون والده كلها وحكم كل ما خارج قصر الخلافة.

وفي سنة 373 هجرية أظهر وفاة عضد الدولة وحمل تابوته إلى النجف ودفن في مشهد قبر الخليفة علي بن أبي طالب، في تربة بنيت له هناك، وكتب على قبره في ملبن ساج: "هذا قبر عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع ابن ركن الدولة أحب مجاورة هذا الإمام التقي لطمعه في الخلاص يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَفْسِهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَتَرَتِهِ الطَّاهِرَةِ"⁽²⁾.

وبوفاته تكون قد بدأت مرحلة الجيل الثالث من الدولة البويهية وهم جيل الأحفاد، وبعد وفاة عضد الدولة اختلف أبناؤه من بعده على الملك واقتتلوا فيما بينهم، فبدأت الدولة البويهية بالانحدار والضعف.

وفي نفس السنة التي أظهر فيها وفاة عضد الدولة، توفي أخوه مؤيد الدولة بن ركن الدولة في جرجان، وكان عمره عند وفاته 43 سنة، صاحب أصفهان والريّ وجرجان⁽³⁾،

(1) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. 14 / ص 289.

(2) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. 14 / ص 300.

(3) جرجان: مدينة تقع في شمال إيران اليوم.

واجتمع أهله للشورى فيمن يولّونه، فأشار الصحاب إسماعيل بن عبّاد بإعادة أخيه فخر الدولة أبي الحسن علي بن ركن الدولة إلى ملكه لكبر سنه، فملكوه على ما كان لمؤيد الدولة في هذه البلدان، وأرسل صمصام الدولة وعاهده على الاتحاد والمظاهرة، وجلس في بغداد صمصام الدولة للعزاء وجاء الخليفة الطائع لله معزياً له.

الفصل الثامن:

- العراق في عصر صمصام الدولة البويهية 371-375 هجري.
- الخلاف بين أبناء عضد الدولة.
- استيلاء شرف الدولة على بغداد وعزل أخيه.

العراق في عصر صمصام الدولة البويهية 371 - 375 هجري.

اسمه وكنيته وشيء من سيرته.

المرزبان بن فناخسروا أبو كالجيار ولقبه صمصام الدولة ونسبه مذكور مع نسب أبيه وأجداده عندما ذكرنا نسبهم، ولد صمصام الدولة سنة 353 هجرية، وتولى الحكم في بغداد بعد وفاة أبيه عضد الدولة سنة 372 هجرية وهو شاب عمره 19 سنة، ولم يكن مثل أبيه في الملك وإدارة شؤون الدولة فقد كان أضعف بكثير من أن يقارن بأبيه، ولم يدم له الملك في العراق، وشهد عصره قيام كثير من الثورات ضده، وخرج عليه إخوته وأبناء عمه. ثار عليه أخوه مشرف الدولة وسلب منه الحكم، ثم اعتقله وحبسه في إحدى القلاع وسمل له عينيه حتى عمي وذهب بصره، ثم دارت له حروب مع أولاد عمه بختيار بن عز الدولة، حتى قتلوه في سنة 388 هجرية، وبقتلهم لصمصام الدولة كان قد أخذ بثأر أبيهم عز الدولة عندما قتله عمهم عضد الدولة، وعندما وضع رأسه أمام أبي نصر بن بختيار قال: هذه سنة سنها أبوك، ويعني قتل عضد الدولة لأبيهم عز الدولة، وأخذ ملك العراق منه.

الخلاف بين أبناء عضد الدولة.

وكان صمصام الدولة قد ولي أمر أبيه على بغداد وكان أخوه شرف الدولة على مناطق من فارس، وما أن سمع بتولي أخيه الملك بعد أبيه ثار وتمرد عليه، فأرسل صمصام الدولة إخوته الآخرين أبا الحسين أحمد وأبا طاهر فيروز شاه حتى تملكا كرمان فسبقهم إليها شرف الدولة فتملكها، وقطع الخطبة لصمصام الدولة وخطب لنفسه وتلقب بتاج الدولة. وبعث إليه صمصام الدولة جيشاً بقيادة علي بن دنقش حاجب أبيه فهزمه جيش شرف الدولة قرب عقرقوف⁽¹⁾.

ثم تحرك شرف الدولة باتجاه الأهواز، وهدفه بغداد حتى تملك الأهواز، ثم ملك البصرة، وبلغ الخبر إلى صمصام الدولة، فراسله في الصلح، فاستقر الأمر على أن يُخطب لشرف الدولة بالعراق قبل صمصام الدولة، ويكون صمصام الدولة نائباً عنه في العراق، وصلح الحال واستقام، وكان قواد شرف الدولة يحبون الصلح لأجل العود إلى أوطانهم، وخطب لشرف الدولة بالعراق، وسيرت إليه الخلع والألقاب من الخليفة الطائع لله، فإلى أن عادت الرسل إلى شرف الدولة ليحلف على الصلح، أُلقت إليه البلاد مقاليدها كواسط وغيرها، وكاتبه القواد بالطاعة، فعاد عن الصلح، وعزم على قصد بغداد والاستيلاء على الملك.

وهذه المرحلة التي تولى فيها الجيل الثالث الحكم في العراق كانت بداية نهاية الدولة البويهية، فقد بان عليها ملاح الضعف والانحدار، بعد أن دب الخلاف بين قادتها، وكثر القتل فيهم، فبعد أن اجتهد أبوهم عضد الدولة في توسيع ملكه، ونشر نفوذه في شرق الأرض وغربها، فقتل وظلم لأجل الملك، عاقبه الله بتضييع ملكه على يد أولاده واقتتالهم

(1) عقرقوف: وهي مدينة أثرية في عصور ما قبل الإسلام تقع على أطراف بغداد.

عليه، فكما قاتل هو أخاه وابن عمه، اقتتل أولاده فيما بينهم ومع أبناء عمومته على الملك، حتى قتل بعضهم بعضاً، وهذه هي سنة الله تعالى في الأرض، فإنه سبحانه يسلط الظالمين على الظالمين وينتقم منهم جميعاً.

استيلاء شرف الدولة على بغداد وعزل أخيه.

في سنة 376 هجرية تحرك شرف الدولة من الأهواز حتى ملك واسط قاصداً بغداد، فاضطربت الأوضاع في بغداد، وشغب جند صمصام الدولة عليه ومال بعضهم إلى شرف الدولة، وقد أشاروا عليه بعض قواده بكذا رأي، ولكن صمصام الدولة أصر للمسير لأخيه شرف الدولة والدخول في طاعته، وفعلاً اصطحب معه بعض خواصه وسار إلى أخيه شرف الدولة.

فوصل إلى أخيه شرف الدولة، فلقىه وطيب قلبه، فلما خرج من عنده قبض عليه، وأرسل إلى بغداد من يحتاط على دار المملكة، وسار فوصل إلى بغداد في شهر رمضان، فنزل بالشفيعي، وأخوه صمصام الدولة معه تحت الاعتقال، وكانت إمارته بالعراق ثلاث سنين وأحد عشر شهراً⁽¹⁾.

وعلى إثر سيطرة شرف الدولة على بغداد حصلت نزاعات واقتتال بين الأتراك والديلم المتواجدين في بغداد، في نهايتها سيطر على الموقف شرف الدولة، واستقر الأمر له في بغداد، وهناه الخليفة الطائع لله على سلامة وصوله لبغداد واستقرار الأمر له فيها، ونفى أخاه صمصام الدولة وحبسه في قلعة في فارس⁽²⁾.

واستمر حال الدولة العباسية بالضعف، ومقابل هذا الضعف في الدولة البويهية للأسف لم نشاهد همة عالية للخليفة الطائع لله في استغلال هذا الضعف لصالحه، ولم يكن له دور فعلي في تلك النزاعات، بل من يتغلب على بغداد منهم يحصل على مباركة الخليفة، ويلبسه لبس السلطنة والملك، فبعد أن بعث الخليفة الطائع لله لصمصام الدولة

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 7/ ص 415.

(2) الكامل في التاريخ لابن الأثير بتصريف 7/ ص 415.

بالعهد والولاية، ثم خرج عليه أخوه وتمكن من بغداد، هنا الخليفة الأخير بسلامة الوصول واستقرار الأمر له في بغداد!

واستقر الأمر في بغداد لشرف الدولة، وحُبس صمصام الدولة في إحدى قلاع فارس، وسملت عيناه بعد موت شرف الدولة على ما سيأتي بيانه، فكانت مدة حكم صمصام الدولة في العراق قرابة الـ 4 سنوات إلى يوم اعتقاله، وبعدها بدأ عصر شرف الدولة حاكماً على العراق.

الفصل التاسع:

- العراق في عهد شرف الدولة البويهى 376 – 379 هجرى.
- بعض نشاطات شرف الدولة في بغداد خلال فترة حكمه.
- وفاة شرف الدولة وتولى أخيه بهاء الدولة مهامه في بغداد.

العراق في عهد شرف الدولة البويهي 376 – 379 هجري.

اسمه وكنيته وشيء من سيرته.

أبو الفوارس شيرزِيل ولقبه شرف الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة وهو من الجيل الثالث للدولة البويهية، حفيد جده المؤسس ركن الدولة بن أبي شجاع بويه، كان ولايته على كرمان بعهد من أبيه سنة 357 هجرية، وكان شاباً في بداية العشرينيات من عمره، وبعد وفاة أبيه عضد الدولة وبيعة أخيه صمصام الدولة حاكماً على العراق، كان شرف الدولة في كرمان فانتفض على ذلك ورفض بيعه أخيه، واستولى على فارس كلها وقطع خطبة أخيه، وتلقب بتاج الملك وخطب لنفسه في تلك البلدان.

وعندما تملك فارس أطلق الشريف أبا الحسين محمد بن عمر العلوي والنقيب أبا أحمد الموسوي والد الشريف الرضي، والقاضي أبا محمد بن معروف، وأبا نصر خواشاذه، وكان والده عضد الدولة حبسهم، ثم فرق الأموال، وجمع الرجال، وملك البصرة وأقطعها لأخيه أبي الحسين بن عضد الدولة⁽¹⁾.

وفي سنة 377 هجرية ركب شرف الدولة إلى دار الخليفة الطائع لله بعد أن ضربت القباب على شاطئ دجلة وزينت الدور التي عليها من الجانبين بأحسن زينة، وخلع عليه الخلع السلطانية، وتوجه، وطوقه، وسوره، وعقد له لواءين، واستخلفه على ما وراء بابه، وقرئ عهده بمسمع منه ومن الناس على طبقاتهم، وخرج من حضرته فدخل إلى أخته زوجة الطائع، فأقام عندها إلى العصر وانصرف⁽²⁾.

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 7 / ص 392.

(2) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. 14 / ص 322.

بعض نشاطات شرف الدولة في بغداد خلال فترة حكمه.

لم تدم طويلاً فترة حكم شرف الدولة في العراق، وكانت له بعض النشاطات في بغداد قبل وفاته، ومنها أنه أمر في سنة 378 هجرية برصد الكواكب السبعة في مسيرها وتنقلها في بروجها على مثل ما كان المأمون فعله في أيامه، فبنى في دار المملكة بيتاً في آخر البستان محكماً⁽¹⁾، وتولّى ذلك وَيَجَن بن رستم الكوهي، وكان له عِلْمٌ بالهيئة والهندسة.

وكان أبوه عضد الدولة قد صادر أملاك وأموال من أهالي بغداد ومنهم الشريف أبي الحسن محمد بن عمر، وكذلك الشريف أبي أحمد الموسوي، فرد لهم ما كان أخذه منهم عضد الدولة، وأعطاهم ضياعهم وعقاراتهم، ورد على جميع المصدّرين أملاكهم وأموالهم وعفا عن المصادرات.

وفي سنة 377 هجرية أرسل شرف الدولة إلى بدر بن حسنويه أمير الأكراد في الجبل، وأمر على الجيش أبو منصور قراتكين، وكان سبب إرساله الجيش أن بدرأ قد مال إلى عمه فخر الدولة وتركه، ووقعت الوقعة بينهما على وادي قرميسين قرب كرمان، فانهزم بدر بين يديه، وغاب عن عينيه، فعاد بدر من فوره، فباغتهم بالهجوم، فقتل منهم مقتلة عظيمة، واستولى على ما كان في عسكرهم من المال والسلاح والدواب، وأفلت قراتكين في شردمة من غلمانة، ووصل إلى النهروان، فحمل إليه من داره من الثياب ما لبسه، فغضب عليه شرف الدولة فاعتقله وحبسّه ثم قتله في نفس اليوم⁽²⁾.

(1) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. 14 / ص 329.

(2) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي. 18 / ص 25.

وفاة شرف الدولة وتولي أخيه بهاء الدولة مهامه في بغداد.

في سنة 379 هجرية مرض أبو الفوارس شرف الدولة بمرض الاستسقاء مرضه الذي مات فيه، وقد أصابه سوء مزاج، ربما اليوم يعرف بالكآبة، فنصحوه الأطباء بالانتقال إلى قصر جده معز الدولة في باب الشماسية، فانتقل إليه، فشغب عليه الجند وطالبوه بأرزاقيهم فعاد من القصر وقد اعتقل بعضهم واتهمهم بالسعي في الفساد.

واشتد به المرض، فألح عليه خادمه بطلبه القديم بقتل أخيه صمصام الدولة الذي حبسه في القلعة بعد أن سلبه ملكه في العرق، فأعرض عنه ولم يقبل فاقترح عليه الخامد نحرور أن يسمل عينيه ويعمييه، حتى يحافظ على الملك لأولاده من بعده، ويأمن شره فأرسل من يقوم بهذه المهمة، وقبل وصوله إلى القلعة وصله خبر وفاة شرف الملك، ولكن أمضى الأمر وأكحل عيني صمصام الدولة فذهبت عينيه.

وبعد موت شرف الدولة، ولي الملك في العراق أخوه بهاء الدولة، وجلس للجزاء في بغداد وحضر الخليفة الطائع لله معزياً له في موت أخيه، فتلقاه بهاء الدولة، وقبل الأرض بين يديه، وانحدر الطائع لله إلى داره، وخلع على بهاء الدولة خلع السلطنة، وأقر بهاء الدولة أبا منصور بن صالحان على وزارته، وحمل تابوت شرف الدولة إلى النجف فدفن فيها عند مشهد قبر الخليفة علي بن أبي طالب، بجوار أبيه عضد الدولة.

وكان شرف الدولة قد دخل بغداد في سنة 376 هجرية، ودام حكمه فيها قرابة الـ 3 سنوات حتى توفي سنة 379 هجرية، وكان شاباً لم يتجاوز عمره الـ 28 سنة، فلم يدم له الملك الذي حارب من أجله أخاه حتى سمل عيناه، وحارب إخوته الباقين واستولى على ما كان لهم من الملك.

الفصل العاشر:

- العراق في عهد بهاء الدولة 379 – 403 هجري.
- ظهور صمصام الدولة، واقتتال الترك والديلم.
- اعتقال الخليفة الطائع لله وخلعه من الخلافة.
- مقتل وزير بهاء الدولة ونديمه أبو الحسن علي الكوكبي "المعلم".
- استيلاء عامل صمصام الدولة على البصرة.
- مقتل صمصام الدولة بن عضد الدولة.
- مقتل أبي نصر بن عز الدولة وسيطرة بهاء الدولة على فارس.
- استيلاء أبي العباس بن واصل على البطيحة والبصرة.
- وفاة عميد الجيوش والي العراق.
- وفاة بهاء الدولة.

العراق في عهد بهاء الدولة 379 - 403 هجري.

اسمه وكنيته وشيء من سيرته

أبو نصر فيروز بن عضد الدولة ولقبه بهاء الدولة، من الجيل الثالث من ملوك الدولة



عملة ذهبية نقش عليها أسم بهاء الدولة

البويهية، حفيد المؤسس ركن الدولة، وهو الثالث من أولاد عضد الدولة الذين تعاقبوا على حكم العراق، فكان الأول صمصام الدولة، تولى بعد موت أبيه عضد الدولة، فخرج

عليه أخوه شرف الدولة فعزله عن بغداد وحبس، وتولى هو الحكم في بغداد، ثم تملك بهاء الدولة بعد وفاة أخيه شرف الدولة سنة 379 هجرية.

وعندما مات شرف الدولة حضر الخليفة الطائع لله وعزاه بوفاة أخيه، ثم بعدها بفترة خرج بهاء الدين إلى حضرة الخليفة الطائع لله، وحضر الأشراف والقضاة وجلس الطائع لله في الرواق الذي في صحن السلم، وقدم أبو نصر إلى الطائع لواءه حتى عقدهما بيده ولقبه بهاء الدولة وضيء الملة، فسار بين يديه العسكر كله إلى باب الشماسية في القباب المنصوبة، وانحدر في الطيار إلى دار المملكة، وأقر الوزير أبا منصور ابن صالحان على الوزارة⁽¹⁾، وكان عمره عندما تملك 18 سنة ويشتهي من علة الصرع، العلة التي اشتكى منها أبوه عضد الدولة.

(1) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. 14 / ص 339.

وكان من أسوء ملوك بني بويه سيرة، اشتهر بظلمه وتجبره، وسفكه للدماء، خميراً سكيراً، جماعاً للمال، وقد اجتمعت عنده من الأموال ما لم تجتمع عند غيره من ملوك بني بويه، ومع هذا كان بخيلاً يستكثر الدرهم وينظر فيه، وهو الذي خلع الخليفة الطائع لله من الحكم، وجاء بالقادر بالله وأجلسه على كرسي الخلافة.

ظهور صمصام الدولة، واقتتال الترك والديلم.

قبل وفاة شرف الدولة بقليل وعندما اشتد به المرض أرسل ولده الأمير أبا علي وأرسل معه زوجاته وجواريه وغالب أمواله ومقتنياته وجواهره إلى فارس، وعندما وصلوا إلى البصرة وهم في طريقهم إلى فارس جاءهم خبر وفاة شرف الدولة في بغداد، فجد ولده في مسيره إلى فارس، وتحديداً إلى القلعة التي حُبس فيها صمصام الدولة وأخوه أبو طاهر، وكان متولي القلعة رجلاً يدعى أبو القاسم العلاء بن الحسن قد أطلق سراح الأخوين من محبسهما بعدما سمع خبر وفاة شرف الدولة.

وقد اجتمع إلى صمصام الدولة كثير من الديلم ودار بينهم وبين الأتراك أتباع الأمير أبي علي بن شرف الدولة قتال، ودار هذا القتال في أكثر من مكان، وبعد هذا الاقتتال والتحزب للأشخاص صارت الدولة البويهية إلى ثلاث أمراء بجيوشهم، جيش من الديلم يتبع الملك صمصام الدولة، وجيش من الأتراك مع الأمير أبو علي بن شرف الدولة، والسلطان بهاء الدولة الذي يحكم العراق ومعه الجيوش والأموال وأمره نافذ على ولاته وعماله في الأقاليم. وكان الأمير أبو علي بن شرف الدولة قد سار بجيشه إلى فسا⁽¹⁾، فاستولى عليها وأخذ ما بها من مال، وقتل من بها من الديلم، وأخذ أموالهم وسلاحهم فقوي جيشه بذلك وسار أبو علي إلى أرجان، وعاد الأتراك إلى شيراز، فقاتلوا صمصام الدولة ومن معه من الديلم، ونهبوا البلد، وعادوا إلى أبي علي بأرجان وأقاموا معه.

وبعد أن سمع بهاء الدولة بأمر ابن أخيه شرف الدولة أبو علي بعث إليه رسولاً يُلطفه ويأمنه بالمسير إليه، وراسل الأتراك سراً، واستمالهم إلى نفسه وأطمعهم، فحسنوا لأبي علي أميرهم المسير إلى عمه بهاء الدولة، ففعل بما أشاروا عليه خاصته، فكان هلاكه في

(1) فسا: مدينة في بلاد فارس. معجم البلدان للحموي. 4 / ص 260.

مشورتهم، وسار إلى عمه والتقاه في واسط فأكرمه بهاء الدولة عدة أيام، ثم قبض عليه وغدر به فقتله، ثم تجهز للمسير إلى فارس للاستيلاء عليها⁽¹⁾.

وعندما غادر بهاء الدولة بغداد ترك فيها جنود من الترك والديلم، فتعصبوا هؤلاء أيضاً واشتدت الفتن بينهم، ووقع القتال وكثر القتل فيهم، ولما عاد بهاء الدولة وجد بغداد قد هاجت فيها الفتنة فسعى للصالح بينهم حتى اقنع الطرفين به، واستقر الحال بينهم، وحلف بعضهم لبعض، وكانت مدة الحرب 12 يوماً.

ثم إن الديلم تفرقوا، فمضى فريق بعد فريق، وأُخرج بعضهم، وقبض على البعض، فضعف أمرهم، وقويت شوكة الأتراك، واشتد حالهم في بغداد.

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير. بتصرف. 7 / ص 428.

اعتقال الخليفة الطائع لله وخلعه من الخلافة.

استمرت الدولة البويهية في إهانتها للخلافة وتماديها في الظلم، فبعد أن صادروا حق الخليفة في السلطة والحكم منذ أن دخلوا بغداد، وسيطروا على مفاصل الدولة، قام بهاء الدولة قبحه الله في سنة 381 هجرية باعتقال الخليفة العباسي الطائع لله وخلعه من منصبه، وبعض الروايات تقول أنه قطع أنفه بعد أن اعتقله، كما فعل جده معز الدولة من قبل عندما دخل بغداد سنة 334 هجرية فاعتقل الخليفة المستكفي بالله وسجنه وسلم له عينيه وأعمى بصره، حتى توفي في محبسه سنة 338 هجرية رحمه الله.

لقد تعمد القادة البويهيون المتعاقبين على حكم العراق الإساءة للخليفة كلما سنحت لهم الفرصة لذلك، فتارة يقطعون عنه أمواله واستحقاقاته، وتارة يغصبونه على بيع أشياء من قصره أو أملاكه وإعطاهم ثمنها، كما فعل ذلك بهاء الدولة عندما شحت بيده الأموال ذهب إلى قصر الخليفة واستولى على كل ما فيها حتى أمر أتباعه بخلع الأبواب والشبابيك وغيرها من الأمتعة، يقول ابن الجوزي: سار بهاء الدولة في الجيش، فدخل وقد جلس الطائع لله في صدر الرواق من دار السلام، متقلداً سيفاً، فلما قرب منه بهاء الدولة، قبل الأرض وطرح له كرسي، فجلس عليه، وتقدم أصحاب بهاء الدولة فجدبوا الطائع بحمائل سيفه من سريره وتكاثر الديلم فلف في كساء وحمل إلى بعض الزبازب⁽¹⁾، وأصعد به إلى الخزانة في دار المملكة، وانصرف بهاء الدولة إلى داره، وأظهر أمر القادر بالله، ونودي بذلك في الأسواق، وكتب إلى الطائع كتاب بخلع نفسه وتسليمه الأمر إلى القادر بالله، وشهد عليه الأشراف والقضاة. ثم حول بهاء الدولة من دار الخلافة جميع ما كان فيها من المال والثياب، والأواني، والمصاغ، والفروش، والآلات، والعدد، والسلاح، والخدم، والجواري،

(1) الزبازب: واحدها زبذب وهي السفن الصغيرة. تحرير لفظ التنبيه للنووي. ص 225.

والدواب، والرصاص، والرخام، والخشب الساج والتمثيل، وطاف بهاء الدولة في دار الخلافة مجلساً مجلساً، واستقراها موضعاً موضعاً، وسمح لأتباعه من الخاصة والعامة فدخلوها وشعثوا ابنيها، وقلعوا من أبوابها وشبابيكها⁽¹⁾، وبعد أن خلع الخليفة من منصبه أودعه بهاء الدولة السجن بعد أن سلب منه كل شيء، وكانت مدة خلافته 17 سنة وأشهر، وكان مولده في سنة 317 هجرية، وقد تولى الخلافة في سنة 364 بعهد من أبيه الخليفة المطيع لله بعد أن خلع نفسه غير مستكره وذلك بسبب مرضه، وكان الطائع عندما تولى الحكم عمره 47 سنة، ولم يولى خليفة أكبر منه سناً، وظل في سجن الخليفة القادر بالله حتى توفاه الله سنة 393 هجرية وعمره 76 سنة، فصلى عليه الخليفة القادر بالله، ويقال أن الوزير أبا الحسن بن المعلم قد غلب على بهاء الدولة وتحكم في كل أموره ودولته وهو من حسن له اعتقال الخليفة وخلعه وأخذ ماله، فعاقبه الله بمثل ما سعى به، فقد طالب به الجنود الترك والديلم في بغداد بعد أن ساء إليهم، وخيروا بهاء الدولة بين دولته ومملكه وبين وزيره فسلمه لهم، وسوف يأتي بيانه إن شاء الله .

(1) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. 13/ص 349.

مقتل وزير بهاء الدولة ونديمه أبو الحسن علي الكوكبي "المعلم".

الكافي أبو الحسن علي بن محمد الكوكبي الفارسي النديم وزير بهاء الدولة وكان أبو الحسن هذا من خواص بهاء الدولة، وقد سيطر على كل أمور السلطان وسخر الجميع لخدمته، وكان قد اعتقله الخليفة الطائع لله و غضب لأجله بهاء الدولة فخلع الطائع لله وقبض عليه، وسلم الخلافة للقادر بالله.

يقول ابن كثير: وقد كان هذا الرجل من أهل السنة إلا أنه كان طماعاً، وقد منع "غلاة الشيعة" بأن لا يفعلوا شيئاً من تلك البدع التي كانوا يتعاطونها في عاشوراء، من تعليق المسوح وتعليق الأسواق والنياحة على الحسين، فلم يفعلوا شيئاً من ذلك⁽¹⁾، خلال فترة وجوده.

وقد أساء هذا الوزير تعامله مع الناس حتى ثار عليه الجند من الترك والديلم، وطالبوا بهاء الدولة بن بويه أن يسلمهم إياه وخيروه بين تسلمهم إياه وبين دولته وسلطانه، وفي سنة 381 هجرية تجمهر الجند من الترك والديلم على باب الشماسية من بغداد ونصبوا خيامهم ثائرين، وقد ماظلم بهاء الدولة ودافع عنه كثيراً، وحاول استرضاءهم، ولكنهم أصرروا على موقفهم، مما اضطره إلى تسليمه مع أصحابه، فيقال إنهم سقوه السم مرتين فلم يموت، فخنقوه بحبل حتى مات ودفن.

(1) البداية والنهاية لابن كثير. 15 / ص 443.

استيلاء عامل صمصام الدولة على البصرة.

قد ذكرنا الخلافات التي جرت بين قادة الدولة البويهية من الجيل الثالث وهم الأحفاد، واقتالهم على الملك، وكان آخرها سيطرة شرف الدولة على بغداد واعتقال صمصام الدولة وحبسه، ثم سمل عينه، وبعد أن مات شرف الدولة، خرج صمصام الدولة من الحبس واجمعت عليه جنود كثيرة من الديلم، فاقتتل مع ابن أخيه أبا علي بن شرف الدولة وكان ذلك في سنة 379 هجرية في السنة التي مات فيها شرف الدولة، على ما ذكرناه.

وظل صمصام الدولة في بلاد فارس بعد خلت له الساحة بعد أن قتل بهاء الدولة ابن أخيه أبا علي بن شرف الدولة، وفي سنة 386 هجرية كان لصمصام الدولة قائداً عسكرياً يدعى لشكرستان، سار هذا القائد باتجاه البصرة بأمر من صمصام الدولة، وقاتل نواب بهاء الدولة هناك حتى أجلاهم عن المدينة، وملك لشكرستان البصرة، وقتل من أهلها خلق كثير وهرب كثير منهم خارج المدينة، وأخذ كثيراً من أموالهم.

وكان مهذب الدولة وهو من البويهيين أميراً على البطيحة قرب البصرة، فكتب إليه بهاء الدولة من بغداد بعد أن وصله خبر استيلاء رجال صمصام الدولة على البصرة، فقال له: أنت أحق بالبصرة من غيرك، فسيّر إليها جيشاً مع عبد الله بن مرزوق، فأجلى لشكرستان عن البصرة، فقيل: إن لشكرستان سار عن البصرة بغير حرب ودخلها ابن مرزوق، وقيل: إنما فارقها بعد أن حارب فيها، وضعف عن المقام بين يديه وصفت البصرة لمهذب الدولة. ثم إن لشكرستان عمل على العودة إلى البصرة، فهجم عليها في السفن، ونزل أصحابه بسوق الطعام، واقتتلوا، فاستظهر لشكرستان، وكتب إلى بهاء الدولة في بغداد يطلب المصالحة، ويبدل الطاعة، ويخطب لبهاء الدولة بالبصرة، فأجابه مهذب الدولة إلى ذلك، وأخذ ابنه رهينة.

وكان لشكرستان يظهر طاعة صمصام الدولة وبهاء الدولة ومهذب الدولة، وعسف أهل

البصرة مدة، فتفرقوا، ثم إنه أحسن إليهم وعدل فيهم، فعادوا(1).



(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 7/ ص 483.

مقتل صمصام الدولة بن عضد الدولة.

استمرت الخلافات التي دبت بين البويهيين أنفسهم واقتتالهم فيما بينهم على الملك، وقد استقر الأمر بصمصام الدولة في فارس، وسيطر قائده مؤخراً على البصرة، وكان سبب مقتله أنه أسقط النسب عن قرابة 1000 رجل من الديلم فبقى هؤلاء حيارى لا يعرفون ما يصنعون، وقد استوحشوا فعله هذا.

وقيل إن أبا القاسم وأبا نصر ابني عز الدولة بختيار كانا محبوسين، وعز الدولة هو الذي قتله ابن عمه عضد الدولة واستولى على بغداد، وهذين الأميرين ابنا عز الدولة يسعان لأخذ ثأر أبيهم، فخدع الأميران الحراس الموكلين بهما في القلعة، فأفرجوا عنهما فجمعاً لفيماً من الأكراد، واتصل خبرهما بالذين أسقط عنهم صمصام الدولة نسبهم من الديلم، فأتوهم، فاجتمعت عليهما العساكر، وتحير صمصام الدولة في أمرهم، حتى تمكنوا منه فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى أبي نصر بن عز الدولة، فلما حُمل رأسه إليه قال: هذه سنة سنها أبوك، يعني ما كان من قتل عضد الدولة لعز الدولة، وكان عمر صمصام الدولة عند مقتله 35 سنة، ومدة إمارته بفارس 9 سنين، أما إمارته في بغداد فكانت 4 سنوات، تملك فيها بعد وفاة أبيه سنة 372 هجرية، حتى ثار عليه أخوه شرف الدولة وأخرجه منها سنة 375 هجرية، وكانت معه والدته فسلمت إلى بعض قواد الديلم، فقتلها وبني عليها دكة في داره فلما ملك بهاء الدولة فارس أخرجها ودفنها في تربة بني بويه⁽¹⁾.

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 7 / ص 500.

مقتل أبي نصر بن عز الدولة وسيطرة بهاء الدولة على فارس.

بعد الاقتتال الذي دار بين أبناء عز الدولة وضمصام الدولة الذي انتهى بمقتل ضمصام الدولة، وبعد أن قُتل ضمصام بحث الأخوان عن حليف لهم ليقاتلوا به بهاء الدولة في بغداد، فكتبوا إلى أبي علي بن أستاذ هرمز بالخبر، وهو في الأهواز وقد كان رجاله الديلم بطاعة بهاء الدولة، فكتبوا له يستميلونه إليهم في مقاتلة بهاء الدولة، فاستشار أصحابه فأشاروا عليه بطاعة ابني بختيار ومقاتلة بهاء الدولة، فلم يجبهم إلى رأيهم، وكان يميل إلى الوقوف بجانب بهاء الدولة.

ثم أنظم أبو علي بن هرمز إلى بهاء الدولة في قتال أبناء عز الدولة بختيار، وجرى بينهم قتال شديد انتهى بانتصار أبو علي وهروب أبناء بختيار، ولما ملك أبو علي شيراز كتب إلى بهاء الدولة بالفتح، فسار إليها ونزلها، فلما استقر بها أمر بنهب قرية الدودمان وإحراقها، وقتل كل من كان بها من أهلهم فاستأصلهم، وأخرج أخاه ضمصام الدولة وجدد أكفانه، وحمله إلى التربة بشيراز فدفن.

جرى هذا كله في سنة 389 هجرية، ثم في سنة 390 هجرية، وبعد أن فر أبو نصر بن عز الدولة من معسكر بهاء الدولة، سار إلى بلاد الديلم، وكاتب الديلم بفارس وكرمان من هناك يستميلهم، وكتبوه واستدعوه، فسار إلى بلاد فارس، واجتمع عليه جمع كثير من الزط، والديلم، والأتراك، وتردد في تلك النواحي.

فعظم الأمر على بهاء الدولة، فسير إليه الموفق علي بن إسماعيل في جيش كبير، واقتتلوا قتالاً شديداً، وسار الموفق علي في نفر من غلمانه، فأتى ابن بختيار من ورائه، فانهزم ابن بختيار وأصحابه، ووضع فيهم السيف، فقتل منهم الخلق الكثير. فغدر بابن بختيار بعض أصحابه، وضره بلبت فألقاه وعاد إلى الموفق ليخبره بقتله، فأرسل معه من ينظر إليه، فرآه وقد قتله غيره، وحمل رأسه إلى الموفق⁽¹⁾.

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير. بتصرف، 7/ ص 517.

استيلاء أبي العباس بن واصل على البطيحة والبصرة.

استمرت الخلافات بين قادة الدولة البويهية، وكانت هذه الخلافات هي بداية سقوط دولتهم المشؤومة، وصعود الدولة السلجوقية فيما بعد، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وفي سنة 394 هجرية استولى أبي العباس بن واصل على البطيحة ثم البصرة، كان بن واصل قد خدم مهذب الدولة في البطيحة ثم انقلب عليه، بعد أن أرسله مهذب الدولة على رأس جيشه لقتال أصحاب صمصام الدولة الذين استولوا على البصرة كما بيناه، ثم أن بن واصل مع من معه من الجيش تمرد على مهذب الدولة، وخلع طاعته وتوجه إلى البصرة وقاتل أصحاب صمصام الدولة وانتزع منهم البصرة، وأرسل له مهذب الدولة جيشاً فهزمهم بن واصل، واستمر في تقدمه واستيلاءه على الأراضي.

ثم توجه إلى البطيحة ففر منها مهذب الدولة وملكها بن واصل، واستولى على كل أموال وممتلكات مهذب الدولة وكانت عظيمة، ثم اضطرت أوضاعه في البطيحة فغادرها وعاد إلى البصرة.

ولما سمع بهاء الدولة بحال أبي العباس بن واصل وقوته خافه على البلاد، فسار من فارس إلى الأهواز لتلافي أمره، وأحضر عنده عميد الجيوش من بغداد، وجهز معه عسكرياً كثيفاً وسيرهم إلى أبي العباس بن واصل الذي عاد إلى البصرة، فلقيه فيمن معه في موضع الصليق⁽¹⁾، فانهزم عميد الجيوش، ولقي عميد الجيوش شدة إلى أن وصل إلى واسط، منهزماً من بن واصل.

ثم أعاد ترتيب جيشه عميد الجيوش وأرسل إلى مهذب الدولة وكان قد فر من بن واصل واستقر في بغداد، فأحضره وجعله على رأس الجيش وسيره إلى البطيحة التي غادرها بن

(1) وهو موقع في البطيحة التي بين واسط وبغداد.

واصل إلى البصرة، فلما وصلها لقيه أهل البلاد، وسروا بقدمه، وسلموا إليه جميع الولايات، واستقر عليه بهاء الدولة كل سنة 50 ألف دينار، ولم يعترض عليه ابن واصل، لأنه كان مشغولاً بالتجهيز إلى خوزستان، وحفر نهراً إلى جانب النهر العضدي، بين البصرة والأهواز، وكثر ماؤه، وكان قد اجتمع عنده جمع كثير من الديلم وأنواع الأجناد، فقوي بن واصل وانتشر خبره بين الناس⁽¹⁾.

وبعد أن اشتد عوده، وكثر ماله وأتباعه، طمع بالأهواز فتجهز لها وسار إليها، فقاتله عنها بهاء الدولة وكان على رأس الجيش، فهزمهم بن واصل واستولى على الأهواز، ونهب كل ما فيها من أموال ومتاع كانت لبهاء الدولة، ولم يستطع أن يمكث فيها طويلاً لأن بهاء الدولة أعد جيشاً ليرسله إلى البصرة مستغلاً غياب بن واصل عنها، مما اضطره للعودة إلى البصرة، ثم جرى الصلح بينه وبين بهاء الدولة وزاد في إقطاعه بهاء الدولة، وعاد إلى البصرة بن واصل بعد أن حلف كل منهما أن لا يغدر بصاحبه.

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير بتصريف. 7 / ص 538.

وفاة عميد الجيوش والي العراق.

وهو أبو علي بن أستاذ هرمز الذي تولى قيادة للجيوش في العراق، وكان قد استعمله بهاء الدولة عندما سيطر العيَّارون والشُّطار على بغداد، فأرسله إليهم ولقبه بعميد الجيوش حتى ضبط الأمور في بغداد، وقمع المفسدين وقتلهم، فلما مات استعمل بهاء الدولة مكانه بالعراق "فخر الملك أبا غالب"، فسار إلى بغداد، فلقبه الكتاب والقواد وأعيان الناس، وزينوا له البلاد، فدخل بغداد.

وقد أعاد فخر الملك هذا طقوس غلاة الشيعة في بغداد بعد أن منعها عميد الدولة السابق، يقول ابن كثير: أذن فخر الملك أبو غالب لغلاة الشيعة أن يعملوا البدعة الشنعاء، والفضيحة الصلعاء، من الانتحاب والنوح والبكاء، وتعليق المسوح، وتغليق الأسواق من الصباح إلى المساء، ودوران النساء حاسرات عن وجوههن ورؤوسهن، يلطمن خدودهن، كفعل الجاهلية الجهلاء، فلا جزاه الله عن السنة خيراً، وسود الله وجهه يوم الجزاء، إنه سميع الدعاء، رب الأرض والسماء⁽¹⁾.

(1) البداية والنهاية لابن كثير. 15 / ص 537.

وفاة بهاء الدولة.

أبو نصر فيروز بن عضد الدولة، حاكم بغداد والعراق بعد أخيه شرف الدولة، حكم العراق 24 عاماً، وكان يشكو علة الصرع كأبيه عضد الدولة، وهو مرضه الذي مات فيه، ففي سنة 379 هجرية تولى حكم العراق وهو شاب عمره لا يتجاوز 18 عاماً، وفي سنة 403 هجرية مات هذا المتجبر في أرجان، وعمره 42 عاماً، وحُمل إلى مشهد قبر علي بن ابي طالب "في النجف اليوم" ودفن بجانب أبيه، وكان بخيلاً، وقد جمع من الأموال ما لم يجمعه أحد قبله من بني بويه، وهو الذي قبض على الخليفة الطائع لله، وعزله من الخلافة، وولى من بعده القادر بالله، بموجب سيطرة الدولة البويهية على مفاصل الحكم داخل الدولة العباسية.

ولما توفي بهاء الدولة ولي الملك بعده ابنه سلطان الدولة أبو شجاع، وسار من أرجان إلى شيراز، وولى أخاه جلال الدولة أبا طاهر بن بهاء الدولة البصرة، وأخاه أبا الفوارس كرمان⁽¹⁾.

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 590/7.

الفصل الحادي عشر:

- العراق في عهد سلطان الدولة أبي شجاع 403-412 هجري.
- مقتل الوزير فخر الملك ووزارة أبي محمد الحسن بن سهلان.
- اقتتال سلطان الدولة مع أخيه أبي الفوارس.
- مشرف الدولة بن بهاء الدولة البويهى يملك العراق.

العراق في عهد سلطان الدولة أبو شجاع 403 - 412 هجري.

اسمه وكنيته وشيء من سيرته.

أبو شجاع فناخسرو ابن الملك بهاء الدولة خسرو فيروز ابن الملك عضد الدولة ابن



مدالية ذهبية من العهد البويهي

المؤسس ركن الدولة بن أبي شجاع بويه، وهو من الجيل الرابع للدولة البويهية فهو ابن بهاء الدولة حفيد معز الدولة، ولد في سنة 383 هجرية وتولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة 403 هجرية، وكان عمره يوم توليه 20 سنة، وعندما تولى السلطنة كان في أرجان، فسار إلى شيراز، وفي عهده بدأت تظهر بقوة علامات ضعف الدولة البويهية،

ومقابل هذا الضعف برز نجم الخليفة القادر بالله الذي أعاد هيبة الخلافة مرة أخرى ووضع حداً للفقهاء الغلاة من المعتزلة والروافض وغيرهم وأخذ خطهم بذلك، وسوف يأتي بيانه أنشاء الله.

وفي سنة 404 هجرية قلد الخليفة القادر بالله سلطان الدولة أبو شجاع السلطنة على ما جرت به العادة، وكان أبو شجاع في شيراز، فناب عنه وزيره فخر الملك فحضر عند الخليفة في بغداد، وقرأ ابن حاجب النعمان عهد سلطان الدولة بالتقليد والألقاب، وكتب القادر بالله علامته عليه، وأحضرت الخلع والتاج والطوق والسواران واللواءات، وتولي

عقدتهما الخليفة بيده، ثم أعطاه سيفاً وقال للخادم: اذهب قلده به، فهو فخر له ولعقبه، يفتح به شرق الدنيا وغربها، وبعث ذلك إلى شيراز مع جماعة⁽¹⁾.
 وبعد أن تملك سلطان الدولة خلع على أخوته جلال الدولة أبو طاهر وولاه البصرة، وولى أخاه الثاني أبو الفوارس مدينة كرمان، وقد جرت له حروب ومعارك وخلافات مع إخوته على الحكم والسلطة، ثم ثار عليه جنده وأخرجوه من بغداد إلى أرجان فمات فيها.

(1) تاريخ الإسلام للذهبي. 28 / ص 19.

مقتل الوزير فخر الملك ووزارة أبي محمد الحسن بن سهلان.

أبو غالب محمد بن علي بن خلف، الملقب فخر الملك، وزير بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة بن بويه، وبعد وفاته وزر لولده سلطان الدولة أبو شجاع، ولم يزل فخر الملك في عزه، وجاهه، وحرمته إلى أن نقم عليه مخدومه سلطان الدولة أبي شجاع بسبب اقتضى ذلك، فحبسه ثم قتله بسفح جبل قريب من الأهواز سنة 407 هجرية، ودفن هناك، ولم يستقص في دفنه فنبتت الكلاب قبره وأكلته، ثم أعيد دفن رمته، فشفع فيه بعض أصحابه فنقلت عظامه إلى مشهد قبر علي بن أبي طالب هناك فدفنت فيه في سنة 408 هجرية⁽¹⁾.

وبعد مقتل عميد الجيوش كانت الفتن في بغداد قائمة لا تهدأ أبداً، اقتتال بين غلاة الشيعة وأهل السنة بشكل مستمر بسبب البدع والطقوس التي يقوم بها غلاة الشيعة في كل سنة بمناسبة عاشوراء، إضافة إلى تسلط العيارين والشُّطار على بغداد، حتى عاثوا في الأرض فساداً، فقتلوا الرجال ونهبوا الأموال، فأراد سلطان الدولة بن بهاء الدولة، أن يسيطر على بغداد، ويعدها إلى سلطته ونفاذ أمره، فعين أبا محمد بن سهلان والياً عليها وينوبه فيها، ولكنه أفسد ما أصلح أبداً، فشكوا الناس حال بغداد إلى سلطان الدولة عندما كان في واسط، فطلب سلطان الدولة أبا محمد بن سهلان ففر من بغداد باتجاه الموصل ثم الأنبار ثم إلى البطيحة، فأرسل سلطان الدولة جيشاً لجلبه ولكنه فر مرة أخرى باتجاه البصرة، ثم جرى بينهم الصلح وعاد أبا محمد بن سهلان تحت إمرة سلطان الدولة .

(1) وفيات الأعيان لابن خلكان 5/ ص 126.

اقتتال سلطان الدولة مع أخيه أبي الفوارس.

استمرت الخلافات بين قادة الدولة البويهية، وقد ذكرنا تملك سلطان الدولة العراق، وبعد وفاة أبيه بهاء الدولة، وقد ضم إليه أخويه، جلال الدولة أبا طاهر وولاه البصرة، والثاني أبا الفوارس وولاه كرمان، فلما وليها، اجتمع إليه الديلم، وحسنوا له محاربة أخيه وأخذ البلاد منه، فتجهز وتوجه إلى شيراز، فلم يشعر سلطان الدولة حتى دخل أبو الفوارس إلى شيراز، فجمع عساكره، وسار إليه فحاربه فانهزم أبو الفوارس، وعاد إلى كرمان، فتبعه إليها فخرج منها هارباً إلى خراسان، وقصد يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكِين وهو في بست⁽¹⁾، فأكرمه وعظمه وحمل إليه شيئاً كثيراً، ثم إن محموداً سَير جيشاً مع أبي الفوارس إلى كرمان، مقدمهم أبو سعد الطائي وهو من أعين قواده، فسار إلى كرمان فملكها وقصد بلاد فارس وقد فارقتها سلطان الدولة إلى بغداد، فدخل شيراز.

فلما سمع سلطان الدولة عاد إلى فارس فالتقوا هناك واقتتلوا، فانهزم أبو الفوارس وقتل كثير من أصحابه، وعاد بأسوأ حال، وملك سلطان الدولة بلاد فارس، وهرب أبو الفوارس سنة 408 هجرية إلى كرمان، فسير سلطان الدولة الجيوش في أثره، فأخذوا كرمان منه، ثم إن أبا الفوارس لحق بمهذب الدولة، صاحب البطيحة، فأكرمه وأنزله داره، وأنفذ إليه أخوه جلال الدولة من البصرة مالاً وثياباً، وعرض عليه الانحدار إليه فلم يفعل، وترددت الرسل بينه وبين سلطان الدولة، فاصطلحوا وأعاد إليه كرمان، وسيرت إليه الخلع والتقليد بذلك، وحملت إليه الأموال، فعاد إليها⁽²⁾.

وفي سنة 409 هجرية جلس الخليفة القادر بالله، وحضر القضاة والشهود، وكتب عهد أبي الفوارس على كرمان وأعمالها، وبعث إليه الخلع السلطانية، على ما جرت به العادة.

(1) بست: مدينة في اذربيجان.

(2) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 639/7.

مشرف الدولة بن بهاء الدولة البويهية يملك العراق.

بعد وفاة بهاء الدولة البويهية صارت أمور العراق وبغداد لابنه سلطان الدولة سنة 403 هجرية، على ما ذكرناه، وقد حكم العراق سلطان الدولة وكانت له خلافات مع إخوته وباقي قادة بني بويه، حتى ضعف في سنة 412 هجرية ولم يعد له سيطرة على جنده، فأراد أن يخرج من بغداد إلى واسط فمنعه الغلمان والجنود وطلبوا منه أرزاقهم المتأخرة، وخبروه في حالة خروجه من بغداد أن يترك عندهم إما ابنه أو أخاه مشرف الدولة نائباً له، فانصاع سلطان الدولة لأمر الغلمان، وكتب لمشرف الدولة بالحضور فرفض، ثم أجاب بعد أن ألح عليه الطلب، ثم إنهما اتفقا، واجتمعا ببغداد، واستقر بينهما أنهما لا يستخدمان ابن سهلان، وفارق سلطان الدولة بغداد، وقصد الأهواز واستخلف أخاه مشرف الدولة على العراق.

فلما انحدر سلطان الدولة ووصل إلى تستر⁽¹⁾، استوزر ابن سهلان، فاستوحش مشرف الدولة من ذلك، ويبدو أن ابن سهلان حسن له الخلاف مع أخيه، وحثه على استرجاع بغداد إليه، فأنفذه سلطان الدولة ليخرج أخاه مشرف الدولة من العراق، فجمع مشرف الدولة عسكرياً كثيراً، ولقي مشرف الدولة ابن سهلان عند واسط، فانهزم ابن سهلان وتحصن بواسط، وحاصره مشرف الدولة وضيق عليه، فلما رأى ابن سهلان إدبار أمره سلم البلد، واستحلف مشرف الدولة وخرج إليه، ومضت الديلم الذين كانوا بواسط في خدمته، وساروا معه، فحلف لهم وأقطعهم، واتفق هو وأخوه جلال الدولة أبو طاهر، فلما سمع سلطان الدولة ذلك سار عن الأهواز إلى أرجان، وقطعت خطبته من العراق، وخطب لأخيه مشرف الدولة ببغداد، وقبض على ابن سهلان⁽²⁾، وسمّله وحمله إلى بغداد وحبسّه، فقتل في حبسه في سنة 414 هجرية

(1) تستر: مدينة في شمال إيران في محافظة خوزستان. معجم البلدان للحموي. 2 / ص 29.

(2) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 7 / ص 662.

الفصل الثاني عشر:

- العراق في عهد مشرف الدولة بن بهاء الدولة 412 – 416 هجري.
- وفاة سلطان الدولة أبي شجاع.
- وفاة مشرف الدولة.

العراق في عهد مشرف الدولة بن بهاء الدولة 412-416 هجري.

اسمه وكنيته وشيء من سيرته.

مشرف الدولة أبو علي بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن أبي شجاع



طبق فخاري مزجج من العهد البويهي

بويه، ولد سنة 392 هجرية، وتولى الحكم في العراق بتنازل أخيه سلطان الدولة في سنة 412 هجرية وله من العمر 19 سنة، وفي سنة 414 هجرية توجه إلى بغداد عن طريق نهر دجلة وكان في استقباله الخليفة القادر بالله في أمهة عظيمة، ومعه الأمراء، والقضاة، والفقهاء، والوزراء، والرؤساء، فلما واجهه مشرف الدولة قبل الأرض بين يدي الخليفة مرات والجيش واقف برمته، والعامّة في الجانبين من نهر دجلة.

وكان قد جرت بينه وبين أخيه سلطان الدولة حروب انتهت بوفاة أخيه سنة 415 هجرية في أرجان، فاستقر له الأمر في العراق، وعندما وصل خبر وفاة سلطان الدولة إلى الوزير المغربي وزير مشرف الدولة جمع الأتراك والديلم والعساكر ليحلفوا لمشرف الدولة بالطاعة، وكلف مشرف الدولة المرتضى والزيني وقاضي القضاة وجماعة من الأشراف، فظن الخليفة القادر بالله أن هذا التجمع ضده، فبعث يمنع الباقين من الحضور، وأنكر على من حضر من غير إذنه، وأظهر أنه خارج من بغداد، وأمر بإصلاح السفن للخروج، وبلغ

مشرف الدولة ذلك، فبعث إلى الخليفة وحلف له على بطلان ما نقل له، وحلف له على الطاعة⁽¹⁾.

وكانت فترة حكمه في بغداد قد كثر فيها تسلط العياريين، وهم لفيف من الصوص والمارقين وأهل الدعارة والفساق والفسدة، وكان من بينهم عليون، حتى تمادوا في ظلم الناس، فقتلوا ونهبوا وحرقوا، ولم يستطع مشرف الدولة أن يوقفهم أو حتى يتصدى لهم، من ضعفه.

وفاة سلطان الدولة أبو شجاع.

كان قد استلم مهام أبيه بهاء الدولة في بغداد بعد وفاته، ولقب بسلطان الدولة، وهو: أبو شجاع بن بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة بويه بن ركن الدولة الحسن بن بويه بن فناخسرو، وقد حكم العراق 12 عاماً منذ أن توفي والده، وعندما تولى حكم العراق كان صبيهاً وله من العمر 11 سنة، وفي سنة 415 هجرية مات وله من العمر 23 سنة، وكان ضعيفاً لم يستطع أن يُحسن إدارة ملكه في بغداد، وجرت له حروب كثيرة مع أخيه مشرف الدولة، بعد أن سيطر الأخير على بغداد، وخرج هو منها بدون إكراه إلى فارس التي مات فيها في سنة 415 هجرية، وملك بعده فارس أخيه أبو الفوارس حاكم كرمان، فقاتله على ذلك ابن سلطان الدولة، أبو كاليجار الذي أراد أن يملك خلفاً لأبيه سلطان الدولة، وبعد القتال الذي وقع بينهم انهزم أبو الفوارس، وعاد إلى كرمان وملك أبو كاليجار بلاد فارس ودخل شيراز، ثم دارت بينهم معارك أخرى انتهت بسيطرة أبو كاليجار على فارس مرة أخرى .

(1) البداية والنهاية لابن كثير. 18 / ص 315.

وفاة مشرف الدولة.

واستمرت الدولة البويهية بالضعف والانحدار بسبب الخلافات الكبيرة بين كبار قادتها، إضافةً إلى موت قيادات أخرى مثل سلطان الدولة أبي شجاع الذي مات في سنة 415 هجرية، ولحقه أخوه مشرف الدولة الذي توفي في سنة 416 هجرية، وكان شاباً لا يتجاوز عمره 23 عاماً، أثر مرض حاد، وكانت فترة حكمه في بغداد قرابة الـ 4 سنوات، وبعد وفاته لم يأتي أحد إلى بغداد من بني بويه، وذلك لأن أبو الفوارس بن بهاء الدولة وأبو كاليجار بن سلطان الدولة مشغولين في الاقتتال فيما بينهم على ملك فارس، ولم يستطع أحد أن يغادر مكانه، وأما جلال الدولة وكان في البصرة، فإنه أراد الحضور إلى بغداد وخرج إليها، ولكن جنوده رده ومنعوه من السير إلى بغداد، فعاد إلى البصرة.

وبسبب هذا الفراغ الأمني حصلت فتن عظيمة في بغداد، تسلط فيها العيَّارون والشُّطار على الناس، وعاثوا في الأرض فساداً، فقتلوا خلقاً كثيراً ونهبوا أموالاً عظيمة. ثم كبرت فتنه العيَّارين في بغداد وكبسوا دور الناس نهراً وفي الليل بالمشاعل والموكبيات، وكانوا يدخلون على الرجل فيطالبونه بذخائره ويستخرجونها منه بالضرب كما يفعل المصادرون، ولا يجد المستغيث مغيثاً، وكان هذا الاختلاط من شهر رجب سنة 415 هجرية إلى آخر سنة 416 هجرية⁽¹⁾.

وخلت بغداد بعد وفاة مشرف الدولة من أي سلطان أو ملك من الدولة البويهية، وكان أمر بغداد إلى الخليفة القادر بالله، ولكن بسبب قلة المال والرجال لم يستطع أن يبني جيشاً، إضافةً إلى استمرار الدولة البويهية في التسلط ولكن منعهم من حضور بغداد الاقتتال الحاصل بينهم على ملك فارس، حتى سنة 418 هجرية، فخطب في بغداد لجلال الدولة وكان في البصرة فسار إلى بغداد.

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير 15 / 171.

الفصل الثالث عشر:

- العراق في عهد جلال الدولة 418 – 435 هجري.
- ثورة الجند والغلمان على جلال الدولة في بغداد.
- وفاة الخليفة القادر بالله ومرور 100 سنة على تسلط الدولة البويهية.
- فتنة العيارين في بغداد وأثرها على الدولة البويهية.
- بداية ظهور الدولة السلجوقية سنة 432 هجرية.
- ثورة الجند على جلال الدولة في بغداد.
- الصلح بين جلال الدولة وابن أخيه أبي كاليجار.
- محاولة صلح بين السلطان طغرل بك السلجوقي وبين جلال الدولة.
- وفاة جلال الدولة البويهي.

العراق في عهد جلال الدولة 418 – 435 هجري.

اسمه وكنيته وشيء من سيرته.

أبو طاهر فيروزجرد ولقبه جلال الدولة، ابن الملك بهاء الدولة أبي نصر ابن السلطان



لوحة فنية لمدينة بغداد رسمها الرسام A. Paersons Esq. محفوظة في المكتبة البريطانية الوطنية، وتظهر فيها كثرة المساجد والمآذن

عضد الدولة بن ركن الدولة المؤسس، بن أبي شجاع بويه، ولد سنة 384 هجرية، وتولى الحكم والسلطنة في بغداد سنة 418 هجرية، وعمره 34 سنة، وذلك بعد وفاة مشرف الدولة بسنتين، لانشغاله بالقتال مع ابن أخيه أبو الفوارس بن سلطان الدولة على ملك فارس.

وكان قد حصل فراغ أمني كبير في بغداد بسبب غياب الجنود والسلطان وضعف الدولة العباسية وقلة الأموال بيد الخليفة، فتم الاتفاق بين الأتراك المتواجدين في بغداد على الخطبة لجلال الدولة وكان في البصرة فتأخر في النزول إلى بغداد لقلّة المال بيده، حتى تفاقم أمر العيارين وزاد فسادهم في بغداد، فاضطر الأتراك أن يحولوا أمر الخطبة إلى أبي الفوارس لتأخر جلال الدولة، فسمع بذلك جلال الدول فعجل بالمسير إلى بغداد.

ثم في سنة 418 هجرية دخل جلال الدولة بغداد فتلقاه الخليفة القادر بالله في دجلة، ومعه الأكابر والأعيان، فلما واجهه جلال الدولة قبل الأرض دفعات، ثم سار إلى دار الملك، وعاد الخليفة إلى داره، وأمر الخليفة لجلال الدولة أن يُضرب له الطبل في أوقات الصلوات الثلاث، كما كان الأمر في زمن عضد الدولة وضمصامها وشرفها وبهائها⁽¹⁾. وكان جلال الدولة ضعيف لم يُحسن إدارة شؤون الدولة وانشغل بملذاته ولعبه، فشغب عليه جنده أكثر من مرة، ونهبوا داره ودار وزيره، وكانت الدولة البويهية في هذه الفترة قد انحدرت إلى أضعف مستوياتها مقابل صعود نفوذ الملك العادل محمود بن سُبُكْتِكِين في فارس واستيلائه على غالب المدن والقلاع التي كانت تسيطر عليها الدولة البويهية.

ثورة الجند والغلمان على جلال الدولة في بغداد.

بعد أن استقر الأمر لجلال الدولة البويهي وخطبت له المساجد في بغداد، كرهه الجند والغلمان لأنه لم يف لهم بوعوده، ولم يعطيهم حقوقهم وأرزاقهم، ولم يحسن إليهم، فاجتمع الغلمان والجنود وتحالفوا على اتفاق الكلمة، فخرجوا إلى دار الخلافة برسالة يقولون فيها: نحن عبيد أمير المؤمنين، وهذا الملك "جلال الدولة" غارق في لذاته، لا يقوم بأمرنا ونريد أن توعد إليه بالعود إلى البصرة، وإنفاذ ولده ليقوم بيننا نائباً عنه في مراعاتنا، فأجيبوا ووعدوا بمراسلة جلال الدولة، وأنفذ إليه المرتضى، وأبو الحسن الزينبي، وأبو نصر المصطنع برسالة تتضمن ما قالوه، فقال: كل ما ذكرنا من إغفالنا لهم صحيح، ونحن معتذرون وعفا الله عما سلف، ونحن نستأنف الطريقة التي تؤدي إلى مرادهم، فلما بلغهم ذلك، قالوا: نحن مطيعون، إلا أننا نريد ما وعدنا به عاجلاً قبل دخولنا إلى منازلنا، ثم نقرر

(1) البداية والنهاية لابن كثير. 15 / ص 616.

القواعد بعد ذلك، وأخرج من المصاغ والفضة أكثر من 100 ألف درهم، فلم يرضهم، وباكروا فنهبوا دار الوزير أبي علي بن ماکولا وبعض دور الأصحاب والحواشي، وعظمت الفتنة وخرقت الهيبة، ومد أقوام أيديهم إلى دور العوام، ووكلوا جماعة منهم بأبواب دار المملكة، ومنعوا من دخول الطعام والماء، فضاق الأمر على من في الدار حتى أكلوا ما في البستان، وشربوا من الآبار، فخرج الملك ودعا قوماً من الموكلين بالأبواب فلم يأتوا فكتب رقعة إلى الغلمان: بأني أرجع عن كل ما أنكرتموه وأعطيتكم، فقالوا لو أعطيتنا ملء بغداد لم تصلح لنا ولم نصلح لك، فقال: إذ كرهتموني فمكنتوني من الانحدار، واستقر الأمر على انحداره وابتيع له زبذب شعث، فقال: يكون نزولي بالليل، فقالوا، لا بل الآن، والغلمان يرونه قائماً فلا يسلمون عليه، ويدعوهم فلا يجيبونه، فحمل قوم من الغلمان على السرادق فظن أنهم يريدون الحرم، فخرج وفي يده طبر وقال: قد بلغ الأمر إلى الحرم، فقال بعضهم: ارجع إلى دارك فإنك ملكنا، وصاحوا: جلال الدولة يا منصور، وانتضيت السيوف وترجلوا وقبلوا الأرض وأخرج المصاغ حتى حلي النساء فصرفه إليهم، وأخرج الثياب والفروش والآلات الكثيرة، فلم يف ببعض المقصود، ثم اجتمعوا عند الوزير وهموا بقتله، فقال: لا ذنب له وأخرجت الآلات فبيعت⁽¹⁾، وأعطيت لهم أثمانها فرضوا بشكل مؤقت.

(1) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي 15 / ص 191.

وفاة الخليفة القادر بالله و مرور 100 سنة على تسلط الدولة البويهية.

في سنة 422 هجرية توفي الخليفة القادر بالله، وكان عمره حين وفاته قرابة الـ 86 سنة، واستمرت خلافته وحكمه في بغداد 41 سنة، وفقد بُوع له بالخلافة سنة 381 هجرية، وكان عمره حين تولى خلافة المسلمين 45 سنة، وكانت الخلافة قبله مصادرة ومسلوب حقها، فلما وليها أعاد جدتها، وجدد ناموسها، وألقى الله هيبتة في قلوب الخلق فأطاعوه أحسن طاعة وأتمها⁽¹⁾.

وكان كريماً شجاعاً، حليماً حكيماً، وكان عالماً فقيماً، وقد صنف كتاباً في الاعتقاد، وكان يحب أهل العلم ويوقرهم ويقربهم إليه، حارب أهل البدع، وأصحاب الأفكار المنحرفة من غلاة الشيعة والمعتزلة، والملاحدة، وأعاد الاعتقاد بمنهج أهل السنة والجماعة في جميع البلاد، وأمر بقتل كل من حرف العقيدة الإسلامية وقال بخلق القرآن وغيرهم، ولقد تقدم ذكر ذلك كله في فصلٍ أفردناه لذلك وأخرجناه من سياقه التاريخي.

وعندما توفاه الله تولى ابنه أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله بأمر الخلافة بالعهد الذي عهدته إليه سنة 421 هجرية، وبوفاة القادر بالله يكون قد مر على بداية ظهور البويهيين 100 سنة تقريباً فقد كانت بداية ظهورهم في سنة 321 هجرية في عهد الخليفة المنقي لله، حتى وصلت بعد هذه الفترة إلى أضعف مراحلها، وبانتهاء عهد القادر بالله، استمرت الخلافات بين القادة البويهيين، وكثر بينهم القتال على الملك، وكذلك استمرت الفتن داخل بغداد بين غلاة الشيعة وبين أهل السنة، وكانت هذه الخلافات تصل غالبها إلى الاقتتال وسفك الدماء، كما أدت هذه الخلافات في بغداد إلى تسلط العيارين والقتلة وللصوص على الناس، وتكررت عمليات النهب والسرقه وحرقت الدور المحلات للأهالي .

(1) البداية والنهاية لابن كثير. 7 / ص 745 .

فلا تكاد تمر سنة حتى تنشب الفتنة في بغداد بسبب تصرفات غلاة الشيعة، والمظاهر المستفزة لأهل السنة في موسم عاشوراء التي تتضمن في كثير من مشاهدتها البدع الشنيعة، إضافةً إلى سب وشم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على ما ذكرناه في الفصل الذي أفردناه لذلك.

فتنة العياريين في بغداد وأثرها على الدولة البويهية.

استمرت الفتن في بغداد بين أهل السنة وبين غلاة الشيعة الذين يتصدرهم في هذه الفترة العيارون، وهم ليف من اللصوص، وقطاع الطرق، والفسدة، وشذاذ الآفاق، وقد انظم إليهم بعض العلويين، وكذلك غلاة الشيعة، وفي هذه الفترة كان قد عظم أمرهم، وكبرت فتنهم، فبالإضافة إلى قتلهم للناس وسرقة أموالهم وحرق منازلهم، كانوا في المقدمة عندما تقع الاشتباكات بين أهل السنة وغلاة الشيعة بسبب مظاهر يوم عاشوراء، ولا تكاد تمر سنة إلا وقد وقعت فيها الاشتباكات، واضطربت لأجلها المدينة، فيقتل فيها الأبرياء، وتُحرق دور المساكين، وتنهب المحلات التجارية، وفي سنة 422 هجرية، وبعد وفاة الخليفة القادر بالله، وفي موسم عاشوراء، تولى العيارون تعليق المسوح، وأقيم النوح والمشاهد في بغداد، فتجددت على إثرها الخلافات والاشتباكات .

وقد ضاق أهالي بغداد حتى عوام الشيعة منهم ذرعاً بهؤلاء العياريين، الذين عاثوا في الأرض فساداً، فقتلوا الناس، وسرقوا أموالهم، وقد كانوا يكبسون على المحال التجارية في الأسواق وينهبون الأموال والسلع، ويسطون ليلاً على الدور ويسرقونها، حتى ثار عليهم أهل الكرخ - وهم من عوام الشيعة-، بعد أن قام هؤلاء المفسدين ليلاً بسرقة محل أحد البزازين في السوق، فثار لأجله أهل السوق وطلبوا العياريين ولاحقهم وكبسوا على دورهم ونهبوا أموالهم واستولوا على سلاحهم.

ثم تطورت هذه الأحداث وطالب الغلمان والجنود بعزل حاكم بغداد البويهي جلال الدولة، الذي انشغل في ملذاته عن حماية بغداد وأهلها، مما أدى إلى تمادي هؤلاء العياريين وغيرهم، وتناولوا على الناس، ولم تستطع الدولة إيقافهم.

وعلى إثرها ثار الغلمان الأتراك على جلال الدولة وأخرجوه من بغداد، وخطبوا على المنابر للملك أبي كاليجار أبي الفوارس، وطلبوا منه الحضور إلى بغداد بديلاً عن جلال

الدولة، وكان الملك أبي كاليجار في الأهواز، فامتنع من الحضور، وبقيت بغداد فترة 40 يوماً بدون حاكم ولا سلطان، بعد أن أخرجوا الجند جلال الدولة عنها، وبعد أن يئسوا من حضور أبو كاليجار أعادوا الأتراك الخطبة في بغداد إلى جلال الدولة، واعتذروا له وأعيد إلى بغداد مرة أخرى.

ثم عادت فتنة العيارين مرة أخرى وكان رئيسهم شخص يدعى "البرجمي" فقاموا وكبسوا على الأسواق والمحال ونهبوها، وقتلوا الناس، كل هذه الأحداث التي جرت، وهذا التجاوزات التي حصلت والجند، والقيادات، وحتى وزراء الدولة متواجدون في المدينة، ولم يستطيعوا أن يصدوا هؤلاء أبداً، ولم يستطيعوا حتى الإنكار عليهم، وهذا يعكس حجم الضعف الذي وصلت إليه الدولة البويهية في بغداد، وهي بداية زوال ملكهم إلى الأبد.

وفي سنة 424 هجرية كبس البرجمي العيار درب أبي الربيع ووصل إلى مخازن فيها مال عظيم، فظهر من خوف الخلق منه ما أوجب نقل الأموال إلى دار الخليفة، وواصل الناس المبيت في الدروب والأسواق للتحفظ، وزيد في حرس دار الخلافة، فقام البرمجي ولتف وراء السور وقتل صاحب الشرطة بباب الأرج غيلة، واتصلت العملات، وكبست دار تاجر فأخذ منها ما قيمته 10 آلاف دينار، وزادت المخافة من هذا العيار حتى صار أهل الرصافة وباب الطاق، ودار الروم لا يتجاسرون على ذكره إلا أن يقولوا القائد أبو علي لئلا يصل إليه منهم غير ذلك، وشاع عنه أنه لا يتعرض لامرأة ولا يمكن من أخذ شيئاً معها أو عليها⁽¹⁾، وقد عظم أمر هذا العيار إلى حد أن أصحابه طالبوا الخطباء في المساجد بالخطبة له مع الخليفة وجلال الدولة، وإلا منعوا الخطبة في المساجد!

(1) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. 15 / ص 233.

بداية ظهور الدولة السلجوقية سنة 432 هجرية.



رسم افتراضي للجيش السلجوقي

بنو سلجوق وأصولهم تركية كانوا يعيشون في البراري ما وراء النهر، وفي هذه الفترة عظم شأن السلجوقية، وارتفع شأن ملكهم طغرل بك محمد وأخيه جغري بك داود، وهما ابنا ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، وقد

كان جدهم دقاق هذا من مشايخ الترك القدماء الذين لهم الرأي والمكيدة والمكانة عند ملكهم الأعظم، وكان يدعى "بيغو" ونشأ ولده سلجوق نجيباً شهماً، فقدمه الملك ولقبه سباشي، -وتعني قائد الجيوش- فأطاعته الجيوش، وانقادت له الناس بحيث تخوف منه الملك، وأراد قتله، فهرب منه إلى بلاد المسلمين، فأسلم فزاد عزاً وعلواً، ثم توفي وعمره 107 عاماً، وخلف أرسلان وميكائيل وموسى، فأما ميكائيل فإنه اعتنى بقتال الكفار من الأتراك، حتى قتل شهيداً، وخلف ولديه طغرل بك محمداً، وجغري بك داود، فعظم شأنهما في بني عمهما، واجتمع عليهما الترك من المؤمنين، وهم ترك الإيمان الذين يقال لهم اليوم: تركمان، وهم السلاجقة بنو سلجوق جدهم هذا، ففتحوا بلاد خراسان بكاملها بعد موت الملك محمود بن سبكتكين، فلما توفي بن سُبُكْتِكَيْن وقام ولده مسعود من بعده قاتلهم وقاتلوه مراراً، فهزمونه في أكثر المواقع، واستكمل لهم ملك خراسان بأسرها، وهذه كانت بداية ظهور دولتهم "الدولة السلجوقية" التي قضت على الدولة البويهية في بلاد المسلمين كما سيأتي بيانه.

ثم في سنة 433 هجرية ملك طغرل بك جرجان وطبرستان، وبدأت دولته بالتوسع، وفي سنة 434 هجرية استولى السلطان طغرل بك على أكثر البلاد الشرقية، فمن ذلك مدينة

خوارزم ودهستان وطبس والري وبلاد الجبل وكرمان وأعمالها وقزوين، وخطب له في تلك النواحي كلها، وعظم شأنه جداً، واتسع صيته⁽¹⁾.

وهي غالب البلدان التي كانت تسيطر عليها الدولة البويهية، فلم يعد لهم سلطة في تلك البلاد بعد صعود نجم السلاجقة، فمقابل هذا الصعود القوي للسلاجقة يقابله انحدار وضعف للدولة البويهية فلم تبقى لهم إلا بعض المدن إضافة إلى العراق.

كما قد ساهم سيطرة الملك العادل

محمود بن سُبُكْتِكِين قبل السلاجقة في تلك المناطق بإضعاف هيبة الدولة البويهية هناك، وبعد وفاته استطاع السلاجقة أن يستولوا على غالب المدن التي كانت تحت سيطرتهم، وفرض نفوذهم عليها، وطرد أتباع البويهيين منها، وكانت عيون السلاجقة على بغداد مقر الخلافة ودار حكم المسلمين، حتى يطهروها من بقايا الدولة البويهية، وقد خافتهم ملوك بني بويه وحالوا مراراً الصلح معهم وتجنب قتالهم، والإبقاء



صورة افتراضية لحروب السلاجقة قبل دخولهم بغداد

والمحافظة على ما بقي لهم من سلطان، ولكن أبي الله إلا أن يذلهم ويُسقط دولتهم على يد السلاجقة فكان ذلك.

(1) البداية والنهاية لابن كثير. بتصرف. 15/ ص 682.

ثورة الجند على جلال الدولة في بغداد.

ازداد ضعف وهوان الدولة البويهية في هذه الفترة، وازدادت ضعفاً وتقهقراً أكثر في عهد جلال الدولة، وبدأت دولة بني بويه بالانهيار، وبانت ملامح سقوطها في الأفق، وتجراً عليها كثير من جنودها، وخرج عن طاعتها كثير من قياداتها، وخسروا أجزاء كبيرة من مدنهم وولاياتهم التي كانوا يسيطرون عليها.

وكان أضعف سلاطينهم هو جلال الدولة حتى أن جنوده قد شغبوا عليه وأخرجوه من بغداد لأكثر من مرة، وفي سنة 427 هجرية، ثار عليه الجنود مرة أخرى وطالبوه بالخروج من بغداد، فطلب مهلة ثلاثة أيام فلم يستجيبوا له، ومنعوه من الخروج، فهرب باتجاه تكريت، فكسر الجنود الأتراك باب داره ونهبوها وقلعوا أبوابها وشبابيكها، فتدخل الخليفة القائم بأمر الله واصلح أمره مع الجنود وأعادهم إلى بغداد مرة أخرى، وتكرر نفس المشهد في سنة 428 هجرية فشغب الجند مرة أخرى وثاروا ضد السلطان جلال الدولة، ثم عادوا واصطلحوا معه لأنه لم يكن هنالك بديلاً عنه، ولم يكن هنالك من يعطيهم ارزاقهم وأموالهم المتأخرة، وأعادوا له الخطبة في بغداد.

فلم يمض غير أيام قليلة حتى عادوا الجنود إلى الشغب وطالبوا بحقوقهم المالية، فباع جلال الدولة فرشته وثيابه وخيمه وفرق ثمنه فيهم حتى سكنوا!

وهذه الحوادث المتكررة التي وقعت في بغداد بين الجنود وبين جلال الدولة، وعجز السلطان البويهي عن تسديد ما بذمته من حقوق مالية للجنود، وعدم استطاعته لردهم أو الوقوف بوجههم يعكس حال الدولة البويهية آنذاك وإلى أي المراحل قد وصلت من الضعف والهوان والذل.

الصلح بين جلال الدولة وابن أخيه أبي كاليجار.

استمرت الخلافات الكبيرة بين قادة البويهيين على الشكل الذي تقدم ذكره طوال الفترة الماضية، وكان بين جلال الدولة حاكم العراق وبين ابن أخيه أبي كاليجار خلافات واقتتال، فكتب جلال الدولة كتابا وكان مقيما في واسط الى ابن أخيه أبي كاليجار يطلب الصلح والمهادنة، فشاور الأخير أصحابه ومن يثق به من حاشيته فأشروا له بعدم الصلح، فأرسل لعمه بجوابه في عدم رغبته بالصلح، وجاء الرسل إلى جلال الدولة وأخبروه بما جرى، فكتب إلى أبي كاليجار كتابًا جاء فيه: إلى السيد الملك الجليل أدامَ اللهُ توفيقه، وتأمَّلنا ما عاد به الرسل، فلم يؤدِّ ذلك إلى بيان، ولا أفصح عن برهان، وذكر كلامًا استعطفه. وكان جلال الدولة يدفع الى الصلح بسبب قلة ماله وعدم قدرته على المطاولة على الاقتتال والخلاف بخاصة في الحالة التي تمر بها بغداد وقلة المال والعساكر. وفي سنة 429 هجرية تبادل الطرفان رسائل كثيرة لإبرام الصلح بينهم، وعدم الاقتتال فيما بينهم، ويحتفظ كل طرف بملكه، وحصل الاتفاق على أن يكون من البصرة إلى فارس لأبي كاليجار، ومن واسط إلى بغداد وأعمالها لجلال الدولة، وكتبوا الكتاب، وشهدوا فيه القضاة والقواد والأشراف، وأخذوا عليه خطَّ الخليفة⁽¹⁾.

(1) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي. بتصرف. 18 / ص 424.

محاولة صلح بين السلطان طغرل بك وبين جلال الدولة البويهية.

واصل السلاجقة بقيادة طغرل بك تقدمهم في بلاد فارس وما حولها وأصبحوا تهديداً واضحاً للدولة البويهية، وصارت غالب المدن لهم، وتملك طغرل بك أكثر البلاد الشرقية، فمن ذلك مدينة خوارزم⁽¹⁾، ودهستان⁽²⁾، وطبس⁽³⁾، والري، وبلاد الجبل، وكرمان وأعمالها، وقزوين⁽⁴⁾، وخطب له في تلك النواحي كلها، وعظم شأنه جداً، واتسع صيته، وكان قد غضب السلطان طغرل بك على جلال الدولة بسبب أساءته للرعية في مدينة الري، وقتله لكثير من الناس هناك، وتخريب أصحابه للمدينة فبعث له برسالة يبين له قبيح أفعاله في الري ويأمر بالإحسان للرعية والوصاية بهم.

وحاول جلال الدولة أن يجعل الخليفة القائم بأمر الله يتوسط الصلح بينهم، فأجابه الخليفة وفي سنة 435 هجرية أرسل الخليفة القائم بأمر الله أقصى القضاة أبا الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي قبل وفاة جلال الدولة إلى الملك طغرل بك ليصلح بينه وبين جلال الدولة وأبي كاليبجار، فسار إليه، فالتقاه بجرجان، فتلقاه الملك على أربعة فراسخ -قراية 20 كم- إكراماً لمن أرسله، وأقام عنده إلى السنة الآتية، فلما قدم أخبره بطاعته وإكرامه له واحترامه من أجل الخليفة⁽⁵⁾، وقد عكس السلطان طغرل بك في تصرفه هذا تعظيمه للخلافة، وتوقيره للخليفة القائم بأمر الله عندما خرج لمسافة طويلة يستقبل رسول الخليفة، ويكرمه بحفاوة عالية إكراماً للخليفة القائم بأمر الله.

(1) خوارزم: مدينة تقع في شمال أوزبكستان اليوم، وقديماً كانت ضمن أقاليم خراسان.

(2) دهستان: مدينة في كرمان قالها الحموي. مجتم البلدان. 2 / ص 492.

(3) طبس: مدينة في أصفهان في إيران اليوم. آثار البلاد وأخبار العباد للقرظيني. ص 406.

(4) قزوين: محافظة في إيران اليوم.

(5) البداية والنهاية لابن كثير. 15 / ص 690.

وفاة جلال الدولة البويهية.

جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه، الذي دخل بغداد حاكماً عليها في سنة 418 هجرية بعد سنتين من وفاة أخيه مشرف الدولة بن بويه، وكان قبلها حاكماً على البصرة بتفويض من أخيه، وفي سنة 435 هجرية توفي في بغداد إثر ورم في كبده وكان عمره حين حضرته الوفاة 51 عاماً، وكانت فترة حكمه في بغداد قرابة 17 عاماً، وكان ضعيفاً في حكمه، لم يستطع أن يحافظ على بغداد، فقد انتشرت فتنة العيارين في عهده وخرجوا عن السيطرة، كما أن جنوده وغلمانه ثاروا عليه مراراً حتى أخرجوه من بغداد مرات عديدة، وعندما مات دُفن في دار المملكة في بغداد، وبعد فترة من الزمن نقل تابوته من دار المملكة إلى تربة لهم في مقابر قريش في جانب الكرخ من بغداد.

وبعد وفاة جلال الدولة خُطب في بغداد لابن عمه أبو كاليجار بن سلطان الدولة صاحب فارس، بعد أن كاتب الجنود والقادة وأرسل لهم الأموال والعطايا فوافقوا عليه وبايعوه، بعد أن كانوا قد راسلوا الملك العزيز بن جلال الدولة الذي كان على واسط، وبايعوه خليفة لأبيه، وطالبوه برسم البيعة من بالأموال فتأخر عليهم لعدم امتلاكه للمال، فعدلوا عنه وبايعوا أبو كاليجار الذي عجل لهم بإرسال الأموال والعطايا.

الفصل الرابع عشر:

- العراق في عهد أبي كاليجار بن بهاء الدولة 436 – 440 هجري.
- السلاجقة والبويهيون وتصارع على النفوذ.
- فتن عظيمة وأمراض وغلاء فاحش في بغداد.
- وفاة الملك أبو كاليجار البويهي وتولي الملك ابنه الملك الرحيم.

العراق في عهد أبي كاليجار بن بهاء الدولة 436 – 440 هجري.

اسمه وكنيته وشيء من سيرته.

أبو كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن أبي شجاع بويه، وهو من الجيل الخامس للدولة البويهية، كونه حفيد الحفيد الأول للمؤسس ركن الدولة بن أبي شجاع بويه، ولد سنة 399 هجرية في مدينة البصرة، وكان شجاعاً فاتكاً مشغولاً بشرب الخمر واللهو⁽¹⁾.

وبعد وفاة السلطان جلال الدولة أبي طاهر، ملك العراق ابن أخيه أبو كاليجار، الذي كانت له خلافات عميقة مع عمه جلال الدولة واقتتال كبير انتهى سنة 429 هجرية بالصلح فيما بينهم، على أن تكون البصرة وفارس لأبي كاليجار، وبغداد وواسط لجلال الدولة.

وبعد وفاة جلال الدولة بايع الجند لابنه الملك العزيز الذي ينوب أباه على واسط، وطالبوه بحق البيعة، فلم يكن لديه أموال لهم، وعندما سمع أبو كاليجار بموت عمه جلال الدولة، كاتب القواد والأجناد، ورغيمهم في المال وكثرته وتعجيله، فمالوا إليه، وعدلوا عن الملك العزيز، وتفرق كثير من الجند عن الملك العزيز بن جلال الدولة.

واستمرت الرسل والرسائل بين أبي كاليجار وبين الجنود في بغداد حول دخوله بغداد، فلما استقرت القواعد بينه وبينهم، حُطب له ببغداد سنة 436 هجرية، ودخلها في مائة فارس من أصحابه لتهابه الأتراك ولقبه الخليفة بمحيي الدين⁽²⁾، وأخرجوا الملك العزيز بن جلال الدولة من بغداد وتشرد في البلاد حتى مات سنة 441 هجرية، وحمل فدفن بجانب أبيه.

(1) الوافي بالوفيات للصفدي. 24. / ص 236.

(2) الكامل في التاريخ لابن الأثير بتصريف، 8 / ص 49.

وعندما دخل بغداد لم يخرج الخليفة لاستقباله على ما جرت به العادة، وأمر أبو كاليجار أن تُضرب له الطبل في أوقات الصلوات الخمس، ولم تكن الملوك قبله تفعل ذلك، إنما كان يُضرب لعضد الدولة ثلاثة أوقات، وما كان يضرب في الأوقات الخمس إلا للخليفة، فأرسل إليه بالاعتصار على ثلاثة كما كانت عادة الملوك، فلم يلتفت، ثم طلب من الخليفة بأن يخلع عليه على العادة، فقبل له: قد نفذت إليك الخلع إلى فارس⁽¹⁾.

وكان دخوله في رمضان، وقد فرق على الجند أموالاً جزيلة، وبعث إلى الخليفة بـ 10 آلاف دينار، وخلع على مقدمي الجيوش، وهم البساسيري، والنشاوروري، والهمام أبو اللقاء، ولقبه الخليفة محيي الدولة⁽²⁾.

(1) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي. 18 / ص 455.

(2) البداية والنهاية لابن كثير. بتصرف 15 / ص 689.

السلجقة والبويهيون وتصارعُ على النفوذ.

استقر الأمر لأبي كاليجار في بغداد والعراق، وكانت باقي المناطق في خراسان وما حولها تسقط بيد السلطان طغرل بك كبير السلجقة، ولم تعد هناك أي هيبة للدولة البويهية، وشعروا بانقراض ملكهم، وذهب دولتهم في ظل وجود السلجقة، وتيقنوا أن المسألة الفاصلة لسقوط دولتهم هي مسألة وقت، وبعد أن تولى الحكم أبو كاليجار حاول ابتداءً أن يقف بوجه السلطان طغرل بك وإيقاف تمدده في مناطق حلفائه في خراسان وما حولها.

وفي سنة 437 هجرية أرسل السلطان طغرل بك أخيه السلطان إبراهيم ينال إلى بلاد الجبل، فملكها وأخرج منها صاحبها كرشاسف بن علاء الدولة، فالتحق بالأكراد، ثم سار إبراهيم ينال إلى الدينور فملكها، وأخرج منها صاحبها وهو أبو الشوك، فسار إلى حلوان فتبعه إبراهيم، فملكها قهراً، وأحرق داره، وغنم أمواله، فعند ذلك تجهز الملك أبو كاليجار من بغداد لقتال السلجقة الذين غزوا أنصاره، محاولاً إيقاف توسعهم في المناطق، ولكن لم تكن له القوة الكافية للتصدي للسلطان طغرل بك، فقد أدبرت دولته، وقل ماله، وانفض عنه الرجال والجنود، ووافقت هذا كله أن الآفة والمرض اعترت في هذه السنة الخيل في بغداد، فمات له فيها نحو من 12 ألف فرس، بحيث جافت بغداد من نتن الخيل⁽¹⁾، فلم يستطع الخروج واستمرت السلجقة في التوسع في تلك المناطق حتى استقرت لهم الأمور في غالبيتها وخطب للسلطان طغرل بك في تلك النواحي، ولم يبقى للدولة البويهية

(1) البداية والنهاية لابن كثير. 15 / ص 697.

سوى بغداد وبدأت تخرج منها أطرافها، مما اضطر الملك أبو كاليجار أن يصالح السلطان طغرل بك ويزوجه ابنته في سنة 439 هجرية.



صورة افتراضية لحروب السلاجقة وصراعهم على النفوذ مع الدولة البويهية قبل دخولهم إلى بغداد

فتن عظيمة وأمراض وغلاء فاحش في بغداد.

وفي سنة 439 هجرية حصلت هناك فتن عظيمة بين أهل السنة وغلاة الشيعة قتل فيها خلق كثير، وهذه الفتن والاضطرابات والاققتال في بغداد تكررت بشكل مستمر، وتقع في كل سنة تقريباً، وصاحب هذه الفتن في هذه السنة وباء شديد بالعراق والجزيرة وبغداد فمات خلق كثير، حتى خلت الأسواق، وغلت الأشياء التي يحتاج إليها المرضى، وورد كتاب من الموصل بأنه لا يصلي الجمعة من أهلها إلا نحو 400 شخص، وأن أهل الذمة لم يبق منهم إلا نحو 120 نفساً، ولم يحج أحد من ركب العراق في هذا العام⁽¹⁾ بسبب البواء والمرض.

(1) البداية والنهاية لابن كثير. 15 / ص 703.

وفاة الملك أبو كاليجار البويهى وتولى الملك ابنه الملك الرحيم.

وفي سنة 440 هجرية مرض أبو كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة أبي شجاع بن بهاء الدولة أبي نصر، وكان في الأهواز وفصد⁽¹⁾ في يوم واحد ثلاث مرات، وأصابته حمى، فركب المهد ثم شق عليه فعملت له محفة على أعناق الرجال ثم مات، فنهب الغلمان الخزائن والسلاح والكرع وأحرق الجواري الخيم فما تركن إلا خيمة وخركاه هو فيها مسجى⁽²⁾. وانتقل ولده أبو منصور فلاستون إلى مخيم الوزير أبي منصور، وكانت منفردة عن العسكر، فأقام عنده، وأراد الجنود والغلمان الأتراك نهب الوزير والسلطان، فمنعهم الديلم، وعادوا إلى شيراز، فملكها الأمير أبو منصور، واستشعر الوزير، فصعد إلى قلعة خرمة فامتنع بها.

ولد أبو كاليجار في البصرة سنة 399 هجرية، وخطب له في بغداد سنة 435 هجرية بعد وفاة حاكمها جلال الدولة، ودخلها ملكاً عليها بعد أن استقر الأمر له سنة 436 هجرية، ومات في سنة 440 هجرية وله من العمر 41 عاماً، وكانت فترة حكمه في بغداد قرابة 5 سنوات، وتولى من بعده ابنه "أبو نصر خسرو فيروز" وسموه "الملك الرحيم" وقد أشرفت دولتهم على الانقراض والسقوط.

(1) الفصد: وهو سحب الدم عن طريق شق العرق. يشابه اليوم سحب الدم عن طريق الوريد. كان قديماً علاجاً لبعض الأمراض.

(2) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. 15 / ص 313.

الفصل الخامس عشر:

- العراق في عهد الملك الرحيم بن أبو كاليجار 440-447 هجري.
- عودة الفتن والاقত্তال بين أهالي بغداد سنة 441 هجرية.
- الحرب بين ديبس بن علي والعساكر الأتراك في واسط.
- بداية الفتنة بين الخليفة القائم بأمر الله وبين البساسيري.

العراق في عهد الملك الرحيم آخر ملوك الدولة البويهية 440-447 هجري.

اسمه وكنيته وشيء من سيرته.

أبو نصر خسرو فيروز بن أبو كاليجار محي الدين بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن المؤسس ركن الدولة بن أبي شجاع بويه، ولقبه الملك الرحيم، وهو من الجيل السادس وآخر ملوك الدولة البويهية في العراق، وقد تولى الملك بعد وفاة أبيه أبو كاليجار، وكانت إقامته في بغداد، فلما وصله خبر وفاة أبيه أحضر الجند واستحلفهم، وراسل الخليفة القائم بأمر الله في معنى الخطبة له وتلقبته بالملك الرحيم، وترددت الرسل بينهم في ذلك إلى أن أجيب إلى ملتسمه سوى لقب الملك الرحيم، فإن الخليفة امتنع من إجابته وقال: لا يجوز أن يلقب بأخص صفات الله تعالى، واستقر ملكه بالعراق، وخوزستان، والبصرة، وكان بالبصرة أخوه أبو علي بن أبي كاليجار⁽¹⁾.

وخرج الملك الرحيم من معسكره إلى دار الخلافة فركب من شاطئ دجلة عند بيت النبوة حتى نزل من صحن السلام في الموضع الذي نزل فيه عضد الدولة ومن بعده ووصل إلى حضرة الخليفة فقبل الأرض وأجلس على كرسي وتكلم عنه بما أكثر فيه الدعاء والشكر. وأحضر الكتاب بالتقليد والتقليب فسلم إليه بعد أن قرئ صدره ووصاه الخليفة باستعمال التقوى ومراعاة العقبي واتباع العدل في الرعية⁽²⁾، وكان هذا الحاكم هو آخر ملوك بني بويه، وبه ينتهي عهدهم، وتنتهي دولتهم إلى الأبد، الدولة التي صادرت حق الخلافة وسلبتها حقوقها في الحكم، وأرسو العقائد الفاسدة في العراق وباقي بلدان الدولة الإسلامية.

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 8 / ص 71.

(2) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي. 15 / ص 314.

عودة الفتن والافتتال بين أهالي بغداد سنة 441 هجرية.

استمرت الخلافات والمواجهات بين غلاة الشيعة وأهل السنة في بغداد، وبعد أن استلم الملك الرحيم الحكم في بغداد، تواصلت هذه الفتن، فلا تكاد تمر سنة من السنين، إلا وقد حصلت فيها فتن واضطرابات داخل بغداد بين أهل السنة وغلاة الشيعة، حتى ضاق الأمر على الناس، وفي سنة 441 هجرية وفي العاشر من شهر محرم تقدم إلى أهل الكرخ أن لا يعملوا بدعة النوح، فجرت بينهم وبين أهل باب البصرة ما يزيد على الحد، من الجراح والقتل، وفيها بنى أهل الكرخ سوراً عليها، وبنى أهل السنة سوراً على سوق القلاطين، ونقض كل من الفريقين أبنيته، وجرت بينهم مفاخرات في ذلك وسخف لا تنحصر ولا تنضب، ثم وقعت بينهم فتن يطول ذكرها، وأحرقوا دوراً كثيرة جداً.

وهنا لا بد أن نذكر أن مقابل غلاة الشيعة كان هناك بعض المغالين من أهل السنة الذين حاولوا رد البدعة بالبدعة وذلك من جهلهم وقلة حكمتهم، فيظهروا عكس أفعال غلاة الشيعة، فتقع المواجهات وتُسفك الدماء.

وفي سنة 443 هجرية عادت مرة أخرى وتجددت الاشتباكات في بغداد بين أهل السنة وغلاة الشيعة بسبب المذهب، ولكن هذه المرة كانت فتنة عظيمة امتدت لفترة طويلة، قتل خلالها خلق كثير من الطرفين، ولم تمر على أهالي بغداد من قبل مثلها، حتى أن الطرفين قد نبشوا قبور الصالحين، حتى هم بعض غلاة الشيعة من نبش قبر الإمام أحمد ولكن منعوا من ذلك، ولم تنتهي هذه الفتنة حتى تدخل الخليفة وأرسل مبعوثاً ليوقف هذه الحرب.

وفي سنة 444 هجرية عادت الفتنة مرة أخرى وكتب غلاة الشيعة عبارات مستفزة وثارَت الفتنة مرة أخرى وجرى الافتتال على النحو المذكور في السنوات الماضية، وكذلك في سنة 445 هجرية عادت الفتنة مرة أخرى وحصل القتال، وأحرقت الكرخ ليلاً.

الحرب بين دبيس بن علي والعساكر الأتراك في واسط.

بعد وفاة السلطان البويهي أبو كاليجار آلت السلطة إلى ابنه الملك الرحيم، وبعد أن تملك أقطع لنور الدولة دبيس بن علي، وهو من ملوك الدولة المزيديّة في العراق، وهم من العرب من بني أسد، الذين بنو مدينة الحلة، التي كانت تسمى قديماً بالجامعيين، فتسموا بملوك بني مزيد، وأيضاً كانوا من الشيعة وفيهم كثير من الغلاة، وكانت سيطرتهم على مدينة الحلة وما حولها، واستمرت دولتهم لأكثر من 100 سنة.

وكان الجنود الأتراك لهم واسط وأنهارها وما حولها، فأقطع الملك الرحيم نهر الصلة ونهر الفضل، وهما من إقطاع الأتراك في واسط، فسار إليهما ووليهما، فسمع عسكر واسط ذلك فسخطوا على دبيس بن علي، واجتمعوا وساروا إلى نور الدولة ليقاتلوه ويدفعوه عنهما، وأرسلوا إليه يتهددونه، فأجابهم: إن الملك الرحيم أقطعني هذه الأماكن، فترسل إليه أنا وأنتم، فبأي شيء أمر الملك رضيينا به، فسبوه، وساروا مجددين إليه، فأرسل إلى طريقتهم طائفة من عسكره، فلقوهم، وكمن لهم، فلما التقوا استجرهم العرب إلى أن جاوزوا الكمين، وخرج عليهم الكمين فأوقعوا بهم، وقتلوا منهم جماعة كثيرة، وأسروا كثيراً، وجرح مثلهم، وتمت الهزيمة على الواسطيين الأتراك، وغنم نور الدولة أموالهم ودوابهم، وساروا إلى واسط فنزلوا بالقرب منها⁽¹⁾.

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير 8 / ص 79. بتصرف.

بداية الفتنة بين الخليفة القائم بأمر الله وبين البساسيري.

أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري التركي مقدم الأتراك ببغداد، قدمه الخليفة القائم بأمر الله على جميع الأتراك، وقلده الأمور بأسرها، وخطب له على منابر العراق وخوزستان فعظم أمره وهابته الملوك، وبدأ الشارع يتحدث عن سطوة البساسيري وسيطرته على كثير من بلدان العراق وباقي البلدان، فعظم شأنه وذاع صيته حتى هابته الناس وكان مقرباً من الخليفة، متخذاً ببغداد مقراً له، ولكن بسبب تماديه وطغيانه ساءت العلاقة بينه وبين الخليفة القائم بأمر الله، كان أولها في سنة 446 هجرية عندما سار البساسيري إلى الأنبار واصطحب معه ديبس بن علي أمير بني مزيد معاوناً له فأحرقوا الفلوجة⁽¹⁾ وناحية دما، ونصب البساسيري على المدينة المجانيق، فهدم برجاً، ورماهم بالنفط، فأحرق أشياء كان قد أعدها أهل البلد لقتاله، ودخلها قهراً، فعاث في الأنبار فساداً وقتلاً ونهباً، وكان نور الدولة بن مزيد معاوناً للبساسيري ومسانداً له، فكانت هذه الحادثة هي البداية في إساءة العلاقة بين الخليفة البساسيري.

ثم تبين للخليفة أن البساسيري يظهر عقيدة أهل السنة ويبطن عقيدة الفاطميين، وأنه خلع البيعة التي في عنقه للخليفة، وكاتب الفاطميين في مصر بالطاعة، فكتب الخليفة القائم بأمر الله إلى السلطان طغرل بك يستنهضه على المسير إلى العراق، والوقوف بوجه البساسيري، فسمع الجند الذين حول البساسيري، فانفض أكثرهم عنه، وعادوا إلى بغداد سريعاً، ثم أجمع رأيهم على قصد دار البساسيري وهي في الجانب الغربي فهبوها، وأحرقوها، وهدموا أبنيتها، وكانت هذه بداية الخلاف بين الخليفة وبين البساسيري والتي انتهت بسيطرة الأخير على بغداد كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

(1) الفلوجة: مدينة في غرب العراق اشتهرت بكثرة المساجد حتى سميت مدينة المساجد.

الفصل السادس عشر:

- تمهيد.
- الملك طغرل بك السلجوقي يبدأ بنشر نفوذه مقابل ضعف البويهيين.
- دخول طغرل بك بغداد وانتهاء عهد البويهيين وبداية عهد السلاجقة.
- خروج السلطان طغرل بك السلجوقي لاسترداد الموصل من البساسيري.
- نهاية حكم بني بويه وسقوط الدولة البويهية سنة 447 هجرية.
- لقاء الخليفة القائم بأمر الله والسلطان طغرل بك وتقليده السلطة.
- اعتقال الخليفة القائم بأمر الله ونفيه إلى الأنبار.
- دخول السلطان طغرل بك إلى بغداد وعودة الخليفة إلى مقر حكمه.
- مقتل اللعين البساسيري وانتهاء فتنة الفاطميين في بغداد سنة 451
- الخاتمة.

تمهيد.

وهذا فصلنا الأخير الذي أفردناه لمعرفة بدايات نهوض الدولة السلجوقية، ونشر نفوذهم في بلاد فارس وما حولها، وبروزهم كقوة منافسة وكبيرة للدولة البويهية، مقابل ضعف البويهيين، ثم بيان أحداث سقوط الدولة البويهية في بغداد لتكتمل الصورة بشكل واضح، ونكون قد استوعبنا سيرة الدولة البويهية منذ قيامها حتى سقوطها سنة 447 هجرية على يد السلطان السلجوقي طغرل بك.

واستكمالاً للفكرة وتوضيحاً لمجريات الأحداث المهمة التي عقت اعتقال الملك الرحيم وسقوط الدولة البويهية، والمرتبطة ارتباطاً مباشراً بنهاية بني بويه في بغداد، ذكرنا ما قام به القائد التركي البساسيري عندما بايع الدولة الفاطمية في مصر وتحالف معهم في إقامة الدعوة لهم في بغداد وباقي المدن الإسلامية ويكون نائباً لهم فيها، وعلى ضوء هذا الاتفاق والتحالف تحرك البساسيري وقام باحتلال بغداد مستغلاً غياب السلطان السلجوقي طغرل بك عنها، فدخلها بجيشه وجحافلها فقتل ونهب وأحرق وعاث في بغداد فساداً، ثم اعتقل الخليفة القائم بأمر الله وهم بقتله فمُنِع من ذلك، فقام بنفيه إلى الأنبار لحين تقرير مصيره.

وتصاعدت الأحداث في بغداد فوصل خبرها إلى السلطان طغرل بك فعاد إليها مسرعاً، فغادرها البساسيري هارباً منه، فدخلها السلطان وقام بواجبه في إعادة الخليفة إلى مقر حكمه ودار خلافته على الوجه الذي يليق بالخليفة، حتى بالغ في التوقير والتعظيم، ولم ينسى السلطان أفعال البساسيري في بغداد فلحقه وطارده إلى واسط فقتله وأنهى فتنته، وطاف برأسه في بغداد.

الملك طغرل بك يبدأ بنشر نفوذه مقابل ضعف الدولة البويهية.

بدأت الدولة البويهية بالانحدار والضعف، وفي المقابل بدأ السلطان طغرل بك السلجوقي بنشر نفوذه في المنطقة وفتح البلدان والمدن وأضعف التواجد البويهي فيها، وكانت هذه هي بدايات ظهور الدولة السلجوقية، ونهاية الدولة البويهية.

وفي سنة 441 هجرية كتب ملك الروم إلى السلطان طغرل بك السلجوقي في فداء بعض ملوكهم ممن كان قد أسرهم إبراهيم ينال السلجوقي أخو السلطان طغرل بك، ويبدل له المال الكثير لفديتهم، فبعثهم إليه مجاناً من غير عوض، فأرسل ملك الروم هدايا كثيرة وتحفاً غزيرة، وأمر بعمارة المسجد الذي بالقسطنطينية، وأقيمت فيه الصلاة والجمعة، وخطب فيه للسلطان طغرل بك، فبلغ هذا الأمر العجيب سائر الملوك، فعظموا السلطان طغرل بك تعظيماً زائداً، وخطب له نصر الدولة بن مروان بالجزيرة، وفي سنة 442 هجرية فتح السلطان طغرل بك أصبهان بعد حصار سنة كاملة، فنقل إليها حواصله من الري وجعلها دار إقامته، وخرّب قطعة من سورها، وقال: إنما يحتاج إلى السور من تضعف قوته، وإنما حصني عساكري وسيفي⁽¹⁾.

(1) البداية والنهاية لابن كثير. 15 / ص 710.

دخول طغرل بك بغداد وانتهاء عهد البويهيين وبداية عهد السلاجقة.

ذكرنا الخلاف الذي بدأ بين الخليفة والبساسيري، كان على إثرها أن الخليفة كاتب



صورة افتراضية لدخول السلطان طغرل بك مؤسس الدولة السلجوقية إلى بغداد

السلطان السلجوقي طغرل بك بدخول بغداد، بعد ضعف السلطان البويهي الملك الرحيم، وتمادي القائد التركي البساسيري، وعندما وصل أمر الخليفة إلى طغرل بك وكان السلطان يعظم الخليفة والخلافة، فعجل المسير إلى بغداد ودخلها في رمضان سنة 447 هجرية، وقد تلقاه إلى أثناء الطريق الأمراء والوزراء والحجاب، ودخل بغداد في أبهة عظيمة جدا، وخطب له بها، ثم بعده للملك الرحيم البويهي، ثم قطعت خطبة الملك الرحيم في أواخر شهر رمضان، ورفع إلى القلعة معتقلاً، وكان هذا آخر

ملوك الدولة البويهية، وبه تنهي دولتهم إلى الأبد، وكانت مدة ولايته على بغداد 6 سنوات، وكان السلطان طغرل بك أول ملوك السلاجقة دخولاً إلى بغداد، وهو مؤسس دولتهم وكبيرهم، ونزل طغرل بك دار المملكة بعد الفراغ من عمارتها، ونزل أصحابه دور الأتراك، وكان معه ثمانية أفيلة، وأما البساسيري فإنه فر من الخليفة إلى ناحية بلاد الرحبة⁽¹⁾، وكتب إلى صاحب مصر بأنه على إقامة الدعوة له بالعراق، فأرسل إليه بولاية الرحبة ونيابته بها؛ ليكون على أهبة التمكن من الأمر الذي يحاوله، قبحهما الله تعالى⁽²⁾.

(1) الرحبة: وهي مدينة الميادين اليوم في دير الزور السورية.

(2) الكامل في التاريخ لابن الأثير. 15 / ص 730.

خروج السلطان طغرل بك السلجوقي لاسترداد الموصل من البساسيري.

عندما انتهى حكم الدولة البويهية قبجها الله، وزالت دولتهم على يد السلطان طغرل بك، طمع الفاطميين بالعراق، فتحركوا من خلال عملائهم وكان من ضمنهم البساسيري الذي فر من بغداد بعد دخول السلطان طغرل بك، محاولين فرض سيطرتهم على العراق، خاصة وأن الفاطميين قد خُطب لهم في واسط، والكوفة، وبلدان أخرى كثيرة، قبل أن يفرض طغرل بك سيطرته هناك.

وفي سنة 448 هجرية تحرك البساسيري بجيش عظيم نحو الموصل فملكها وتغلب على صاحبها وكان فيها ابن عم السلطان طغرل بك، وخطب بها إلى الدولة الفاطمية وصاحبها في مصر.

وكان السلطان طغرل بك ما زال في بغداد بجوار الخليفة عندما وصله خبر الموصل، فعزم على السير واسترجاعها من البساسيري، فعارضه الخليفة لقلّة المال وغلاء الأسعار، وكانت بغداد قد ضربها قحط وغلاء، ووباء مات بسببه خلق كثير، ولكن السلطان طغرل بك أصر على الخروج بجيشه إلى الموصل لخطورة الأمر وأهميته.

فخرج بجيشه قاصداً الموصل في جحافل عظيمة، ومعه الفيلة والمنجنقات، وكان جيشه لكثرتهم ينيهون القرى، وربما سطوا على بعض الحريم، فكتب الخليفة القائم بأمر الله إلى السلطان طغرل بك ينهاه عن ذلك، فبعث يعتذر بكثرة من معه، وصعوبة سيطرته على الجيش، وفي هذه الأثناء رأى السلطان طغرل بك رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فسلم عليه، فأعرض عنه، وقال له: يحكمك الله في البلاد، ثم لا ترفق بخلقه ولا تخاف من جلال الله عز وجل؟! فاستيقظ مذعوراً، وأمر وزيره أن ينادي في الجيش بالعدل، وألا يظلم أحد أحداً، ولما اقترب من الموصل فتح دونهما بلاداً، ثم فتحها وسلمها إلى أخيه

داود، ثم سار منها إلى بلاد ديار بكر، ففتح أماكن كثيرة هنالك⁽¹⁾، وبدأ السلطان طغرل بك في سيطرته على المدن وبث نفوذه فيها، وعاد إلى بغداد بعد أن استرجع الموصل وفتح بلدان أخرى، وسلم الموصل وأعمالها إلى إبراهيم ينال فأحسن إبراهيم السيرة في الناس والرعية.

(1) البداية والنهاية لابن كثير. 15 / ص 737.

نهاية حكم بني بويه وسقوط دولتهم سنة 447 هجرية.

بدخول السلطان طغرل بك السلجوقي إلى بغداد، واعتقال الملك الرحيم آخر ملوك بني بويه، ينتهي حكم الدولة البويهية في العراق، التي كانت بداية ظهورها في فارس سنة 321 هجرية في عهد الخليفة العباسي القاهر بالله، وكان أول ملوكهم دخولاً إلى بغداد هو: أحمد بن بويه، في عهد الخليفة المستكفي بالله، وقد لقبه الخليفة "مُعزَّ الدولة"، وهو أول من حكم في بغداد للدولة البويهية، وقد سيطر ملوك بني بويه بشكل كامل على مفاصل الدولة العباسية، وأصبح الحكم لهم مطلقاً، ولم يكن للخليفة من الخلافة والحكم إلا اسمها، ولم يستطع الخلفاء العباسيين معهم أن يحكموا شيئاً خارج أبواب قصورهم .

واستمر حكم بني بويه 126 عاماً وقد انتهى بدخول السلطان السلجوقي طغرل بك إلى بغداد، واعتقال آخر ملوك بني بويه الملقب بالملك الرحيم، وقد توالى على حكم العراق من ملوك بني بويه 11 أحد عشر ملكاً، وفيما يلي ترتيبهم حسب التسلسل الزمني لحكمهم في بغداد:

فترة الحكم

حكم من 334 إلى أن مات 356 هجرية

حكم من 356 حتى قتل سنة 367 هجرية

حكم من 367 إلى أن مات 372 هجرية

حكم من 372 إلى أن نفي 376 هجرية

حكم من 376 إلى أن مات 379 هجرية

حكم من 379 إلى أن مات 403 هجرية

حكم من 403 إلى أن عُزل 412 هجرية

حكم من 412 إلى أن مات 416 هجرية

حكم من 416 إلى أن مات 435 هجرية

حكم من 435 إلى أن مات 440 هجرية

حكم من 440 إلى سقوط دولتهم 447 هجرية

ملوك الدولة البويهية

معز الدولة أحمد بن بويه

عز الدولة بختيار بن معز الدولة

عضد الدولة بن ركن الدولة

صمصام الدولة بن عضد الدولة

شرف الدولة بن عضد الدولة

بهاء الدولة بن عضد الدولة

سلطان الدولة بن بهاء الدولة

مشرف الدولة بن بهاء الدولة

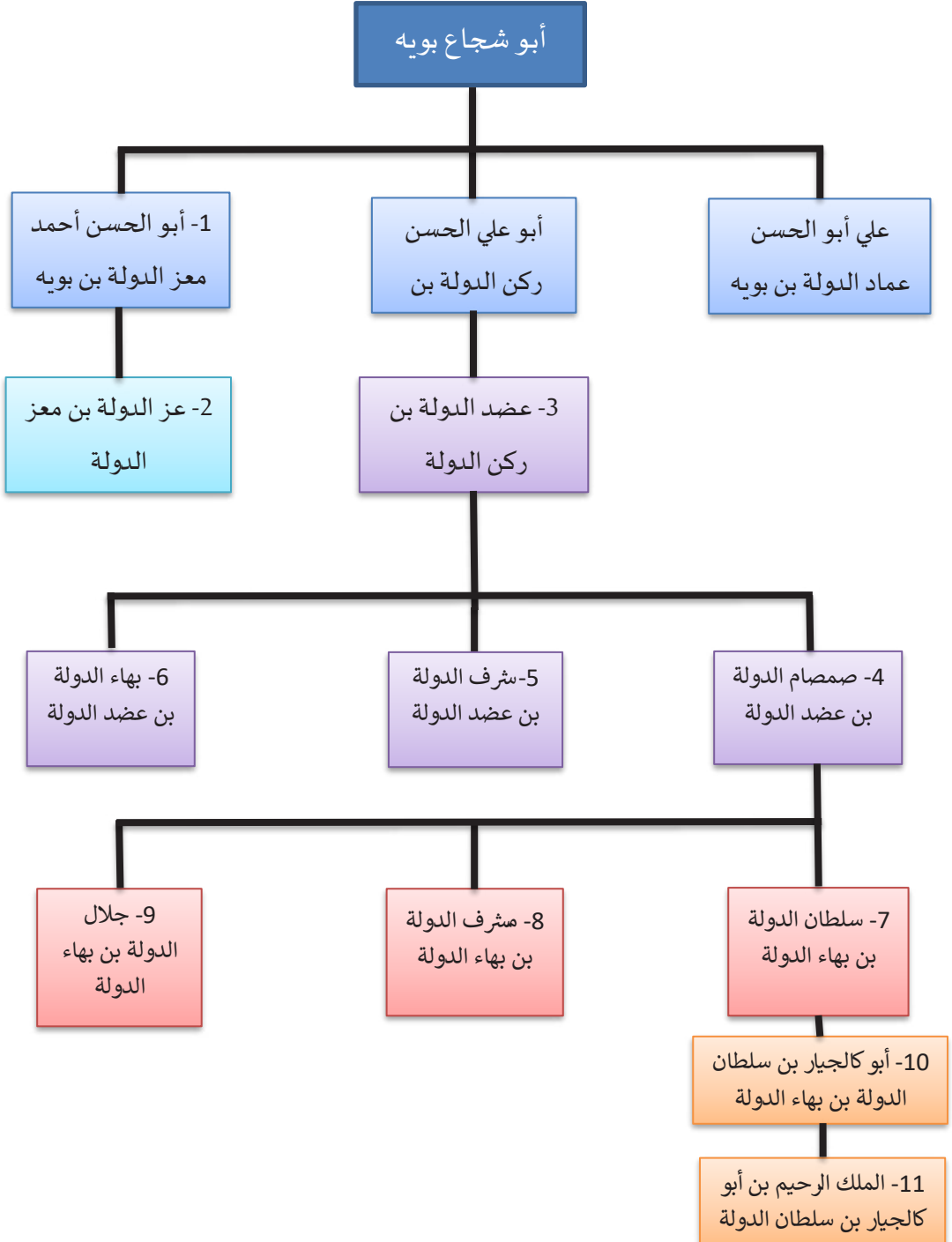
جلال الدولة بن بهاء الدولة

أبو كالج بن سلطان الدولة

الملك الرحيم بن أبي كالج

وتعتبر سنة 447 هجرية هي نهاية الدولة البويهية وبها ينتهي حكمهم الذي استمر 126 عاماً، منها 113 عاماً حكموا في العراق منذ أن دخلها معز الدولة أحمد بن بويه سنة 334 هجرية إلى بغداد، حتى دخول السلطان طغرل بك سنة 447 هجرية واعتقال آخر ملوكهم وهو الملك الرحيم البويهي، وهو العام الذي تخلصت فيه الأمة من شرهم والحمد لله رب العالمين.

شجرة عائلة بني بويه المؤسسة وأبنائهم الذين تعاقبوا على حكم العراق:



لقاء الخليفة والسلطان طغرل بك وتقليده الحكم والسلطة.

وبعد عودة السلطان طغرل بك من الموصل و استرجاعها من يد البساسيري طلب السلطان مقابلة الخليفة القائم بأمر الله، فجلس رئيس الرؤساء في صدر رواق صحن السلام، وبين يديه الحجاب، ثم استدعى نقبي العباسيين، والعلويين، وقاضي القضاة، والشهود، فلما تضحى النهار كتب إلى السلطان طغرل بك بما مضمونه الإذن عن أمير المؤمنين في الحضور، وقد هيئوا لهذا اللقاء استقبالاً فخماً، فلما حضر السلطان ودخل على أمير المؤمنين وهو على سرير عالٍ من الأرض نحو سبعة أذرع، عليه قميص وعمامة مصمتان، وعلى منكبه بردة النبي صلى الله عليه وسلم، وبيده القضيب، فحين شاهد السلطان أمير المؤمنين قبل الأرض دفعات، فلما دنا من مجلس الخليفة صعد رئيس الرؤساء إلى سرير لطيف دون ذلك السرير بنحو قامة، وقال له أمير المؤمنين: أصعد ركن الدين إليك، وليكن معه محمد بن منصور الكندري، فأصعدهما إليه وتقدم وطرح كرسي جلس عليه السلطان، وقال أمير المؤمنين لرئيس الرؤساء:

قل له يا علي: أمير المؤمنين حامد لسعيك، شاکر لفضلك، أنس بقربك، زائد الشغف بك، وقد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده، ورد إليك فيه مراعاة عباده، فاتق الله فيما ولاك، واعرف نعمته عليك، واجتهد في عمارة البلاد، ومصالح العباد، ونشر العدل، وكف الظلم فترجم له عميد الملك القول⁽¹⁾، لأنه لا يجيد العربية، وقد لقبه الخليفة بملك المشرق والمغرب، وقد أظهر السلطان طغرل بك للخليفة كامل الطاعة، والوقار، والتعظيم، والاحترام، حتى أنه قبل يديه مراراً في هذا المجلس وقبل الأرض من أمامه، وكان هذا هو التكليف الرسمي من قبل الخليفة للسلطان طغرل بك بالحكم نيابة عنه في أمور الرعية،

(1) المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. 16 / ص 16.

وهو بداية حكم دولة السلاجقة في العراق وباقي بلدان المسلمين، فالحمد لله الذي من على الأمة وقضى على دولة بني بويه وجاء بدولة السلاجقة التي حفظت الدين وحرست العقيدة

اعتقال الخليفة القائم بأمر الله ونفيه إلى الأنبار.

بعد أن استقر الأمر في بغداد للسلطان طغرل بك وكذلك في الموصل وبعض النواحي



صورة افتراضية لدخول البساسيري إلى بغداد

الأخرى، وأصبح الحكم فيها للدولة السلجوقية، تمرد عليه أخوه إبراهيم ينال وعصى أوامره، وذلك أن البساسيري قد كاتبه وحثه على الخروج على أخيه السلطان طغرل بك وواعده أن يملكه البلدان بعد القضاء على أخيه، فعندما سمع السلطان طغرل بك

بأمر أخيه إبراهيم ومخالفته له، جهز جيشاً وسار بطلب أخيه في همدان من بلاد فارس، وخلف زوجته وأهل بيته في بغداد، ثم وصلت الأخبار إلى بغداد أن إبراهيم قد حاصر السلطان وتمكن منه، فخرجت زوجة طغرل بك من بغداد بالجيش لنصرة زوجها السلطان، فخلت بغداد من أي حماية، فلم يعد فيها الجنود ولا العساكر، فطمع بها البساسيري فتحرك نحو بغداد فاضطربت المدينة عندما سمعوا بخبر وصول قصد البساسيري لها، وأنه قد وصل بالفعل إلى الأنبار فلم يعد بينه وبين بغداد إلا القليل، فخاف الناس وعبروا إلى الطرف الآخر من بغداد.

وأصبح البساسيري على مشارف بغداد، فكتب الخليفة القائم بأمر الله إلى ديبس بن علي ركن الدولة بن مزيد، يأمره بالحضور إلى بغداد بعد أن حصل الإرجاف في المدينة خوفاً من البساسيري وجيشه، وفعلاً استجاب ديبس ودخل بغداد ومعه 100 فارس.

فلما تحقق الخليفة وصول البساسيري إلى هيت أمر الناس بالعبور من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي من بغداد، فأرسل ديبس بن مزيد إلى الخليفة وإلى رئيس الرؤساء يقول:

الرأي عندي خروجكما من البلد معي، فإنني أجمع أنا وهزارسب - فإنه بواسط - على دفع عدوكما، فجاءه الرد، بأن يقيم بمكانه حتى يقع الفكر في ذلك، فقال بن مزيد: العرب لا تطيعني على المقام، واقترح بن مزيد أن يتقدم هو إلى مدينة ديالى، وأخبرهم، في حال انحداركم سرت في خدمتكم، وسار هو وأقام في ديالى ينتظرهم، فلم ير لذلك أثراً، فسار إلى بلاده في الحلة.

وهم الخليفة بالخروج من المدينة ثم عدل عن رأيه وقال لا أفارق بغداد، فتقوى رئيس الرؤساء برأي الخليفة وجمع من عوام الناس من يصلح للقتال وأحاطوا بدار الخليفة لحمايته.

ثم دخل اللعين البساسيري بجنوده إلى بغداد حاملاً رايات الدولة الفاطمية وشعاراتهم، واستقبلوه أهل الكرخ وكان غالهم من غلاة الشيعة، وجمع حوله العيارين وشذاذ الآفاق ووعدهم بنهب دور الخليفة وكل ما يتعلق بالدولة.

وفعلاً نهبت دور القضاة والوزراء وكل ما يتعلق بالخليفة، يقول ابن الجوزي ونهب باب البصرة من قبل غلاة الشيعة تشفياً بالمذهب، وانصرف الباقون عراة، فجاءوا إلى سوق المارستان، وقعدوا على الطريق ومعهم النساء والأطفال، وكان البرد حينئذٍ شديداً، وعاود أهل الكرخ الأذان "بجي على خير العمل" وظهر فيهم السرور الكثير، وعملوا راية بيضاء ونصبوها وسط الكرخ وكتبوا عليها اسم المستنصر بالله⁽¹⁾، وحُطب في مساجد بغداد للحاكم الفاطمي المستنصر بالله، وهكذا سيطر البساسيري على بغداد وأعلن ولاءه للدولة الفاطمية في مصر.

(1) المنتظم في أخبار الدول والأمم لابن الجوزي. 16 / ص 32.

وما زال الخليفة في قصره وتحيطه الناس ممن تطوع لحمايته ومعه رئيس الرؤساء وهاجمهم البساسيري ووقع كثير من القتلى على باب القصر، وكان مع البساسيري قريش بن بدران قد ساندوه وظافره وخرج معه، واتفقوا أن يكون قرار بغداد لكلهما.

وبعد حصار الخليفة في قصره وكان الذي يباشر الحصار قريش بن بدران، فكلمه القادة الذي حول الخليفة في استئمان الخليفة ومن معه فقبل ذلك، فركب الخليفة لابساً للسواد، على كتفه البردة، وعلى رأسه اللواء، وبيده سيف مجرد، وحوله زمرة من الهاشميين والجواري حاسرات منشرات، معهن المصاحف على رؤوس القصب، وبين يديه الخدم بالسيوف المسلولة.

فبلغ البساسيري ذلك فأرسل إلى ابن بدارن، وقال: أتدم لهما وقد استقر بيني وبينك ما استحلقتك عليه؟ وكانا قد تحالفاً ألا ينفرد أحدهما بأمر دون الآخر، وأن يكون جميع ما يتحصل من البلاد والأموال بينهما. فقال له قريش: ما عدلت عما استقر بيننا، وعدوك هو ابن المسلمة فخذ وأنا أخذ الخليفة بإزائه. فقع بذلك وحمل ابن المسلمة إلى البساسيري، فعذبه عذاباً شديداً حتى مات.

وفي هذا الأحداث انقطعت الدعوة للخليفة العباسي في بغداد بعد سيطرة المحتلين عليها، وجرى بين البساسيري وقريش بن بدران في أمر الخليفة من التجاذب ما أدى إلى نقله عن بغداد، وأن لا يكون في يد أحدهما، وتسليمه إلى بدوي يعرف بمهارش صاحب حديثه عانة⁽¹⁾، واعتقاله فيها إلى أن يتقرر لهما عزم.

وفي الليل حمل الخليفة إلى المشهد بمقابر قريش، -مشهد ومقام موسى الكاظم في الجانب الآخر من بغداد، مدينة الكاظمية اليوم- وقال له قريش بن بدران: تبيت الليلة فيما فامتنع وقال: هؤلاء العلويون الذين بها يعادوني، فألزم الدخول؛ وبات ليلته في بعض

(1) عانة: في غرب العراق ضمن محافظة الأنبار اليوم وتقع على ضفاف نهر الفرات.

الترب، وحضر من الغد جماعة من أصحاب البساسيري وأصحاب قريش، فتسلموه من موضعه، وأقعدوه في هودج على جمل، وسيروه إلى الأنبار، ثم إلى حديثه عانة على الفرات، وكان صاحب الحديثه مهارش البدوي حسن الطريقة، فكان يتولى خدمة الخليفة بنفسه. وهكذا استقر الأمر في بغداد في قبضة البساسيري، ويُخطب للمستنصر الفاطمي، وصكت الدنانير باسم دولتهم المشؤومة، وكتب على جهة الدنانير "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، محمد رسول الله، علي ولي الله"، ومن الجانب الآخر: "عبد الله ووليه الإمام أبو تميم معد المستنصر بالله أمير المؤمنين"، أما الخليفة القائم بأمر الله فهو في منفاه بالأنبار، والسلطان طغرل بك ما زال في طلب أخيه ولحقت به زوجته وباقي الجنود.

دخول السلطان طغرل بك إلى بغداد وعودة الخليفة إلى مقر حكمه .

مرة أخرى يأتي الخلاص والنجاة والنصر على يد السلطان طغرل بك السلجوقي، فكما دخل بغداد وقضى على الدولة البويهية، وبدأ عهد جديد للعراق وباقي مدن الإسلام، يعود مرة أخرى بجحافلهم إلى بغداد لتخليصها من اللعين البساسيري الذي اغتصبها، وعاث فيها فساداً وإذلالاً، ونفى خليفة المسلمين خارج مقر حكمه، وكان بنيته قتله لولا منع قريش بن بدران له.

ففي سنة 451 هجرية تغلب السلطان طغرل بك على أخيه إبراهيم في همدان وأسره ثم قتله، جزاءً لما فعله من فتنة الخروج عليه، واستقرت له تلك البلدان بدون منازع، وكانت عينه على بغداد، وخوفه على الخلافة أن تضيع على يد هؤلاء الفاطميين، فكتب إلى قريش بن بدران، وكان قريش يهاب طغرل بك ويخافه، وفيما جاء من رسالة السلطان طغرل بك إلى قريش: "إلى الأمير الجليل علم الدين أبي المعالي قريش بن بدران مولى أمير المؤمنين، من شاهنشاه المعظم ملك المشرق والمغرب طغرل بك أبي طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق. وعلى رأس الكتاب العلامة السلطانية بخط السلطان: حسبي الله. وكان في الكتاب: والآن قد سرت بنا المقادير إلى قتال كل عدو للدين والملك، ولم يبق لنا وعلينا في المهمات إلا خدمة سيدنا ومولانا الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين، واطلاع أهبة إمامته على سرير عزه، فإن الذي يلزمنا ذلك، ولا فسحة في التضجيع فيه ساعة من الزمان، وقد أقبلنا بخيول المشرق إلى هذا المهم العظيم....." وهي رسالة طويلة أوردنا جزءاً منها هنا، ثم أمره بأن يرد الخليفة إلى مقر حكمه، وتوعده في حال خالف أمره، فأجابه قريش وتلطفه، وسأله، وقال له: أنا معك على البساسيري بكل ما أقدر عليه، حتى يمكننا الله منه

ثم إنه راسل البساسيري قبحه الله، وأشار إليه بعود الخليفة إلى داره، وخوفه من جهة الملك طغرل بك، وقال له فيما قال: إنك دعوتنا إلى طاعة المستنصر صاحب مصر، وبيننا

وبينه أكثر من ستمائة فرسخ - ما يعادل قرابة 3,000 كم، ولم يأتنا من جهته رسول ولا أحد، ولم يفكر في شيء مما أرسلنا إليه، وهذا الملك من ورائنا بالمرصاد، وبعث له بكتاب السلطان طغرل بك، فانزعج لذلك البساسيري - قبحه الله - وخارت قوته وضعف أمره، وبعث إلى أهله، فنقلهم عن بغداد وأرصد له إقامات عظيمة بواسطة وجعلها دار مقر له، ووافق على عود الخليفة إلى بغداد ولكن اشترط شروطاً كثيرة لتذهب خجله.

ولما انتقل أهل البساسيري من بغداد صحبهم أهل الكرخ من غلاة الشيعة، وانحدروا في دجلة إلى واسط، خائفين على أنفسهم من غضب السلطان طغرل بك، بعد أن ساندوا البساسيري في ظلمه على الخليفة وعلى أهالي بغداد، وغادر بغداد قريش بن بدران باتجاه الموصل، والبساسيري في واسط، ففر الجميع من بغداد خوفاً من السلطان طغرل بك قبل أن يدخلها.

ثم دخل السلطان طغرل بك بغداد مع جيش عظيم وكان يوماً مشهوداً، أعز الله به المؤمنين وأذل به أعدائه، وأرسل السلطان إلى الخليفة مراكب كثيرة فيها أنواع الخيول وغيرها، وسرادق عظيمة، وملابس سنية وما يليق بالخليفة في السفر، أرسل ذلك مع الوزير عميد الملك الكندري، وأمره بإعادة الخليفة إلى مقر خلافته عزيزاً كريماً موقراً.

وشكر السلطان طغرل بك مهارش البدوي الذي حفظ الخليفة وقام على خدمته، وخرج الخليفة من الأنبار باتجاه بغداد، وعندما وصل النهروان خرج إليه السلطان طغرل بك من بغداد لتلقيه، فلما انتهى إلى السرادق قبّل الأرض بين يدي الخليفة سبع مرات، فأخذ الخليفة مخدة، فوضعها بين يديه، فأخذها السلطان فقبلها، ثم جلس عليها، كما أشار إليه أمير المؤمنين، وقدم إلى الخليفة الحبل الياقوت الأحمر الذي كان لبني بويه، فوضعه بين يدي الخليفة، وأخرج اثنتي عشرة حبة من لؤلؤ كبار، وقال: أرسلان خاتون - يعني زوجة الخليفة - تخدم وتَسأل أن تسبح بهذه السبحة؛ وجعل يعتذر عن تأخره من الحضور

بسبب عصيان أخيه إبراهيم، واتفق كذلك موت أخيه الأكبر داود، فانشغل بترتيب أولاد ابن أخيه.

وقال للخليفة: كنت عزمت على أن أصمد إلى حديثة ؛ لأصون المهجة الشريفة، ولكن لما بلغني، بحمد الله، أمر مولاي أمير المؤمنين الخليفة، فرحت بذلك وأنا شاكر لمهارش بما كان منه من خدمة أمير المؤمنين، وأنا إن شاء الله تعالى، أمضي وراء هذا الكلب - البساسيري - وأفتنصه، وأعود إلى الشام وأفعل بصاحب مصر ما ينبغي أن يجازى به من سوء المقابلة بما كان من فعل البساسيري ها هنا، فدعا له الخليفة، وشكره على ذلك⁽¹⁾.

(1) البداية والنهاية لابن كثير بتصرف. 15 / ص 771

مقتل البساسيري وانتهاء فتنة الفاطميين في بغداد سنة 451 هجرية.

بعد أن انتهى السلطان طغرل بك من ترتيب أوضاع بغداد، وإعادة الخليفة القائم بأمر الله إلى مقر خلافته، عزم على ملاحقة البساسيري الذي تجحفل في واسط، وكان الخليفة يريد الخروج معه لقتال هذا اللعين، فأجابه السلطان أنا أكفيكه، فأعد جيشاً وأرسله باتجاه الكوفة خشية أن يفر البساسيري إلى الشام، وخرج هو بجيش آخر باتجاه واسط، ولما سار السلطان نحوه وصلت إليه السرية الأولى فلقوه بأرض واسط ومعه ابن مزيد، فاقتتلوا هنالك، وانهمزم أصحابه، ونجا البساسيري بنفسه على فرس، فتبعه بعض الغلمان، فرمى فرسه بنشاب، فألقته إلى الأرض، فجاء الغلام، فضربه على وجهه، ولم يعرفه، وأسره واحد منهم، يقال له كمشكتكين، وحز رأسه، وحمله إلى السلطان، وأخذت الأتراك من جيش البساسيري من الأموال ما عجزوا عن حمله.

ولما وصل الرأس إلى السلطان أمر أن يذهب به إلى بغداد وأن يرفع على قناة، وأن يطاف به، وأن يخرج الناس والنساء للفرجة عليه، ففعل ذلك ثم نصب على الطيار تجاه دار الخلافة⁽¹⁾، ثم تم استرجاع الكوفة والشام من قبضة الفاطميين.

(1) البداية والنهاية لابن كثير. 15 / ص 772.

خاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والحمد لله على منه، وتوفيقه، وفتحته، ونصره، الحمد لله الذي طرح البركة في أوقاتنا حتى أنجزنا ما بدأنا به، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً، فيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد.

لاشك أن دراسة التاريخ والنظر في سير من سبقنا من الأولين فيه من العبر والدروس الخير الكثير، فمن لا يفهم التاريخ ولا يعرف كيف دارت عجلته لا يستطيع أن يقرأ مجريات الأحداث التي تحيطه في حاضره، بخاصة إذا عرفنا أن صراع الأمة مع أعدائها هو صراع متصل لم ينقطع منذ أن ظهرت الدولة الإسلامية على مسرح الأحداث، وأصبحت لاعباً رئيساً في موازين القوى على الأرض، بعد أن كانت الإمبراطورية الرومانية والفارسية تتقاسمان نفوذ الأرض، وكانت قبائل العرب قبل الإسلام على هامش الصراع، وخارج دائرة التأثير، وليس لهم دور في موازين القوى، ولكن بعد أن قامت دولة الإسلام، ودخل المسلمون دائرة التأثير والصراع وهزموا المجوس، وحرروا العراق وباقي البلدان من قبضتهم، وطردوا الروم وأعادوهم إلى أراضيهم في غرب الأرض، ثم استمرار الجيوش الإسلامية في فتوحاتها حتى وصلوا إلى قلب ديار فارس والروم، ودخول الناس في الإسلام أفواجا، منذ ذلك التاريخ والصراع قائم ومتصل ضد الأمة، والحرب عليها في كل الميادين لم ينقطع البتة، مهما حاول أعداء الأمة أن يغلفوا حربهم بأسماء ومصطلحات مستحدثة وجديدة، فإن الحقيقة كالشمس التي لا يحجبها غريبال.

إن الصراع الواقع اليوم هو صراع متصل غير منقطع وهو امتداد لتلك الحقبة الزمنية التي تسيدت فيها الأمة على موازين القوة على الأرض، وأنهت تواجد القوتين الكبريتين على أراضيها، مما جعل أعدائها من الروم والمجوس يشمروا عن ساعديهم ويضعوا خلافاتهم

جانباً ويتحالفوا ضد الأمة لاستعادة نفوذهما وسيطرتهما على المنطقة، وإعادة الأمة على ما كانت عليها القبائل العربية قبل دخول الإسلام تبع لهاتين القوتين، ومنع أي مشروع إسلامي من النهوض مرة أخرى كون مشروعها تهديداً لإسقاط مشاريعهم كما أسقطت الأمة مشاريعهم ودولهم من قبل.

ولا شك أن معرفة أكثر المراحل خطورة على الأمة، وفهم مجريات الأحداث فيها، ودراسة دوافع وغايات من تسلط وتسيد على الأمة وأضعفها، يعطينا مساحة واسعة وكبيرة لفهم مجريات الأحداث الواقعة اليوم في ساحتنا، بخاصة إذا تيقنا أن الصراع الذي نعيشه اليوم له جذوره التاريخية.

من هنا جاءت أهمية تسليط الضوء على مرحلة حكم وتسلط الدولة البويهية في العراق، لفهم مجريات الأحداث والإشكالات الدائرة في العراق اليوم.

لقد استعرضنا بإيجاز أهم ما جاء في تاريخ الدولة البويهية في العراق منذ قيامها حتى سقوطها، والذي بينا فيه مدى خطورة الأمر الذي كان يحيط بالأمة آنذاك، وبيننا حجم المؤامرة التي كانت تحاك ضد المسلمين في ذلك الحين، وتعرفنا على أكثر المراحل ظلمة في تاريخ العراق عندما سيطرت الدولة البويهية على مفاصل الحكم في بغداد، وصادرت صلاحيات الدولة العباسية، وكادت تذهب بالخلافة الإسلامية لولا لطف الله تعالى بهذه الأمة.

لم يكن قيام الدولة البويهية في العراق حدث عابر في تاريخ الأمة، كما هو حال بعض الدول التي قامت خلال تلك الفترة وانتهت دون أن توقع تأثيراً كبيراً على الأمة، مثل الدولة الحمدانية في الموصل، أو الدولة المزيديّة في الحلة، أو دولة الزنج في البصرة، وغيرها، فغالب هذه الدول قامت مناطقياً بعد أن ضعفت الدولة العباسية، وجعلت نفسها مسؤولة عن

إدارة شؤون مدنهم، ولم يكن في أدبياتها إسقاط الخلافة الإسلامية وقيام دولهم بديلاً عنها، بل كان غالبها مرتبطة ارتباطاً شكلياً اعتبارياً بالخليفة أو بالسلطنة ويضمنون مدنهم بمال يسلم كل سنة للخلافة، على عكس الدولة البويهية فقد كان لها تأثير واضح وكبير على الأمة منذ قيامها حتى سقوطها ما زالت آثاره يعاني منه المسلمون اليوم بخاصة في العراق، لقد كانت للدولة البويهية أغراض سياسية كبيرة تتعدى بنظرهم الدين، لذا تراهم ركبوا مظلومية أهل البيت وجعلوها مطية لهم.

لقد حاول البويهيون بناء دولة كاملة الأركان، متباعدة الأطراف، قوية، متمسكة تخضع لها رقاب الجميع، بدأ من الخليفة وانتهاء بأصغر مسلم في أقصى أطراف الأرض، وتكون دولتهم بديلاً عن الخلافة الإسلامية التي كانت تمثلها الدولة العباسية، وإبطال سيادة العرب، وإعادة سيادة الفرس على المنطقة كما كانت من قبل، ولهذه الأسباب وغيرها جعلوا مقر حكمهم الرئيسي في بغداد بجانب الخليفة.

لذا كان من لوازم دعوتهم أن يكون لها كل مقومات الدولة القوية، فهي تحتاج المال فملكته، ولم تنظر إلى شرعيته، فجمعت من المكوس، والضرائب، ومن الغارات واستيلائهم على المدن ونهب أموالها ومتاعها، وتحتاج إلى الجيوش والعساكر، فبالمال الذي جمعته وملئت بها خزائنها بنت لها جيوشاً من مرتزقة الديلم، والترک، والعرب، حتى أنهم تمردوا عليها مراراً عندما كانت تتأخر عليهم أرزاقهم ومعوناتهم المالية، وتحتاج إلى التغطية والحجة الشرعية لقيام الدولة، ومبرراً شرعياً لإسقاط الدولة العباسية القائمة، فلم تجد أفضل من منح غلاة الشيعة الذي يوفر لها الغطاء الشرعي لقيام الدولة، ومبرراً لإسقاط الدولة الشرعية القائمة، فقامت بدعم كل الفقهاء، والعلماء، والكتاب، والمؤلفين الغلاة لاستحصال هذا الغطاء الشرعي، ووفروا لهم حمايةً ورعايةً وأتاحوا لهم الفرصة للتأليف

والطعن بأصول الدين، والطعن بالأصول التي قامت عليها الخلافة الإسلامية، منذ أن تولى أبو بكر الصديق خلافة المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وصولاً إلى خلفاء بني العباس، ومن مهمة هؤلاء العلماء والفقهاء إضافة إلى ما تقدم فقد جمعوا لهم الأتباع والعوام من خلال إيهام عوام الشيعة أن هذه الدولة ما قامت إلا لحماية المذهب وأتباعه، لذا نشط في تلك الفترة كل من اتصل بالدولة البويهية وكان له منتج مؤثر ويخدم مصالحهم ليحصل على الدعم والرعاية.

إن قيام الدولة البويهية في العراق مثَّل نقطة تحول كبيرة في تاريخ الأمة، وجعل الصراع مع المجوس يأخذ شكلاً آخرًا، فبعد أن كان الصراع بين المسلمين وبين كفار المجوس قديماً، أصبح اليوم الصراع مذهبياً طائفيًا بين المسلمين الذي يمثلون الأمة، وبين غلاة الشيعة الذين يمثلون الطائفة والمذهب، وهذا الصراع استمر منذ أن تسلطت الدولة البويهية على مقدرات الدولة العباسية إلى يومنا هذا، وقد طور البويهيون الجدد "المجوس" شكل الصراع، فهم اليوم لا يحتاجون أن يقاتلونا وجهاً لوجه، بل قدموا لنا خطوطهم الأمامية من أبناء عمومتنا العرب، وعبأوا رؤوسهم بخرافات، وحماقات حتى جعلوهم غلاة متطرفين، طعنوا بديننا، وسفكوا دماننا، والساقط من الصفيين منا نصرنا لهم!

ومن خلال استعراضنا لقيام دولة بني بويه، تأكد لنا بما لا يقبل الشك، أنها ما قامت هذه الدولة إلا لإسقاط دولة الإسلام، وإقصاء العرب عن سيادتها، فحقد المجوس على العرب لن ينتهي حتى يعيدوا بناء امبراطوريتهم المجوسية على جماجم العرب المسلمين الذين أسقطوها قديماً.

لقد لمسنا أثر الدولة البويهية عندما احتل العراق من قبل أمريكا، وكيف كان دور إيران فيه، ثم مسكها لكل الخطوط السياسية، والعسكرية، والاقتصادية في العراق.

لقد جرت الأحداث في العراق بقيادة الأحزاب الموالية لإيران وتسلطهم على رقاب الناس، تشبه أحداث قيام الدولة البوذية في العراق قديماً، فهناك تشابه كبير بين القوتين اللتين حكمتا العراق قديماً وحديثاً، وتشابه حتى في بعض الإجراءات والممارسات، ناهيك على الأفكار والمعتقدات، فمثلاً عندما دعمت الدولة البوذية الفقهاء، والعلماء، الغلاة نصرته لقضيتهم، لم يرفعوا لهذا الإجراء شعاراً واضحاً يدعمون فيه الغلاة ويقصون علماء المسلمين، بل لم يُظهروا ذلك ولم يبينوه أبداً، لكن كانت أيدهم في الخفاء تدعم هؤلاء الغلاة بكل ما أوتوا من قوة، وتبطش وتمنع الآخرين، نفس المشهد تكرر عندما دخلت الأحزاب المرتبطة بإيران وحكموا العراق فقد اتخذوا نفس الأسلوب، وسلكوا نفس الطريقة، فلم يصرح الساسة المرتبطون بإيران عداوتهم للدين، أو إقصاء المخالفين إلا بقدر ما تتفلت منهم أحياناً بعض الكلمات في خطاباتهم الطائفية، ولكن في الخفاء، سخروا كل إمكانياتهم للطعن بالدين، ومحاربة المسلمين، فأنشأوا عشرات القنوات الفضائية التي تطعن بالدين وتكفر المسلمين، ومئات بل آلاف المعارف والحسابات في مواقع التواصل الاجتماعي المسخرة للطعن برموز المسلمين، إضافة لدعمهم للكُتَّاب والمؤلفين والمنشدين والرواديد الحسينيين الغلاة الذين يصرحون جهاراً نهاراً بعدائهم للإسلام وتكفير أهله، وسبهم العلني للصحابة وطعنهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وزوجاته وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين، إضافة إلى تجهيزهم لعشرات المليشيات الطائفية المسلحة التي قتلت غدرًا آلاف من الدعاة، والمصلحين، والعلماء، والفقهاء، والخطباء، والكتّاب، والمؤلفين، والكوادر العلمية في جميع التخصصات، وهجرت آلاف العوائل قسراً عن مدنهم وبيوتهم واستولوا على كل أموالهم وأمتعتهم، في حملة طائفية منظمة يقودها القادة المجوس بشكل احترافي سبق لهم التخطيط لها.

وكما أدخلت الدولة البويهية إلى بغداد الطقوس الشركية، والمظاهر البدعية في يوم عاشوراء وأصبحت مسرحاً يقاوم كل سنه تُعطل فيه الحياة بشكل كامل، وتُظهر الناس فيه الحزن، ويُسب فيه الصحابة ويُلعنوا، هذه محافظات العراق اليوم كالنجف، وكربلاء، وبغداد وغيرها، وفي نفس التاريخ والمناسبة تقف فيه الحياة كاملة، حتى تُغلق المؤسسات الحكومية، وتُعطّل مصالح الناس، لتُنصب المسوح، وتقام المسرحيات التمثيلية التي يُسب فيها الصحابة ويلعنوا علناً جهاراً نهاراً، ويمشي الناس حفاة لآلاف الكيلو مترات لحضور هذه الطقوس الاستفزازية للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها الذين يشاهدون عبر التلفاز الطعن بالدين والتجاوز على رموز المسلمين، وبدعم وحماية الحكومة وعسكرها، وسياسيها الغلاة، فما أشبه اليوم بالبارحة!

وقد برز في تلك الفترة من حفظ الله به الدين كما بينها في مواقف الخلفاء، والأمراء، والقادة، والعلماء وتصدوا لتلك الحملة كل من موقعه وحسب قدرته، فقد وجب علينا ما كان واجب عليهم، وكل من موقعه وحسب قدرته أن ينصر الدين، ويقف بوجه هذه الحملة الشرسة للقضاء على الإسلام في العراق وباقي بلدان المسلمين، اللهم إني بلغت اللهم فاشهد. وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين وصلي اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

الفهرس

.....	الإهداء:
1	المقدمة:
13	الفصل الأول:
14.....	تمهيد.....
15.....	نسبهم.....
18.....	نشأتهم.....
21.....	معتقداتهم.....
28.....	حقيقة معتقداتهم.....
33	الفصل الثاني:
34.....	تمهيد.....
35.....	بداية ظهورهم.....
38.....	مقتل مرداويج وتقاسم النفوذ.....
40.....	أعمدة الدولة البويهية ومؤسسيها.....
43	الفصل الثالث:
44.....	تمهيد.....
45.....	دعمهم وتشجيعهم للفقهاء والعلماء الغلاة.....
48.....	عينات من الغلاة الذين دعمتهم الدولة البويهية.....
55.....	تشجيع الغلاة على إظهار مذهبهم والشغب في بغداد.....
59	الفصل الرابع:
60.....	تمهيد.....

- 61..... الخليفة القادر بالله يطعن بنسب الفاطميين العلويين.
- 63..... الخليفة القادر بالله يستتبع المعتزلة وغلاة الشيعة وباقي المبتدعة.
- 65..... الخليفة القادر بالله يكتب وثيقة بإبطال منهج الغلاة سنة 420 هجرية.
- 66..... محمود بن سُبُكْتِكَيْن قاهر الغلاة والمبتدعة.
- 69..... الخليفة القائم بأمر الله يكتب وثيقة الاعتقاد القادري سنة 433 هجرية.
- 73..... الخليفة القائم بأمر الله على خطى أبيه في رد نسب الفاطميين في مصر.
- 74..... بعض العلماء الذين تصدوا لهذا الفكر المنحرف.

83 الفصل الخامس:

- 84..... تمهيد.
- 85..... بداية تحرك الدولة البويهية باتجاه العراق.
- 87..... استيلاء أحمد بن بويه "معز الدولة" على بغداد.
- 89..... العراق في عهد معز الدولة البويهي من 334 - 356 هجري.
- 89..... اسمه وكنيته وشيء من سيرته.
- 91..... بغداد تدخل مرحلة جديدة بعد سيطرة البويهيين عليها.
- 92..... خلع المستكفي بالله من الخلافة وسمل عينيه.
- 93..... استيلاء معز الدولة البويهي على البصرة.
- 94..... مسير معز الدولة البويهي إلى الموصل.
- 95..... وفاة عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه ملك فارس.
- 96..... استيلاء معز الدولة البويهي على الموصل.
- 97..... خروج معز الدولة لقتال ناصر الدولة في الموصل مرة أخرى.
- 98..... وفاة معز الدولة البويهي وتولي ابنه بختيار عز الدولة من بعده.

99 الفصل السادس:

- 100..... العراق في عصر عز الدولة البويهي 356-366 هجري.

- اسمه وكنيته وشيء من سيرته. 100.....
- استمرار المظاهر الشركية والطقوس الاستفزازية بيوم عاشوراء. 101.....
- اعتقال ناصر الدولة صاحب الموصل من قبل ابنه أبي تغلب. 101.....
- حروب القادة البويهيين مع عمران بن شاهين صاحب البطيحة. 103.....
- تحالف عز الدولة البويهي مع القرامطة في الشام. 105.....
- فتنة واقتتال في بغداد سنة 361 هجرية. 106.....
- ثورة يقودها الحاجب سُبُكْتِكَيْن تكين ضد الدولة البويهية في بغداد. 108.....
- معركة واسط بين سُبُكْتِكَيْن وعز الدولة البويهي. 110.....
- دخول أبو تغلب بن حمدون إلى بغداد سنة 364 هجرية. 113.....
- طمع عضد الدولة ببغداد ومكره بابن عمه. 114.....
- وفاة ركن الدولة وتقسيم ملكه بين أبنائه. 117.....
- دخول عضد الدولة إلى بغداد. 119.....
- مقتل بختيار عز الدولة. 121.....
- الفصل السابع:** 123
- العراق في عهد عضد الدولة بن ركن الدولة البويهي 366-372 هـ. 124.....
- اسمه وكنيته وشيء من سيرته. 124.....
- استيلاء عضد الدولة على الموصل. 128.....
- إعادة إعمار بغداد على يد عضد الدولة. 129.....
- استيلاء عضد الدولة على ما بيد أخيه فخر الدولة في همذان وغيرها. 130.....
- وفاة عضد الدولة. 132.....
- الفصل الثامن:** 135
- العراق في عصر صمصام الدولة البويهي 371-375 هجري. 136.....
- اسمه وكنيته وشيء من سيرته. 136.....

137..... الخلاف بين أبناء عضد الدولة.

139..... استيلاء شرف الدولة على بغداد وعزل أخيه.

141 الفصل التاسع:

142..... العراق في عهد شرف الدولة البويهي 376 - 379 هجري.

142..... اسمه وكنيته وشيء من سيرته.

143..... بعض نشاطات شرف الدولة في بغداد خلال فترة حكمه.

144..... وفاة شرف الدولة وتولي أخيه بهاء الدولة مهامه في بغداد.

145 الفصل العاشر:

146..... العراق في عهد بهاء الدولة 379 - 403 هجري.

146..... اسمه وكنيته وشيء من سيرته.

148..... ظهور صمصام الدولة، واقتتال الترك والديلم.

150..... اعتقال الخليفة الطائع لله وخلعه من الخلافة.

152..... مقتل وزير بهاء الدولة ونديمه أبو الحسن علي الكوكبي "المعلم".

153..... استيلاء عامل صمصام الدولة على البصرة.

155..... مقتل صمصام الدولة بن عضد الدولة.

156..... مقتل أبي نصر بن عز الدولة وسيطرة بهاء الدولة على فارس.

157..... استيلاء أبي العباس بن واصل على البطيحة والبصرة.

159..... وفاة عميد الجيوش والي العراق.

160..... وفاة بهاء الدولة.

161 الفصل الحادي عشر:

162..... العراق في عهد سلطان الدولة أبو شجاع 403 - 412 هجري.

162..... اسمه وكنيته وشيء من سيرته.

164..... مقتل الوزير فخر الملك ووزارة أبي محمد الحسن بن سهلان.

165..... اقتتال سلطان الدولة مع أخيه أبي الفوارس.

166..... مشرف الدولة بن بهاء الدولة البويهى يملك العراق.

167 الفصل الثاني عشر:

168..... العراق في عهد مشرف الدولة بن بهاء الدولة 412 - 416 هجري.

168..... اسمه وكنيته وشيء من سيرته.

169..... وفاة سلطان الدولة أبو شجاع.

170..... وفاة مشرف الدولة.

171 الفصل الثالث عشر:

172..... العراق في عهد جلال الدولة 418 - 435 هجري.

172..... اسمه وكنيته وشيء من سيرته.

173..... ثورة الجند والغلمان على جلال الدولة في بغداد.

175..... وفاة الخليفة القادر بالله ومرور 100 سنة على تسلط الدولة البويهية.

177..... فتنة العيارين في بغداد وأثرها على الدولة البويهية.

179..... بداية ظهور الدولة السلجوقية سنة 432 هجرية.

181..... ثورة الجند على جلال الدولة في بغداد.

182..... الصلح بين جلال الدولة وابن أخيه أبي كاليجار.

183..... محاولة صلح بين السلطان طغرل بك السلجوقي وبين جلال الدولة البويهية.

184..... وفاة جلال الدولة البويهية.

185 الفصل الرابع عشر:

186..... العراق في عهد أبي كاليجار بن بهاء الدولة 436 - 440 هجري.

186..... اسمه وكنيته وشيء من سيرته.

188..... السلاجقة والبويهيون وتصارع على النفوذ.

189..... فتن عظيمة وأمراض وغلاء فاحش في بغداد.

190..... وفاة الملك أبو كاليجار البويهي وتولي الملك ابنه الملك الرحيم.

191 الفصل الخامس عشر:

192..... العراق في عهد الملك الرحيم آخر ملوك الدولة البويهية.

192..... اسمه وكنيته وشيء من سيرته.

193..... عودة الفتن والافتتال بين أهالي بغداد سنة 441 هجرية.

194..... الحرب بين دبيس بن علي والعساكر الأتراك في واسط.

195..... بداية الفتنة بين الخليفة القائم بأمر الله وبين البساسيري.

197 الفصل السادس عشر:

198..... تمهيد.

199..... الملك طغرل بك يبدأ بنشر نفوذه مقابل ضعف الدولة البويهية.

200..... دخول طغرل بك بغداد وانتهاء عهد البويهيين وبداية عهد السلاجقة.

201..... خروج السلطان طغرل بك السلجوقي لاسترداد الموصل من البساسيري.

203..... نهاية حكم بني بويه وسقوط دولتهم سنة 447 هجرية.

206..... شجرة عائلة بني بويه المؤسسة وأبنائهم الذين تعاقبوا على حكم العراق:

207..... لقاء الخليفة الله والسلطان طغرل بك وتقليده الحكم والسلطة.

209..... اعتقال الخليفة القائم بأمر الله ونفيه إلى الأنبار.

213..... دخول السلطان طغرل بك إلى بغداد وعودة الخليفة إلى مقر حكمه.

216..... مقتل البساسيري وانتهاء فتنة الفاطميين في بغداد سنة 451 هجرية.

217 خاتمة

223 الفهرس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ